خلاصات في مباحث النبوات

تأليف

د / عيسى بن عبد الله السعدي

أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :-

فهذه خلاصات في مباحث النبوات ، كتبت كثيرا منها أثناء تدريس المستوى الخاص بالنبوة في كلية الشريعة ، ثم راجعتها ، ووثقتها ، وأضفت إليها مادعت الحاجة إلى إضافته ؛ لتكون بإذن الله تعالى كتابا ميسرا في أصل من أعظم أصول الإيمان . وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصا لوجه الكريم ، وأن ينفع به كاتبه ، وكل من بلغه ؛ إنه على كل شيء قدير . آمين

كتبه

د/ عيسى بن عبدالله السعدي

أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

معنى النبي والرسول

معنى النبي لغة

النبي لغة إما أن يكون مشتقا من النبأ بمعنى الخبر ؛ لأنه مخبر من الله ، ومخبر عنه . أو من النبأ بمعنى الطريق الواضح ؛ لأن الأنبياء طرق الهداية والسعادة . أو من النبوة ؛ وهي المكان المرتفع ؛ سمي الأنبياء بذلك ؛ لشرفهم ورفعة قدرهم . والأظهر أنه مشتق من النبأ بمعنى الخبر ؛ لأن النبأ في القرآن إنما ورد بمعنى الخبر ، ولأن هذا المعنى يدل على خاصة النبوة بخلاف غيره ، وأيضا فسائر المعاني داخلة في هذا المعنى ؛ فمن نبأه الله فقد شرفه ، ورفع قدره ، وجعله طريقا للهداية ، وعلما لمواقع رضا الله وسخطه [١] .

معنى الرسول لغة

أصل الرسول من الرسل ؛ وهو الانبعاث على التؤدة ؛ يقال : ناقة رسلة ؛ أي سهلة السير ، وإبل مراسيل ؛ أي منبعثة انبعاثا سهلا . تصور منه تارة الرفق ؛ فقيل : على رسلك ، وتارة الانبعاث ، فاشتق منه لفظ الرسول ؛ وهو اسم لمن بعث برسالة ، وقد يطلق على الرسالة نفسها ؛ فيقال : أبلغ فلانا رسولا ؛ أي رسالة [٢] .

دعوى ترادف النبي والرسول

رأى بعض أهل العلم أن النبي والرسول لفظان مترادفان ؛ أي أنهما بمعنى واحد ؛ لافرق بينهما اصطلاحا ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾ الحج: ٥٢ ، وقوله : ﴿ وَكَمۡ أَرۡسَلۡنَا مِن نَّبِيّٖ فِي ٱلۡأَوَّلِينَ ۝٦ ﴾ الزخرف: ٦ ؛ فأثبت الإرسال للنبي فدل على أنه مرادف للرسول . وهذه الدعوى غير مسلمة ؛ لأن الله تعالى أثبت الإرسال لأشياء كثيرة ، ومع ذلك لايسمى شيء منها رسولا عند الإطلاق ؛ قال تعالى : ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ

---

(١) انظر : لسان العرب ١٥/ ٣٠١- ٣٠٤ ، النبي والرسول ، ص (٩- ١٢) .

(٢) انظر : المفردات ، ص (١٩٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٣ ؛ وأيضا فإن الأدلة فرقت بين النبي والرسول ؛ فمن ذلك :-

١- قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ الحج: ٥٢ ؛ فعطف النبي على الرسول ، والعطف يقتضي المغايرة .

٢- قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ ﴾ مريم: ٥١ ؛ فلو كان النبي والرسول بمعنى لاكتفى بذكر أحدهما عن الآخر .

٣- روى مسلم بسنده عن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إذا أخذت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن ، ثم قل : اللهم إني أسلمت وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، وألجأت ظهري إليك ، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت ، واجعلهن من آخر كلامك ، فإن مت من ليلتك مت وأنت على الفطرة . قال : فرددتهن لأستذكرهن فقلت : آمنت برسولك الذي أرسلت . قال : قل آمنت بنبيك الذي أرسلت) ؛ فلو كانا بمعنى لأقره النبي ﷺ على وضع الرسول مكان النبي .

٤- روى أحمد بسنده عن أبي ذر ﷺ قال : (قلت : يا رسول الله كم وفى عدة الأنبياء ؟ قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا[١] ، الرسل من ذلك ثلاث مائة وخمسة عشر جما غفيرا)[٢] ؛ ففرق بينهما في العدد ، فعلم أن بينهما فرقا في الحقيقة[٣] .

الفرق بين النبي والرسول

رأينا أن الصحيح إثبات الفرق بين النبي والرسول ، وعلى ذلك جمهور أهل العلم ، ولكن الجمهور اختلفوا في تحديد الفرق بينهما على أقوال كثيرة ؛ منها :-

---

(١) الذين سموا في القرآن خمسة وعشرون نبيا ؛ وهم : آدم ، وإدريس ، ونوح ، وهود ، وصالح ، وإبراهيم ، ولوط ، وإسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب ، ويوسف ، وأيوب ، وشعيب ، وموسى ، وهارون ، ويونس ، وداود ، وسليمان ، وإلياس ، واليسع ، وزكريا ، ويحيى ، وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين ،وسيدهم محمد ﷺ . تفسير ابن كثير ٣/٢٧٥ .

(٢) في إسناده ضعف جبر بالمتابعة . روح المعاني ١٧/١٧٢ . وانظر للمزيد : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٢٦٦٨) .

(٣) انظر : روح المعاني ١٧/١٧٢ ، النبي والرسول ، ص (١٥- ١٧ ، ٤٤- ٦٢) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

١- أن الرسول من يأتي بشرع جديد ، أو بنسخ في شرع من قبله . والنبي من يبعث بشرع من قبله . وهذا غير مسلم ؛ لأن من الرسل من كان على شرع من قبله ؛ كإسماعيل ويوسف عليهما السلام فقد كانا على شريعة الخليل عليه السلام .

٢- أن الرسول من أوحي إليه وأرسل ، والنبي من أوحي إليه و لم يرسل . وهذا غير مسلم أيضا ؛ لأن النبوة لاتنال بمطلق الوحي وإنما تنال بالوحي بشرع ، ولو كانت تنال بمطلق الوحي للزم إثبات النبوة لأم موسى عليه السلام ، ولكل من كلمته الملائكة .

٣- أن الرسول من أنزل عليه كتاب ، والنبي من لم يترل عليه كتاب . وهذا الفرق غير مسلم ؛ لأن من الرسل من لاكتاب له ؛ كما يدل لذلك الخبر الوارد في عدد الرسل والكتب .

٤- أن الرسول من يتمثل له الملك ظاهرا ، والنبي من يأتيه الوحي بطرق أخرى ؛ كالدوي والإلهام وخبر أحد من الرسل . وفي هذا نظر ؛ لأن الملائكة تمثلت لمن ليس لهم رسالة أو نبوة ؛ كما في خبر الأبرص والأقرع والأعمى من بني إسرائيل ، وأيضا فتخصيص وحي الأنبياء بهذه الطرق لادليل عليه من كتاب ولا سنة .

٥- أن الرسول من أوحي إليه بتبليغ شرع ، والنبي من أوحي إليه بالدعوة لشرع لابتبليغه ؛ فالنبي والرسول كلاهما يبعثان بشرع إلا أن الرسول مبلغ والنبي داعية ؛ والتبليغ إنما يكون إذا بعث بشرع جديد ، أو شرع قديم إلا أنه نسي أوبدل ، أو بنسخ بعض أحكام شرع من قبله .وهذا هو الرسول . وأما إن بعث بشرع في قوم لاينكرونه فهو داعية لامبلغ . وهذا هو النبي ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : (العلماء ورثة الأنبياء)[1] ؛ لأن وظيفة العالم تشبه وظيفة النبي لا الرسول ؛ فالعالم داعية لامبلغ[2] . وهذا أصح الفروق ؛ للأسباب التالية :-

أ- أنه جعل مناط النبوة الوحي بشرع لا مطلق الوحي ؛ فخرج بذلك من أوحي إليه بغير شرع ؛ كمريم ، وأم موسى عليه السلام .

ب- أنه اشترط لحصول النبوة الوحي بشرع مطلقا ؛ أي من غير تقييد بطرق معينه . وهذا هو الموافق للنصوص ؛ فإنها لم تقيد وحي الأنبياء بصفة دون أخرى .

---

(١) رواه أحمد وغيره بسند صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٢٩٧) .

(٢) انظر : النبوات ٧١٨/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ج- أن مناط الفرق في هذا القول هو البلاغ وعدمه ؛ وهو أمر بين لايرد عليه إشكال كما يرد على قول من جعل المناط من جهة مايأتي به الرسول من شرع أو كتاب[١] . وإذا اتضح الفرق بين النبي والرسول فيمكن تحديد النسبة بينهما بسهولة ؛ فالنبي أعم مطلقا والرسول أخص مطلقا ؛ فكل رسول نبي ، وليس كل نبي رسولا ، ولهذا قال النبي ﷺ : (لا نبي بعدي)[٢] ؛ لأن نفي الأعم يستلزم نفي الأخص دون عكس[٣] .

محل الفرق بين النبي والرسول

يبدو أن الفرق بين النبي والرسول إنما هو في حال الاقتران لا الإفراد ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيّٖ ﴾ الحج: ٥٢ ، وقوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ مريم: ٥٤ ، وقوله : ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١ ﴾ مريم: ٥١ .

أما إذا أفرد النبي فالظاهر أنه يشمل الرسول ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾البقرة: ٢١٣ ، وقوله :﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ ﴾ الأحزاب: ٧، وقوله : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ٣١ ﴾ الفرقان: ٣١ .

وهكذا الرسول إذا أفرد شمل النبي ؛ كمافي قوله تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ ﴾ الجن: ٢٦ – ٢٧ ، وقوله : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤ ﴾ إبراهيم: ٤ ، وقوله : ﴿ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ٧٠ ﴾ المائدة: ٧٠ . والله أعلم .

****

(١) انظر : النبوات ٢/ ٧١٤- ٧٢٠ ، روح المعاني ١٧٢/١٧ ، ١٧٣ ، النبي والرسول ، ص (٦٣-١٠٤ ، ١٤٢-١٤٨) .

(٢) رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (١٧٧٣) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٥٨) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الحاجة إلى الرسالة

صلاح المعاش والمعاد ، وسعادة الدنيا والآخرة إنما تكون باتباع النور الذي أنزل على الرسل ؛ فالشرع نور الله في أرضه ، وحصنه الذي من دخله كان آمنا ؛ قال تعالى : ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٣ - ١٢٤ ؛ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ النحل: ٩٧ ؛ فلا حياة للقلوب ولاطمأنينة إلا بمعرفة ربها ومعبودها بأسمائه وصفاته ، والتأله له حبا وخوفا ورجاء ، ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان :-

أحدهما : معرفة الطريق التي توصل إلى الله ؛ وهي شريعته المتضمنة أمره ونهيه .

والثاني : معرفة مآل العباد ، وتفاصيل الثواب والعقاب[١] .

وهذه الأصول يستحيل أن تستقل العقول بمعرفتها على التفصيل ؛ لأسباب كثيرة ، منها :-

١- أن معرفة العقل لهذه الأصول إجمالية ، وغير يقينية ، ولهذا نص عامة العقلاء على أنه لاسبيل إلى اليقين في المطالب الإلهية إلا عن طريق الوحي . قال ابن تيمية : (لَوْلا الرِّسَالَةُ لَمْ يَهْتَدِ الْعَقْلُ إلَى تَفَاصِيلِ النَّافِعِ وَالضَّارِّ فِي الْمَعَاشِ وَالْمُعَادِ ، فَمِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ ، وَأَشْرَفِ مِنَّةٍ عَلَيْهِمْ أَنْ أَرْسَلَ إلَيْهِمْ رُسُلَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كُتُبَهُ ، وَبَيَّنَ لَهُمْ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ . وَلَوْلا ذَلِكَ لَكَانُوا بِمَنْزِلَةِ الْأَنْعَامِ وَالْبَهَائِمِ ، بَلْ أَشَرَّ حَالا مِنْهَا)[٢] .

٢- أن العقول تتفاوت ؛ فقد يستحسن قوم مايستقبحه آخرون فيقضي التعويل على العقل إلى التنازع وخراب العالم .

٣- أن العقل قاصر عن تصور غايات التشريع وحكمه ؛ ولهذا يبدو له في المستقبل مالم يكن حاضرا في يومه ، فيضطر إلى التعديل والتبديل كلما ظهرت له مفاسد تشريعه .

٤- أن الهوى غالب على العقل ؛ ولهذا يشرع لمصلحته لا للحق والعدل . والواقع الديمقراطي مصداق لهذه الحقيقة ؛ فكثير من التشريعات إنما تسن لمصلحة الرأسمالية لا لمصلحة الشعوب[٣] .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٩/ ٩٥، ٩٦ ، الصواعق المرسلة ١/١٥٠ ، ١٥١ ، شرح الطحاوية ، ص (٦٩ ، ٧٠) .

(٢) مجموع الفتاوى ١٩/١٠٠ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٩/٩٣ - ١٠٥، مفتاح دار السعادة ٢/٢ ، المسامرة ، ص (١٨٩) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فالرسالة ضرورية لمعرفة الرب ، ومعرفة شريعته ، وثوابه وعقابة ، معرفة تفصيلية يقينية ؛ تصلح معها وبها دنيا العبد وآخرته ، وينجو بها من تخبط البشر في التصورات والتشريعات ؛ قال ابن تيميـــة : (الدُّنْيَا كُلُّهَا مَلْعُونَةٌ مَلْعُونٌ مَا فِيهَا إلا مَا أَشْرَقَتْ عَلَيْهِ شَمْسُ الرِّسَالَةِ ، وَأُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَيْهَا .... وَلَيْسَتْ حَاجَةُ أَهْلِ الأرضِ إلَى الرَّسُولِ كَحَاجَتِهِمْ إلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ؛ وَالرِّيَاحِ وَالْمَطَرِ وَلا كَحَاجَةِ الْإِنْسَانِ إلَى حَيَاتِهِ ؛ ولا كَحَاجَةِ الْعَيْنِ إلَى ضَوْئِهَا ، وَالْجِسْمِ إلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، بَلْ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ وَأَشَدُّ حَاجَةً مِنْ كُلِّ مَا يُقَدَّرُ وَيَخْطُرُ بِالْبَالِ) [١] . وبهذا تسقط دعوى الاستغناء بالعقل عن الوحي ! وهي الدعوى التي عرفت عن البراهمة ؛ فقد زعموا أن ماجاءت به الرسل إما أن يكون معقولا وإما أن يكون غير معقول ؛ فإن كان معقولا كفانا عنه العقل ، وإن كان غير معقول فهو غير مقبول [٢] !

وهذه الدعوى ليست خاصة بهؤلاء المكابرين وإن كانوا هم من تولى كبرها ، حتى قال الشهرستاني : (البراهمة ... هم المخصوصون بنفي النبوات أصلا ورأسا) [٣] . فقد شاركهم في دعوى الاستغناء عن الوحي طوائف كثيرة ؛ منها :-

١- الفلاسفة ؛ فاعتمادهم على العقل دون الوحي ؛ لأن ماجاء به الأنبياء بزعمهم مجرد تخييل لاستصلاح العامة لا تحقيقا يفيد العلم ويورث اليقين ؛ ولهذا لما قيل لسقراط : ألا تهاجر إلى موسى عليه السلام ؟ قال : نحن قوم مهذبون لاحاجة لنا بالهجرة لموسى ليهذبنا [٤] !

٢- العلمانيون ؛ فقد زعموا أن العلم الحديث يغني عن الوحي ؛ إما كليا ، كما يزعم أصحاب الاتجاه الإلحادي منهم ، وإما في تنظيم الحياة ، كما يزعم كثير منهم [٥] .

وهذه الدعوى هي سنة أعداء الرسل على مدى الدهر ؛ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ غافر: ٨٣ ؛ وهي من أعظم المكابرات ؛ لأن حاجة الناس إلى النبوة فوق كل الحاجات ، وضرورتهم إليها مقدمة على جميع الضرورات ،

---

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠١ .

(٢) انظر : الملل والنحل ٢٥١/٢ ، شرح المقاصد ٩/٥ ، ١٠ ، المسامرة ، ص (١٨٧، ١٨٨) .

(٣) الملل والنحل ٢٥٠/٢ .

(٤) انظر : الكشاف ٤٣٩/٣ ، ٤٤٠ ، درء تعارض العقل والنقل ١/ ٨- ١١ .

(٥) انظر : مذاهب فكرية معاصرة ، ص (٤٤٥-٤٩٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ولهذا سمى الله الوحي روحا ؛ قال تعالى :﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾الشورى: ٥٢ ؛ لأن الحياة رهن بوجوده في العالم ؛ فإذا رفع أذن الله بخراب العالم ، قال ابن تيمية : (لا بَقَاءَ لأَهْلِ الأَرْضِ إِلَّا مَا دَامَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مَوْجُودَةً فِيهِمْ ، فَإِذَا دَرَسَتْ آثَارُ الرُّسُلِ مِنْ الأَرْضِ ، وانمحت بِالْكُلِّيَّةِ خَرَّبَ اللَّهُ الْعَالَمَ الْعُلْوِيَّ وَالسُّفْلِيَّ ، وَأَقَامَ الْقِيَامَةَ)[١] .

ودعوى الاستغناء بالعقل عن الوحي ليست مسلمة بين العقلانيين ؛ فكثير منهم يسلم بالحاجة إلى الرسل ، بل إنه يراها من الواجبات العقلية ؛ فالمعتزلة يقولون : صلاح الإنسان في معاشه ومعاده لا يتم إلا ببعثة الرسل ، وكل ماكان كذلك فهو واجب على الله عقلا ! وهكذا طوائف من الفلاسفة فإنهم يقولون : يلزم من وجود الله وجود العالم ، ويلزم من وجود العالم وجود من يصلحه[٢] !

وهؤلاء وأولئك وإن شاركوا علماء السلف في التسليم بالحاجة إلى الرسالة إلا أن في كلامهم أمورا كثيرة غير مسلمة ؛ منها :-

١- أن الإيجاب العقلي على الله تعالى يتضمن استعلاء العقل ، وسلب إختيار الرب ، وإلجاءه إلى الانجاز ! فيكون باطلا ، ومنكرا من القول وزورا .

٢- أن وجود العالم عند الفلاسفة كان بطريق الفيض لا الخلق ؛ ولهذا يقولون بلزومه لله ؛ أي بأزلية العالم وأبديته ! وهذا يعني إنكار المبدأ والمعاد !

٣- أن صلاح العالم عند الفلاسفة ليس وقفا على الرسل ؛ فقد يتم بطريقهم ، وقد يتم بطريق الفلاسفة ، بل إن منهم من يفضل الفيلسوف على النبي ؛ لأن النبي يدرك الأشياء بقوته الخيالية والفيلسوف يدركها بقوته العقليه ! وهذا قول الفارابي ، ومبشر بن فاتك[٣] !

****

(١) مجموع الفتاوى ١٩/ ١٠١ .

(٢) انظر : شرح الجوهرة ، ص (١١٩) .

(٣) انظر : درء التعارض ١/٩ - ١٢ ، الوعد الأخروي ١/ ٢٩٦- ٣٠٦ ، ٢/ ٦٦١- ٦٦٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

اصطفاء الرسل

النبوة اصطفاء واختيار إلهي ، مرتبط بفضل الله تعالى ، وعلمه بمن يصلح لرسالته ؛ قال تعـــالى : ﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ[(١)] مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾﴾ البقرة: ١٠٥ ، وقال : ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴿٧٥﴾﴾ الحج: ٧٥ ؛ وقال : ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ الأنعام: ١٢٤ ؛ أي بمن يصلح لها ، وللقيام بأعبائها ؛ فلا يضع أعظم نعمه إلا عند أزكى خلقه ؛ قال ابن كثير : (الله لا يترل رسالته إلا على أزكى الخلق قلبا ونفسا ، وأشرفهم بيتا ، وأطهرهم نسبـــا)[(٢)] ؛ ولهذا قال علماء السلف : إن الاصطفاء للنبوة مرتبط بصفات ثبوتية فيمن يختصه الله لرسالته ؛ فلا يصطفي لأفضل مواهبه إلا أفضل خلقه في عقله ودينه ونسبه ، واستعد بما ميزه الله من صفات في ذاته لأن يخصه الله بفضله ورحمته .

وذهبت الأشاعرة إلى أن الاصطفاء للنبوة يرجع إلى محض المشيئة وصرف الإرادة ، دون نظر إلى صفات ثبوتية ، واستعداد ذاتي للنبوة ؛ ولهذا جوزوا بعثة كل مكلف ! وسلم بعضهم بأن الاصطفاء للنبوة تابع للاستعداد الذاتي ، ولكن بطريقة جري العادة ؛ فقد جرت عادة الله أن يبعث من كل قوم أشرفهم وأطهرهم جبلة . وهذا مبني على أصلهم في نفي الحكم والأسباب ؛ وهو أصل باطل ، ترده دلالة النصوص على أن الله تعالى فعل المفعولات ، وأمر بالمأمورات لحكم مقصوده ، تعود على الله وعلى عباده ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾﴾ يونس: ٤ ؛ وقـــال ﷺ : (مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ، وَلا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنْ اللَّهِ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنْ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ، وَلا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنْ اللَّهِ ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَ اللَّهُ الْجَنَّةَ) ، رواه مسلم .

ومما يبطل أصلهم في نفي الحكم والأسباب النصوص الكثيرة الدالة على إثبات تأثير الأسباب في أحكام الله الكونية والشرعية والجزائية ؛كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾الأعراف: ٥٧ ، وقوله : ﴿ٱلزَّانِيَةُ

---

(١) أي بنبوته ، أو بجميع أنواع الرحمة وتدخل النبوة فيها دخولا أوليا . انظر : تفسير القرطبي ٢/ ٦١ ، روح المعاني ١/ ٣٥١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٦/٥٧٢ (بتصرف يسير) . وانظر : تفسير ابن سعدي ٢/ ٤٧٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ﴾النور: ٢ ، وقوله : ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ الحاقة: ٢٤ ؛ يقول ابن القيم : (القرآن مملوء من إثبات الأسباب ... ، ولو تتبعنا ما يفيد إثبات الأسباب من القرآن والسنة لزاد على عشرة آلاف موضع ، و لم نقل ذلك مبالغة ، بل حقيقة ... ، وأنت لاتجد كتابا من الكتب أعظم إثباتا للأسباب من القرآن !)[١] .

وأما المعتزلة فقد رأوا أن الاصطفاء للنبوة لا يكون جزاء إلا على إحسان سابق ؛ وأن الله لايفضل أحدا على أحد إلا بعمل من العبد ؛ فلو اختص أحدا من خلقه بمحض فضله لكان ظلما ، والظلم محال على الله عقلا . وهذا مرتبط بأصلهم في التعديل والتجوير ، والتحسين والتقبيح ، وهو أصل غير مسلم ؛ لأنه مبني على التشبيه ؛ فقد زعموا أن ماحسن من العبد حسن من الرب ، وهكذا ماقبح ؛ ولهذا سماهم السلف مشبهة الأفعال[٢] ؛ يقول ابن القيم : (قياس أفعاله على أفعال عباده .. من أفسد القياس وأعظمه بطلانا ؛ فإنه تعالى كما أنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا في صفاته فكذلك ليس كمثله شيء في أفعاله . وكيف يقاس على خلقه في أفعاله ؛ فيحسن منه ما يحسن منهم ، ويقبح منه ما يقبح منهم ، ونحن نرى كثيرا من الأفعال تقبح منا وهي حسنة منه تعالى ؛ كإيلام الأطفال والحيوان ، وإهلاك من لو أهلكناه نحن لقبح منا من الأموال والأنفس وهو منه تعالى مستحسن غير مستقبح ... ونحن نرى ترك إنقاذ الغرقي والهلكي قبيحا منا وهو سبحانه إذا أغرقهم وأهلكهم لم يكن قبيحا منه ، ونرى ترك أحدنا عبيده وإماءه يقتل بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا ، ويفسد بعضهم بعضا وهو متمكن من منعهم قبيحا وهو سبحانه قد ترك عباده كذلك وهو قادر على منعهم وهو منه حسن غير قبيح ؛ وإذا كان هذا شأنه سبحانه وشأننا فكيف يصبح قياس أفعاله على أفعالنا !)[٣] .

وأما قوله تعالى : ﴿ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحْسَنَ﴾ الأنعام: ١٥٤ ، فإنه لايدل على أن أصل اصطفائه للنبوة كان جزاء إحسان سابق كما قالت المعتزلة ، وإنما يدل على أن الله أعلى مكانته بما أنزل عليه من أعظم كتبه جزاء إحسانه وقيامه بأعباء النبوة ؛ كقوله تعالى : ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ

---

(١) شفاء العليل ، ص (٣١٥-٣١٨) .

(٢) انظر : منهاج السنة ٢/ ٤١٣-٤٢١ ، شرح المواقف ٢٤٢/٨ ، روح المعاني ٢١/٨، ٢٢ .

(٣) مفتاح دار السعادة ٥٢/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾البقرة: ١٢٤ ، وقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ السجدة: ٢٤ . والله أعلم[1] .

دعوى اكتساب النبوة

رأينا أن أصل اصطفاء الرسل مسلم بين أهل القبلة وإن اختلفوا في سببه ؛ بل إنه مسلم حتى بين الكفرة وإنما خالفوا فيمن وقع عليه الاصطفاء ؛ قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ[2] وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ الزخرف: ٣١ - ٣٢ ؛ فهؤلاء إنما نازعوا في الأحق بالاصطفاء ؛ فزعموا أن الأحق بالنبوة كبراءهم وسادتهم دون سيد المرسلين ﷺ ، كما زعم اليهود أن ذرية إسرائيل أحق بالنبوة من ذرية إسماعيل ؛ ولهذا كفروا برسالة النبي ﷺ ؛ حسدا لذرية إسماعيل ، مع علمهم بأنها حق وصدق ؛ قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة: ١٤٦ ، وقال : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ النساء: ٥٤ ؛ فكل هؤلاء إنما نازعوا في متعلق الاصطفاء لا في أصله ، وظل الأمر على ذلك حتى نبغت نابغة من الفلاسفة ؛ كالفارابي وابن سينا ؛ فزعموا أن النبوة يمكن أن تكتسب إذا اجتمعت في العبد ثلاث خصال :-

١- قوة قدسية يتمكن بها من إدراك العلم بلا معلم ؛ وهذه القوة تحصل بالرياضات الروحية حتى تصبح النفس مهيأة لقبول ما يفيض عليها من العقل الفعال من الوحي والعلم .

٢- قوة خيالية يتمكن بها من تخيل مايفيض عليه من العقل الفعال في شكل أجسام نورانية تخاطبه من داخله ؛ وهو مايعرف في لسان الشرع بالملائكة !

٣- قوة نفسية يتمكن بها من التأثير في هيولى (أي مادة) العالم ؛ فتحصل له الخوارق والمعجزات ! ؛ فمن اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاث أمكن أن يكون نبيا ! وقد راجت هذه الدعوى على كثير من الأغرار فأخذوا يطلبون النبوة على منهاج الفلاسفة ؛ كما يذكر عن ابن

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٦٤١/٣ ، ٦٤٢ .

(٢) أي إذا كانت دنياهم بيد الله فأمر الدين والنبوة أولى أن يكون بيده ، وإذا لم يفوض إليهم شيئا من أمر الدنيا فلأن لايفوض إليهم أعلى أمور الدين (النبوة) من باب أولى . انظر : تفسير القرطبي ٨٢/١٦ ، تفسير السعدي ٦٤٣/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

هود وابن سبعين !

وهذه الدعوى باطلة من وجوه كثيرة ؛ منها :-

١- أن هذه الدعوى مبنية على نظرية الفيض ، ودعوى العقول العشرة ، التي آخرها عقل فلك القمر ؛ وهو العقل الذي بزعمهم يدبر هذا العالم بزعمهم ! وهي من أكذب الدعاوى ، وليس لها أي مستند علمي ، يقول سليمان دنيا : (كل مالهم ... إنما هو تصوير لكيفية صدور العقل الأول عن الله ، ثم صدور العقل الثاني والنفس الأولى وجسم الفلك الأول عن العقل الأول ، وهكذا إلى آخر السلسلة ، وهذا أشبه بالقصة منه بالاستدلال العقلي)[١] .

٢- أن نظرية الفيض أو الصدور تعني القول بقدم العالم ، وإنكار حدوثه والقطع بأنه لايقبل الفناء ، وإنما هو أزلي أبدي .

٣- أن هذه النظرية شرك صريح في الربوبية ؛ فتدبير هذا العالم بزعمهم من شأن العقل العاشر المزعوم (عقل فلك القمر) لامن شأن الرب وحده ؛ كما يؤمن بذلك المسلمون .

٤- أن هذه النظرية تعني إنكار الوجود الحقيقي للملائكة ، وإنما هي بزعمهم خيالات في نفس النبي لا وجود لها في الواقع ونفس الأمر !

٥- وكذلك تستلزم هذه الدعوى إنكار ختم النبوة ؛ فكل من اجتمعت فيه هذه الخصال أمكن أن يكون نبيا ولو بعد بعثة محمد ﷺ ؛ وهذا تكذيب صريح لقوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾الأحزاب: ٤٠ ، ولقوله ﷺ : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ ؛ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ) . رواه مسلم .

٦- أن هذا المذهب أفضى بالفارابي ومبشر بن فاتك إلى تفضيل الفيلسوف على النبي ؛ لأنه يدرك الأشياء بقوته العقلية ، والنبي يدركها بقوته الخيالية ! ورأى ابن سينا أن النبي أفضل ؛ لأنه يخاطب الناس بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف[٢] !

---

(١) حاشية تهافت الفلاسفة ، ص (٩٣) .

(٢) انظر : منهاج السنة ٤١٥/٢ ، ٤١٦ ، درء التعارض ٨/١-١١ ، شرح الطحاوية ، ص (٢٨٩) ، شرح المواقف ٢٤٢/٨-٢٤٤ ، شرح الجوهرة ، ص (١٢٧ ، ١٢٨) ، الوعد الأخروي ٢٩٦/١-٣٠٨ ، ٣٣٤- ٣٥٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أثر هذه الفلسفة في الفكر الصوفي

لنظرية الفيض تأثير واضح في الفكر الصوفي ؛ فالمعرفة الإشراقية إنما هي ترداد لنظرية الفيض أو الصدور ؛ وبناء عليها زعم ابن عربي الطائي أن الولي يأخذ من المعدن الذي يأخذ من الملك ؛ وهو عقل فلك القمر ؛ ولهذا فضل الولي على النبي ، فقال :-

مقام النبوة في بـــــرزخ فويق الرسول ودون الولي

فالولي بزعمه يأخذ العلم من عقل فلك القمر بلا وسيط ، والنبي يأخذه بوساطة الملك ؛ ولهذا كان الولي في مرتبة أعلى بكثير من مرتبة النبي والرسول[١] ! وهذا كقول الفلاسفة في تفضيل الفيلسوف ، والقولان كلاهما تكذيب صريح للقرآن ؛ قال تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام: ٨٣ – ٨٦ ؛ فدل على فضلهم على من عداهم من الخلق ؛ ولهذا كانوا في أعلى درجات الفضل الأربع[٢] ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ﴾ النساء: ٦٩ ، قال ابن تيمية :(الأَنْبِيَاءَ أَفْضَلُ مِنْ الأَوْلِيَاءِ ، وَخِيَارُ الأَوْلِيَاءِ أَتْبَعُهُمْ للأنبياء ؛ كَمَا انَ أَبُو بَكْرٍ أَفْضَلُ مَنْ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ . وَدَعْوَاهُ أَنَّ خَاتَمَ الأَوْلِيَاءِ يَأْخُذُ الْعِلْمَ الظَّاهِرَ مِنْ حَيْثُ يَأْخُذُهُ النَّبِيُّ ؛ وَيَأْخُذُ الْعِلْمَ الْبَاطِنَ مِنْ الْمَعْدِنِ الَّذِي يَأْخُذُ مِنْهُ الْمُلْكَ مَا يُوحِيه إلَى النَّبِيِّ ؛ فَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرِ وَالضَّلالِ ، وَهُوَ مَبْنِيٌّ عَلَى قَوْلِ الْمُتَفَلْسِفَةِ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ النُّبُوَّةَ فَيْضًا يَفِيضُ عَلَى عَقْلِ النَّبِيِّ ! وَيَقُولُونَ : إنَّ الْمُلْكَ هُوَ مَا يَتَمَثَّلُ فِي نَفْسِ النَّبِيِّ مِنْ الأَشْكَالِ النُّورَانِيَّةِ فَيَقُولُونَ : إنَّ النَّبِيَّ يَأْخُذُ عَنْ تِلْكَ الصُّوَرِ الْخَيَالِيَّةِ ؛ وَهِيَ الْمُلْكُ عِنْدَهُمْ ؛ فَمَنْ أَخَذَ الْمَعَانِيَ الْعَقْلِيَّةَ عَنْ الْعَقْلِ الْمُجَرَّدِ كَانَ أَعْظَمَ وَأَكْمَلَ مِمَّنْ يَأْخُذُ عَنْ الأمثلة الْخَيَالِيَّةِ ! فَهَؤُلاءِ اعْتَقَدُوا أَقْوَالَ هَؤُلاءِ الْفَلاسِفَةِ الْمُلْحِدِينَ ، وَسَلَكُوا مَسْلَكَ الرِّيَاضَةِ ، فَأَخَذُوا

---

(١) انظر : الرد على المنطقيين ، ص (٤٨٧– ٤٨٩) ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٤٩٢–٤٩٤) .

(٢) انظر : تفسير البيضاوي ١٤٤/٤ (بحاشية الخفاجي) ، تفسير السعدي ٤٢٩/٢ ، ٤٣٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يَتَكَلَّمُونَ بِتِلْكَ الأُمُورِ الإِلْحَادِيَّةِ الْفَلْسَفِيَّةِ ،وَيُخْرِجُونَهَا فِي قَالَبِ الْمُكَاشَفَاتِ وَالْمُخَاطَبَاتِ)[١].

دلالة اصطفاء الرسل

رأينا أن اصطفاء الرسل مرتبط بصفات ثبوتية تكون فيمن اختاره الله لرسالته ؛ فالله تعالى لايختار لرسالته إلا أفضل خلقه في دينه وخلقه وعقله وأصله ؛ وهذا يعني إخراج عدة طوائف عن الاصطفاء بالرسالة ؛ وهي :-

١- الجن ؛ فالرسالة خاصة بالإنس دون الجن ؛ لأن أصل الإنس أفضل من أصل الجن ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾يوسف: ١٠٩ ، فوصف الرجولة يخرج الجن عن الاختيار للرسالة ؛ يقول ابن القيم : (هذا يدل على أنه لم يرسل جنيا ، ولا امرأة ، ولا بدويا. وأما تسميته تعالى الجن رجالا في قوله : ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦ ﴾ الجن: ٦ ؛ فلم يطلق عليهم الرجال ، بل هي تسمية مقيدة بقوله : من الجن ؛ فهم رجال من الجن ، ولا يستلزم ذلك دخولهم في الرجال عند الإطلاق ، كما تقول رجال من حجارة ، ورجال من خشب ، ونحوه)[٢] ، وقال ابن كثير : (الرسل من الإنس فقط ، وليس من الجن رسل ، كما قد نص على ذلك مجاهد ، وابن جُرَيْج ، وغير واحد من الأئمة ، من السلف والخلف . وقال ابن عباس : الرسل من بني آدم ، ومن الجن نُذُر . وحكى ابن جرير عن الضحاك بن مُزاحم أنه زعم أن في الجن رسلا ؛ واحتج بقوله تعالى : ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ ﴾الأنعام: ١٣٠ ؛ وفي الاستدلال بها على ذلك نظر ؛ لأنها محتملة وليست بصريحة ، وهي والله أعلم كقوله تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ ﴾ الرحمن: ١٩ - ٢٢ ؛ ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرج من الملح لا من الحلو . وهذا واضح ، ولله الحمد .

والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٨/٣٧٠ ، ٣٧١ .

(٢) طريق الهجرتين ، ص (٤١٦ ، ٤١٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾النساء: ١٦٣ - ١٦٥ ، وقال تعالى عن إبراهيم : ﴿وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ ﴾ العنكبوت: ٢٧ ؛ فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، و لم يقل أحد من الناس إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل عليه السلام ثم انقطعت عنهم ببعثته)[١] .

٢- أهل البادية ؛ فالرسالة خاصة بأهل الحاضرة دونهم ؛ قال تعالى :﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓ ﴾يوسف: ١٠٩ ، فدل على اختصاص الرسالة بأهل القرى دون أهل البوادي ؛ لأنهم أعلم وأحلم ، وأقرب إلى الخير والإيمان من أهل البوادي[٢] . وهذا القول وإن قال به بعض أئمة السلف ؛ كالحسن وقتادة إلا أنه يشكل عليه قوله تعالى : ﴿وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَايَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ ﴾ يوسف: ١٠٠ ؛ فظاهر الآية يدل على البادية كانت مترل يعقوب عليه السلام ، يقول الشنقيطي : (أجيب عن هذا بأجوبة ؛ منها : أن يعقوب نُبئ من الحضر ، ثم انتقل بعد ذلك إلى البادية .

ومنها : أن المراد بالبدو نزول موضع اسمه " بدا" ؛ هو المذكور في قوله جميل ، أو كثير :

وأنت الذي حببت شغباً إلى بدا ... إليّ وأوطاني بـــلادٌ سواهما

حللت بهـــذا مـــرة ثم مـــــرة ... بهذا فطاب الواديان كلاهما

وهذا القول مروي عن ابن عباس ، ولا يخفى بعد هذا القول ، كما نبه عليه الألوسي في تفسيره .

ومنها : أن البدو الذي جاءوا منه مُستند للحضر فهو في حكمه ، والله تعالى أعلم)[٣] .

٣- العبيد ؛ لأن الرق نقص مناف لمقام النبوة ، وقيد لايمكن صاحبه من القيام بأعباء النبوة ؛ ولأن الرسل إنما تبعث في أحساب قومها ؛ روى البخاري بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حدثني أبو سفيان رضي الله عنه من فيه إلى في قال : (انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين رسول الله ﷺ قال : فبينا أنا بالشأم ، إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل ... الحديث ، وفيه : ثم قال لترجمانه : قل له إني سألتك عن حسبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك

---

(١) تفسير ابن كثير ٦١٤/٣ (بتصرف يسير) . وانظر : طريق الهجرتين ، ص (٤١٦) ، شرح العقيدة الطحاويـــــة ، ص (١٦٦) ، النبي والرسول ، ص (٢٥-٣٠) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٤٥/٤ .

(٣) دفع إيهام الاضطراب ، ص (١٧٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الرسل تبعث في أحساب قومها) .

أما مارود عن بعض السلف من القول بنبوة لقمان فقول ضعيف سندا ونظرا ؛ يقول ابـــن كثير : (اختلف السلف في لقمان ؛ هل كان نبيًا أو عبدًا صالحا من غير نبوة ؟ على قولين ، الأكثرون على الثاني ؛ لأن كونه عبدًا قد مَسَّه الرق ينافي كونه نبيا ؛ لأن الرسل كانت تبعث في أحساب قومها ؛ ولهذا كان جمهور السلف على أنه لم يكن نبيا ، وإنما ينقل كونه نبيا عن عكرمة إن صح السند إليه) [١] .

٤- من هم دون الأربعين ؛ لأنها السن التي يبلغ فيها المرء أشده ؛ والنبوة إنما تكون عند بلوغ الأشد ؛ قال تعالى عن موسى عليه السلام : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾القصص: ١٤ ؛ وهكذا شأن سيد المرسلين ﷺ ؛ (بعثه الله على رأس أربعين ، وهي سن الكمال . قيل : ولها تبعث الرسل ، وأما مايذكر عن المسيح عليه السلام أنه رفع إلى السماء وله ثلاث وثلاثون سنة فهذا لايعرف له أثر متصل يجب المصير إليه) [٢] .

٥- النساء ؛ لأن الرجل أفضل من المرأة ، والله تعالى لايختار لرسالته إلا أفضل خلقه في دينه وخلقه وعقله وأصله ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ النساء: ٣٤ ؛ قال ابن كثير : (الرجال أفضل من النساء ، والرجل خير من المرأة ؛ ولهذا كانت النبوة مختصة بالرجال ، وكذلك الملك الأعظم) [٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾يوسف: ١٠٩ ؛ فوصف الرجولة قيد يخرج بمفهومه النساء عن الاجتباء للرسالة ؛ يقول الحسن : (لم يبعث الله نبيا من أهل البادية ، ولامن الجن ، ولامن النساء) [٤] ، وقال ابن كثير : (يخبر تعالى أنه إنما أرسلَ رسُلَه من الرجال لا من النساء . وهذا قول جمهور العلماء ، كما دل عليه سياق هذه الآية الكريمة ؛ أن الله تعالى لم يُوحِ إلى امرأة من بنات بني آدم وَحي تشريع .

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/١١١-١١٣ (باختصار) . وانظر : النبي والرسول ، ص (٣٠-٣٣) .

(٢) زاد المعاد ١/٨٤ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣/٩٤ .

(٤) زاد المسير ٤/٢٩٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وزعم بعضهم[١] أن سارة امرأة الخليل ، وأم موسى ، ومريم أم عيسى نبيات ، واحتجوا بأن الملائكة بشرت سارة بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، وبقوله : وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ، وبأن الملك جاء إلى مريم فبشرها بعيسى عليه السلام ، وبقوله تعالى : وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ .

وهذا القدر حاصل لهن ، ولكن لا يلزم من هذا أن يكن نبيات بذلك[٢] ، فإن أراد القائل بنبوتهن هذا القدر من التشريف ، فهذا لا شك فيه ، ويبقى الكلام معه في أن هذا هل يكفي في الانتظام في سلك النبوة[٣] بمجرده أم لا ؟ الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة ، وهو الذي نقله الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري عنهم أنه ليس في النساء نبية ، وإنما فيهن صديقات ، كما قال تعالى ؛ مخبرا عن أشرفهن ؛ مريمَ بنت عمران حيث قال : مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ ؛ فوصفها في أشرف مقاماتها بالصدّيقية ، فلو كانت نبيّة لذكر ذلك في مقام التشريف والإعظام ، فهي صديقة بنص القرآن)[٤] .

****

(١) كابن حزم والقرطبي ، وابن حزم أشهر من تبنى القول بنبوة النساء : انظر في عرض مذهبه ، ومزيد نقد لأدلته : كتاب النبي والرسول ، (ص ١٠٥-١٤٢) .

(٢) لأن النبوة إنما تكون بوحي التشريع لا بمطلق الوحي ، أو بمجرد تكليم الملائكة ؛ فإن الملائكة قد تكلم من ليس نبيا ؛ كما في خبر الذي زار أخا له في الله فأرصد الله على مدرجته ملكا ، وكما في خبر الأقرع والأبرص والأعمى . انظر : النبي والرسول ، ص (١١٤-١١٨) .

(٣) الذي لابد منه للانتظام في سلك النبوة وحي التشريع لامطلق الوحي ؛ كما يدل لذلك قوله في أول كلامه : الله تعالى لم يوح إلى امرأة من بنات بني آدم وَحي تشريع .

(٤) تفسير ابن كثير ٤/٥٤٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الـــوحي

أهمية الوحي

الوحي بشرع أو كتاب جوهر النبوة ، وهو الميزة العظمى التي تميز بها النبي عن غيره من البشر ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ فصلت: ٦ ،وقال :﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾ إبراهيم: ١١ ؛ أي بالنبوة والرسالة ؛ فيصطفي بفضله وحكمته من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم[١] .

وإذا أضيف الوحي لغيرهم من البشر[٢] فالمراد به أحد أمرين :-

١- وحي الإلهام لا وحي التشريع ؛كما في قوله تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧ .

٢- الوحي بوساطة الأنبياء ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ المائدة: ١١١ ، فهذا وحي بوساطة عيسى عليه السلام[٣] .

معنى الوحي

الوحي لغة هو الإعلام الخفي السريع ؛ وهو أعم من أن يكون بإشارة أو كتابة أو رسالة أو إلهام غريزي أو غير غريزي .

واصطلاحا هو الإعلام بالشرع . أو إعلام الله أنبياءه بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو غير واسطة . أو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده بما أراد بطريقة خفية غير

---

(١) انظر : تفسير القرطبي ٣٤٧/٩ ، تفسير ابن كثير ٦٠٠/٤ ، تفسير الخازن ٣٥/٤ .

(٢) هذا القيد لإخراج الوحي لغير البشر ؛ كالوحي للملائكة ؛ فإنه بمعنى الكلام المباشر ؛ وكالوحي للنحل فهو بمعنى الإلهام الغريزي . وله متعلقات أخرى يختلف معنى الوحي بحسبها . انظر : مباحث في علوم القرآن ، ص (٣٣ ، ٣٤) .

(٣) انظر : المفردات ، ص (٥١٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

معتادة[١] .

أنواع الوحي

وللوحي طرق متعددة يجمعها قوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١ ؛ قال ابن القيم :(الوحي مراتب عديدة : إحداها : الرؤيا الصادقة ؛ وكانت مبدأ وحيه ﷺ ، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبـــح .

الثانية : ما كان يلقيه الملك في روعه وقلبه من غير أن يراه ؛ كما قال النبي ﷺ : (إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل أجلها ، وتستوعب رزقها ؛ فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، ولا يحملن أحدكم استبطاء الرزق على أن يطلبه بمعصية الله ؛ فإن الله تعالى لا ينال ماعنده إلا بطاعته)[٢] .

الثالثة : أنه ﷺكان يتمثل له الملك رجلا ؛ فيخاطبه حتى يعي عنه ما يقول له ، وفي هذه المرتبة كان يراه الصحابة أحيانا .

الرابعة : أنه كان يأتيه في مثل صلصلة الجرس ، وكان أشده عليه ، فيتلبس به الملك حتى إن جبينه ليتفصد عرقا في اليوم الشديد البرد ، وحتى إن راحلته لتبرك به إلى الأرض إذا كان راكبها ، ولقد جاءه الوحي مرة كذلك وفخذه على فخذ زيد بن ثابت فثقلت عليه حتى كادت ترضها .

الخامسة : أنه يرى الملك في صورته التي خلق عليها فيوحي إليه ما شاء الله أن يوحيه ، وهذا وقع له مرتين كما ذكر الله ذلك في النجم .

السادسة : ما أوحاه الله وهو فوق السماوات ليلة المعراج من فرض الصلاة وغيرها .

السابعة : كلام الله له منه إليه بلا واسطة ملك ؛ كما كلم الله موسى بن عمران ، وهذه المرتبة هي ثابتة لموسى قطعا بنص القرآن ، وثبوتها لنبينا ﷺ هو في حديث الإسراء .

وقد زاد بعضهم مرتبة ثامنة ؛ وهي تكليم الله له كفاحا ؛ من غير حجاب ، وهذا على مذهب

---

(١) انظر : المفردات ص (٥١٥-٥١٦) ، فتح الباري ٩/١ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص (٧٨ ، ٧٩) ، مناهل العرفان ، ص ٦٦/١ .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي أمامة بإسناد صحيح . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٠٨٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

من يقول : إنه ﷺ رأى ربه تبارك وتعالى ، وهي مسألة خلاف بين السلف والخلف وإن كان جمهور الصحابة بل كلهم مع عائشة ، كما حكاه عثمان بن سعيد الدارمي إجماعا للصحابة)[١] .

وهذه المراتب يمكن أن ترجع إلى طريقين رئيسين :-

أحدهما : الوحي بطريق الإلهام ؛ وهو المذكور في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا) ؛ أي إلهاما ؛ والإلهام له صورتان :-

١- رؤيا المنام ؛ كما في قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ الصافات: ١٠٢ ، قال ابن عباس رؤيا الأنبياء وحي . وكما في رؤية نبينا محمد ﷺ في منامه بأنهم سيدخلون البلد الحرام ، ثم كان كما رأى .

٢- الالقاء في القلب حال اليقظة ؛ كما في قوله ﷺ : (إن روح القدس نفث في روعي أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها و تستوعب رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب)[٢] .

والثاني : الوحي بطريق الكلام ؛ وهو المذكور في قوله : (أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ) ؛ والوحي بهذا الطريق له صورتان :-

١- التكليم المباشر ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ۚ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ الأعراف: ١٤٣ ، وهذا المقام ثابت لنبينا محمد ﷺ أيضا ، وذلك ليلة المعراج . وفي قوله تعالى : (قَالَ لَن تَرَىٰنِي) دلالة على أن التكليم المباشر لاتكون معه رؤية . وهذا محل إجماع بين علماء السلف لم يتنازعوا إلا في رؤية النبي ﷺ ليلة المعراج ؛ فقيل رآه بعين رأسه ، وقيل إنه لم يره وإنما رأى نور الحجاب ؛ وهو الصحيح الذي تؤيده النصوص[٣] .

وقد يكون التكليم المباشر حال المنام ؛ لحديث : (أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صورة فقال : يا محمد هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى[٤] ؟ قلت : لا . فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي ؛ فعلمت ما في السموات و ما في الأرض . فقال : يا محمد هل تدري

---

(١) زاد المعاد ١/٧٨-٨٠ .

(٢) رواه أبو نعيم في الحلية من طريق أبي أمامة ﷺ بسند صحيح . صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٠٨٥) .

(٣) انظر : الوعد الأخروي ١/١٨٣-١٨٥ .

(٤) الملأ الأعلى هم الملائكة ، أو المقربون منهم . انظر : اختيار الأولى ، ص (٤٢) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : نعم في الكفارات والدرجات . والكفارات : المكث في المساجد بعد الصلوات ، والمشي على الأقدام إلى الجماعات ، وإسباغ الوضوء في المكاره . قال : صدقت يا محمد ! و من فعل ذلك عاش بخير ، ومات بخير ، وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه . وقال : يا محمد إذا صليت فقل : اللهم إني أسألك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحب المساكين ، وأن تغفر لي وترحمني وتتوب علي ، وإذا أردت بعبادك فتنة فاقبضني إليك غير مفتون . والدرجات : إفشاء السلام ، وإطعام الطعام والصلاة بالليل والناس نيام)[١] ؛ وفي رواية : (أني قمت من الليل فتوضأت وصليت ما قدر لي ، فنعست في صلاتي حتى استثقلت ، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة ، فقال : يا محمد ! قلت لبيك رب . قال : فيم يختصم الملأ الأعلى ... الحديث بمثله)[٢] .

٢- التكليم بوساطة ملك ؛ وقد بين النبي ﷺ صفة هذا الطريق بقوله : (أحيانا يأتيني - يعني الوحي - في مثل صلصلة الجرس ، وهو أشده علي ، فيفصم عني وقد وعيت ما قال ، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول)[٣] ، ويبدو أن سماع الصلصلة مختص بالنبي ﷺ ، وأن الصحابة إنما يسمعونه كدوي النحل[٤] ؛ لمارواه البغوي بسند حسن[٥] عن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال : (كَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْوَحْيُ نَسْمَعُ عِنْدَ وَجْهِهِ كَدَوِيِّ النَّحْلِ) . والله أعلم[٦] .

طريق الوحي بالقرآن

الوحي بالقرآن كان بوساطة ملك لا بجميع طرق الوحي السابقة[٧] ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ

---

(١) رواه أحمد وغيره من طريق ابن عباس رضي الله عنه بسند صحيح . صحيح الجامع الصغير ، ح (٥٩) .

(٢) رواه أحمد وغيره عن معاذ بسند صحيح . تخريج المشكاة للألباني ، ح (٧٤٨) .

(٣) متفق عليه . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٢١٣) .

(٤) انظر : فتح الباري ١/ ١٩.

(٥) شرح السنة ١٧٧/٥ ، ح (١٣٧٦) .

(٦) انظر : الإتقان ١/ ٥٩ ، ٦٠ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص (٧٩ ، ٨١) ، المعرفة في الإسلام ، ص(٣٥-٦٦) .

.

(٧) انظر : مناهل العرفان ٦٦/١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ الشعراء: ١٩٢ – ١٩٥ ؛ فالملك تلقى القرآن من الله لفظا ومعنى ، ثم بلغه للنبي ﷺ كما سمعه ، وعلى هذا علماء السلف ؛ قال ابن تيمية : (اسْتَفَاضَتْ الآثَارُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ السُّنَّةِ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ يُنَادِي بِصَوْتٍ ؛ نَادَى مُوسَى ، وَيُنَادِي عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَوْتٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِالْوَحْيِ بِصَوْتٍ ، وَلَمْ يُنْقَلْ عَنْ أَحَدٍ مِنْ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ : إنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِلا صَوْتٍ أَوْ بِلا حَرْفٍ)[1] .

وأما المتكلمون فقد أنكروا أن يكون جبريل عليه السلام قد سمع لفظ القرآن من الله ؛ لأن وصف الله بالصوت يستلزم أن تقوم به الحوادث ، وماقامت به الحوادث فهو حادث ! ولهذا زعم المعتزلة أن القرآن من مخلوقات الله البائنة عنه لا من صفاته القائمة به ؛ فالله لم يتكلم بالقرآن ، وإنما خلقه في غيره ؛ كاللوح أو جبريل أو النبي ! وهذا المعتقد يخالف النصوص الصريحة في أن القرآن منزل غير مخلوق ؛ كقوله تعالى : ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ الفرقان: ١ ، وقوله : ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ غافر: ٢ ، وقوله :﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ الدخان: ١ - ٣ .

وذهبت الأشاعرة والماتريدية إلى أن كلام الله هو المعنى القائم بذات الرب دون الصوت المسموع ؛ ولهذا قالوا : إن جبريل عليه السلام فهم هذا المعنى ونقله إلى النبي بلفظ من عنده لا من عند الله ، أو أن النبي جبريل نزل بالمعاني فقط وأن النبي ﷺ علمها وعبر عنها بلغة العرب ، أو أن الله خلق القرآن في اللوح المحفوظ أو في الهواء فسمعه جبريل ثم نقله كما سمعه ! وهذا المعتقد يستلزم أن يكون الوحي كله إلهاما ، وهو خلاف النصوص التي فرقت بين الوحي بطريق الكلام والإلهام ؛ قال ابن حجر : (هذا حاصل كلام من ينفي الصوت من الأئمة ، ويلزم منه أن الله لم يسمع أحدا من ملائكته ورسله كلامه بل ألهمهم إياه)[2] ،كما أنه يناقض عقيدتهم في وحدة كلام الله تعالى ؛ لأنهم إن قالوا فهم كل الكلام الله فقد جعلوا علمه كعلم الله ! وإن قالوا فهم بعضه نقضوا مذهبهم في القول بوحدة الكلام ، وأنه معنى واحد .

ومما يبطل كلا القولين أن النصوص صرحت بوصف الله بالصوت ، وأن جبريل عليه السلام يتلقى

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٢ ، ٣٠٥ .

(٢) فتح الباري ٤٥٨/١٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الوحي سماعا من الله تعالى ؛ روى البخاري بسنده عن أبي سعيد ﷺ رفعه : (يقول الله : يا آدم! فيقول لبيك وسعديك . فينادي بصوت : إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار) ، وروى أبن أبي عاصم بسند صحيح[١] عن عبدالله بن أنيس الأنصاري ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : (يحشر الله العباد ، أو قال يحشر الله الناس ، وأومأ بيده إلى الشام ؛ عراة غرلا بهما قلت : ما بهما ؟ قال : ليس معهم شيء ؛ فينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك ، أنا الديان ، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطالبه بمظلمة ، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطالبه بمظلمة ، قالوا: وكيف وانا نأتي الله عراة غرلا بهما ؟ قال : بالحسنات والسيئات) ، وروى أبوداود بسند صحيح[٢] عن ابن مسعود ﷺ يرفعه : (إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماء الدنيا صلصلة ؛ كجر السلسلة على الصفا ، فيصعقون ، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل عليه السلام حتى إذا جاءهم جبريل عليه السلام فزع عن قلوبهم ؛ فيقولون : يا جبريل ماذا قال ربك ؟ فيقول : الحق. فيقولون : الحق الحق) . والله أعلم[٣] .

إلهام غير الأنبياء

الإلهام وإن كان طريقا من طرق الوحي إلا أنه قد يقع لغير الأنبياء ؛ قال تعالى :﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ ﴾ القصص: ٧ ، وقال ﷺ : (قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم أناس محدثون ، فإن يك في أمتي أحد منهم فهو عمر بن الخطاب)[٤] ؛ والمحدث هو الملهم ؛ والملهم من ألقي في رُوعه شيء من قبل الملأ الأعلى . فعلم أن الإلهام قد يقع لغير الأنبياء ، ولكنه لايكون معصوما كإلهام الأنبياء ؛ ولهذا لايكون حجة إلا إذا لم يخالف حكما شرعيا ؛ وحجيته مقيدة بمواطن الاشتباه ، أوالترجيح بين المباحات ، أوالأدلة المتكافئة . ومن فروع هذا الإلهام الرؤيا الصالحة ؛ وهي كذلك لا تكون

---

(١) كتاب السنة ومعه ظلال الجنة ، ح (٥١٤) .

(٢) صحيح الجامع الصغير ، ح (٤٣٦) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٦٨-١٨٨) ، الإتقان ٥٨/١ ، المدخل لدراسة القرآن الكريم ، ص (٧٩ ، ٨٠) ، المعرفة في الإسلام ، ص (٤٤-٥٩) ، مناهل العرفان ٥٢/١ ، ٥٣ ، مباحث في علوم القرآن ، ص (٣٥) .

(٤) متفق عليه . انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٤٣٧٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

حجة في الأحكام الشرعية ، وإنما يستأنس بها في الترغيب والترهيب ؛ يقول الشاطبي : (وأضعف أهل البدع احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات ؛ فيقولون : رأينا فلاناً الرجل الصالح ، فقال لنا : اتركوا كذا ، واعملوا كذا . ويتفق هذا كثيراً للمتمرسين برسم التصوف ، وربما قال بعضهم : رأيت النبي ﷺ في النوم ، فقال لي كذا وأمرني بكذا ، فيعمل بها ويترك بها ؛ معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة ، وهو خطأ ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغتها عمل بمقتضاها ، وإلا وجب تركها والإعراض عنها ، وإنما فائدتها البشارة ، أو النذرة خاصة ، وأما استفادة الأحكام فلا ... ولا يقال : إن الرؤيا من أجزاء النبوة ، فلا ينبغي أن تهمل ، وأيضاً إن المخبر في المنام قد يكون النبي ﷺ ، وهو قد قال : من رآني في النوم فقد رآني حقاً ، فإن الشيطان لا يتمثل بي ! وإخباره في النوم كإخباره في اليقظة .

لأنا نقول : إن كانت الرؤيا من أجزاء النبوة فليست إلينا من كمال الوحي ، بل جز من أجزائه ، والجزء لا يقوم مقام الكل في جميع الوجوه ، بل إنما يقوم مقامه في بعض الوجوه ، وقد صرفت إلى جهة البشارة والنذارة ، وفيها كفاية .

وأيضاً فإن الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة من شرطها أن تكون صالحة من الرجل الصالح ، وحصول الشروط مما ينظر فيه ، فقد تتوفر ، وقد لا تتوفر .

وأيضاً فهي منقسمة إلى الحلم ، وهو من الشيطان ، وإلى حديث النفس ، وقد تكون بسبب هيجان بعض أخلاط ، فمتى تتعين الصالحة حتى يحكم بها !

ويلزم أيضاً على ذلك أن يكون تجديد وحي بحكم بعد النبي ﷺ، وهو منهي عنه بالإجماع ... ، وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله ﷺ الرائي بالحكم فلا بد من النظر فيها أيضاً ، لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته ، فالحكم بما استقر ، وإن أخبر بمخالف ، فمحال ، لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته ، لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية ، لأن ذلك باطل بالإجماع . فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه ، وعند ذلك نقول : إن رؤياه غير صحيحة . إذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع . لكن يبقى النظر في معنى قوله ﷺ : (من رآني في النوم فقد رآني) ؛ وفيه تأويلان : احدهما : ما ذكره ابن رشيد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية ، فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي ﷺ ، فقال له : ما تحكم بهذه الشهادة ؟ فإنها باطلة . فأجاب بأنه لا يحل له أن يترك العمل بتلك

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الشهادة ، لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا ، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد ، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤياهم وحي ، ومن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة . ثم قال : وليس معنى قوله : "من رآني فقد رآني حقاً" أن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة . بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ، ويراه الرائي على صفة ، وغيره على صفة أخرى . ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته . وإنما معنى الحديث : من رآني على صورتي التي خلقت عليها . فقد رآني ، إذ لا يتمثل الشيطان بي ؛ إذ لم يقل : من رأى أنه رآني فقد رآني . وإنما قال : من رآني فقد رآني . وأنى لهذا الرائي الذي رأى أنه رآه على صورة أنه رآه عليها ؟ وإن ظن أنه رآه ، ما لم يعلم أن تلك الصورة صورته بعينها ، وهذا ما طريق لأحد إلى معرفته . فهذا ما نقل عن ابن رشيد . وحاصله يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي ﷺ ، وإن اعتقد الرائي أنه هو .

والتأويل الثاني يقوله علماء التعبير : إن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم فيشير له إلى رجل آخر : هذا فلان النبي ، وهذا الملك الفلاني ، أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به . فيوقف اللبس على الرائي بذلك ، وله علامة عندهم . وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع ، فيظن الرائي أنه من قبل النبي ﷺ ، ولا يكون كذلك ، فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى ... وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المُنة . نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة ، بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ، ولا يبنون عليها أصلاً ، وهو الاعتدال في أخذها ، حسبما فهم من الشرع فيها ، والله أعلم)[١] .

دعوى الاستغناء بالإلهام

توسع الصوفية في التعويل على إلهام الأولياء ، فاعتبروه حجّة شرعيّة بمنزلة الوحي المسموع أو أعلى ، قال الجرجاني : (الإلهام .. ليس بحجّة عند العلماء إلاّ عند الصوفيين)[٢] . وهو حجّة

---

(١) الاعتصام ١/ ٢٦٠-٢٦٤ ،(بتصرف يسير) .

(٢) التّعريفات للجرجاني ص ٣٤ ، فتح الباري ٣٨٨/١٢ ، شرح الكوكب المنير للفتوحي ٣٣٠/١ ، أضواء البيان ٢٠٤/٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عندهم في حقّ الملهم وحده [١] ، فالملهم له أن يعمل بما يلقى في قلبه من الخواطر والإلهامات حتَّى لو خالف الشّريعة ظاهرًا أو باطنًا ، أو وصل لدرجة الاستغناء بالإلهام عن الشّرع كلّه ؛ كما استغنى به الخضر عن الشّريعة الموسوية ، واستغنى به أهل الصفّة عن الشّريعة المحمّديّة [٢] ! وقد توسّعوا في الاحتجاج بالإلهام والتأصيل لقبوله ؛ فزعموا أنّ الدِّين قسمان ؛ حقيقة وشريعة [٣] ، والرّسول إنّما بلّغ الشّريعة دون الحقيقة ؛ واعتبروا الإلهام طريق العارف للحقيقة كما أنّ الوحي طريق العالم لمعرفة الشّريعة ، ثُمَّ ادّعوا أنَّ مقام الحقيقة أسمى من مقام الشّريعة ؛ لأنّ علم الشّريعة أصله الوحي ، والوحي إنّما كان بوساطة الملك ، وحجاب الحرف والصّوت خلافًا للإلهام المجرّد فإنّه يفيض على العارف من العقل الفعّال بلا وسيط ولا حجاب [٤] !!

وقد راج أصل هذه الدّعوى على كثير من النّاس [٥] لأسباب كثيرة أهمّها الاغترار بما يبرّرون به توسّعهم في الإلهام من أدلّة شرعيّة دون إدراك لتأثير الفلسفة الهنديّة واليونانيّة في المعرفة الصوفيّة ، وارتباطها بنظريّة الفيض وتفسيرات الفلاسفة للنبوّة ، ودون تدبّر لمآل تعويلهم على هذه الحجّة ،

---

(١) انظر : الفتوحات المكيّة لابن عربي ١٣٦/١ ، ٤٥٦/٣ ، طبقات الشعراني ١٧٣/١ ، حاشية العطّار على شرح المحلّي ٣٨٠/٥ ، أضواء البيان للشنقيطي ٢٠٤/٤ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٤٠/١١ ، مجموع الفتاوى ١٦٥/١١ ، ١٧٠ ، ٤٢٢ ، أضواء البيان ٢٠٥/٤ .

(٣) الشّريعة عندهم أو علم الظّاهر عبارة عن الالتزام بأمر اللّه ونهيه ، والحقيقة عبارة عن شهود القدر بمعنى الإيمان بانفراد الربّ بالخلق والتّدبير والجريان مع هذه الحقيقة ، والاستسلام لها ، والاحتجاج بها ؛ فمن نظر للخلق بعين الحقيقة عذرهم ، ومن نظر إليهم بعين الشّريعة مقتهم !!

وهذا معنى الحقيقة عند عامّتهم ، أمّا غلاتهم فيعنون بالحقيقة شهود وحدة الكون كلّه ؛ بمعنى أن ترى الكون كلّه واحدًا ؛ لا فرق بين الربّ والعبد ، والقديم والمحدث . انظر : الرّسالة القشيرية ٢٦١/١ ، موقف ابن القيِّم من التّصوّف للدّكتور عبد الرؤوف خيري ص ٢٣١ ــ ٢٤٦ .

(٤) انظر : بغية المرتاد لابن تَيْمِيَّة ص ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، الصفديّة لابن تَيْمِيَّة ٢٣٠/١ ، ٢٣١ ، مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢ ، ٢٠٩ ، ٥٥٦/١٢ ، ٥٥٧ ، روح المعاني للآلوسي ١٨٩/٦ ، ١٩٠ ، موقف ابن القيِّم من التصوّف ص ٢٦٣ ــ ٢٧٨ . [ذكر الباحث في هذا الموضع فصلاً مفيدًا عن المعرفة الصوفيّة موثّقًا من كتبهم ، فراجعه إن شئت] .

(٥) بلغ اغترار بعض النّاس بدعوى الولاية والإلهام أنّه إذا اعتقد ذلك في شخص سلّم إليه جميع ما يفعله حتَّى لو كان مخالفًا للشّريعة . انظر : مجموع الفتاوى ٢٠٣/١١ ، ٢٠٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وأنّ عاقبتها الاستغناء بالإلهام عن الوحي ، وبمعرفة الحقيقة عن لزوم الشّريعة !! ولا شكّ أنّ الحدّ من تأثير هذا السّبب يقتضي ذكر أهمّ أدلّتهم على حجيّة الإلهام لمعرفة درجتها وحدود دلالة الثّابت منها ؛ **فمن ذلك** قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ البقرة: ٢٨٢ ، وقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ ﴾ الطلاق: ٢ ؛ فوعد كلّ وليّ بعلم لدنّي يدرك به الحقائق ، ويميّز به بين الحقّ والباطل حتّى يخرجه من كلّ ما اشتبه وجه الحق فيه [١] .

ومنها : قوله تعالى : ﴿ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨ ﴾ الشمس: ٧ - ٨ ، وقوله : ﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ ﴾ النحل: ٦٨ ؛ فكلّ نفس مكلّفة وغير مكلّفة تعرف بالإلهام طريق مصلحتها ؛ فيكون الإيقاع في أكرم وأصفى النّفوس (النّفس البشريّة) طريقًا معتبرًا لمعرفة الخير والشرّ من باب أولى [٢] .

ومنها : ما رواه البخاريّ بسنده عن أبي هريرة ﷺ رفعه : (لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الأُمَمِ مُحَدَّثُونَ فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ) ؛ قال ابن وهب : تفسير محدّثون ملهمون [٣] .

وروى الترمذيّ بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ رفعه : (اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ۝٧٥ ﴾ الحجر: ٧ [٤] ؛ فدلّ على أنّ الإلهام حقّ ، وأنّه طريق الأولياء في المعرفة والاطّلاع على بواطن الأمور ومكنونات الصّدور ، وخواطر القلوب ! [٥]

ومنها : ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي ثعلبة الخشني ﷺ مرفوعًا : (الْبِرُّ مَا سَكَنَتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَالإِثْمُ مَا لَمْ تَسْكُنْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ ، وَإِنْ

---

(١) انظر : البحر المحيط للزّركشيّ ٣٨٤/٧ ، ٣٨٥ .

(٢) انظر : فتح الباري لابن حجر ٣٨٨/١٢ ، شرح الكوكب المنير للفتوحي ٣٣٠/١ ، ٣٣١ .

(٣) انظر : صحيح مسلم ، فضائل الصحابة ، ح (٤٤١١) . وهذا قول الأكثر ، وقيل : الملهم من يجري الصّواب على لسانه من غير قصد ، وقيل : من تكلّمه الملائكة بغير نبوّة ، وقيل : إنّ الإلهام بمعنى الفراسة ، وقيل إنّه غيرها ؛ لأنّ الفراسة قد تتعلّق بنوع كسب وتحصيل ، والإلهام موهبة مجرّدة لا تنال بكسب أَلْبَتَّة . انظر : فتح الباري ٥٠/٧ ، مدارج السَّالكين ٤٤/١ ــ ٥٠ .

(٤) جامع الترمذي ، تفسير القرآن ، ح (٣٠٥٢) وفي إسناده عطيّة العوفي ، وهو ضعيف مدلّس ، وله طرق أخرى كلّها ضعيفة . انظر : سلسلة الأحاديث الضّعيفة للألباني ٢٩٩/٤ ــ ٣٠٢ ، ح (١٨٢١) .

(٥) انظر : فتح الباري ٣٨٨/١٢ ، أضواء البيان ٢٠٤/٤ ، موقف ابن القيّم من التصوّف ص ٢٧٤ ــ ٢٧٦ . وقد ذكر الباحث في هذا الموضع عدّة نماذج من استدلالهم بالفراسة على معرفة خواطر المريدين ، فراجعه إن شئت .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ) [١] ، وروى بسنده عن وابصة بن معبد الأسدي ﷺ مرفوعًا : (اسْتَفْتِ قَلْبَكَ ، وَاسْتَفْتِ نَفْسَكَ ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ، الْبِرُّ مَا اطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ النَّفْسُ ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) [٢] ؛ فقدّم شهادة القلب على الفتوى ، وأمر بالتّعويل عليها ، والصّدور عنها حين الإقدام على الفعل أو الأحجام عنه ؛ فدلّ على حجيّة ما يلقى في القلب من الإلهامات ، واعتبارها الطّريق المقدّم من طرق المعرفة الدِّينيّة [٣] ؛ قال السهروردي : (علم اليقين ما كان من طريق النّظر والاستدلال ، وعين اليقين ما كان من طريق الكشف والنوال) [٤] .

هذا أهمّ ما اعتمدوا عليه من حجج شرعيّة ؛ لتسويغ توسّعهم في الاستدلال بالإلهام واعتباره أعلى طرق المعرفة الدِّينيّة ، وهو توسّع مرفوض وشطط ممقوت ، إلاّ أنّ هذا لا يعني إنكار الإلهام ورفض الاعتماد عليه بإطلاق ؛ فالإلهام ثابت لا شكّ في ذلك ؛ فقد يكرم الله بعض أوليائه بكشفٍ في كلماتٍ كونيّةٍ أو قدريّةٍ حتَّى يعلم منها ما لا يعلمه غيره ، والثّابت من أدلّتهم إنّما يدلّ على هذا القدر ؛ وأنّ الله يقذف في قلوب بعض أوليائه نورًا أو علمًا وهدى يدركون به بعض الحقائق ، ويفصلون به بين الحقّ والباطل [٥] ، ولكن لا يجوز لهم العمل بمقتضى هذه المعرفة المعرفة دون اعتبار لأدلّة الشّرع وقواعده ومقاصده ؛ لأنّ العصمة من الضلال منوطة بالاعتصام

---

(١) المسند ، مسند الشّاميين ، ح (١٧٠٧٦) . قال الهيثميّ : رجاله ثقات ، وقال الجماز : إسناده صحيح . انظر : مجمع الزوائد للهيثمي ١/١٨٠ ، ١٨١ ، تخريج أحاديث مسند الشّاميين للجماز ٢/٢٨٠ ، ٢٨١ ، ح (٩٢١) .

(٢) المسند ، مسند الشّاميين ، ح (١٧٣٢٠) . وأخرجه الدّارمي بنحوه : سنن الدّارمي ، البيوع ، ح (٢٤٢١) . قال الهيثمي : فيه أيوّب بن عبد اللّه بن مكرز ، قال ابن عدي : لا يتابع على حديثه ، ووثّقه ابن حبّان ؛ ولهذا صحّح الجماز إسناده اعتمادًا على توثيق ابن حبّان . انظر : مجمع الزوائد للهيثمي ١/١٨٠ ، تخريج أحاديث مسند الشّاميين ٢/٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ح (١١٧٥) .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ١١/٤٠ ، الاعتصام للشّاطبيّ ١/١٥٣ ، ١٥٤ ، فتح الباري لابن حجر ١٢/٣٨٨ ، شرح الكوكب المنير للفتوحي ١/٣٣١ ، أضواء البيان للشّنقيطيّ ٤/٢٠٧ .

(٤) عوارف المعارف للسهروردي ، ص ٥٢٧ ، ٥٢٨ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ١١/٣١٣ ، ٣٢٢ ، شرح الطحاوية ص ٤٩٦ ، ٤٩٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بالكتاب والسنّة ، وردّ المسائل والدّلائل إليهما ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ[(١)] ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾آل عمران: ١٠٣، وقال : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣ ، وقال ﷺ : (تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ ؛ كِتَابُ اللَّهِ)[(٢)] ، وقال : (عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ ، تَمَسَّكُوا بِهَا ، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ)[(٣)] ، فكلّ دليل فمرجعه إلى الكتاب والسنّة ؛ اعتبارًا وإلغاءً وتخصيصًا وتقييدًا ، وقد دلّ الكتاب والسنّة على أنّ الإلهام لا يجوز اعتباره ابتداءً ، وتقديمه بين يدي الله ورسوله ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ النساء: ١٠٥ ، فأمر نبيّه ﷺ بالحكم بما أراه الله لا بما رآه وحدّثته به نفسه ؛ فغيره من البشر أولى بأن يكون ذلك محظورًا عليه . وقال : ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ النساء: ٥٩ ؛ فأمر تعالى المتنازعين بالرّجوع إلى الله ورسوله دون حديث النّفوس وفتيا القلوب . وقال : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٧ ؛ فأمر الجاهل بالرّجوع إلى أهل العلم بأدلّة الكتاب والسنّة لا باستفتاء نفسه ، والتّعويل على إلهاماته وخواطره[(٤)] . وأمّا ما ورد من الأمر بردّ الفتوى إلى القلب فليس أمرًا بالتّعويل على الإلهام ، وتقديمه على أدلّة الشّرع كما توهّموا ؛ لأنّ الأمر بالردّ للقلب إنّما هو في مناط الحكم لا في دليله ؛ قال الشّاطبيّ : (كلّ مسألة تفتقر إلى نظرين ؛ نظر في دليل الحكم ونظر في مناطه ؛ فأمّا النّظر في

---

(١) المراد بحبل اللّه : الكتاب والسنّة ؛ لأنّ التمسّك بهما سبب لحصول المقصود كما أنّ الحبل الحسيّ سبب لحصول مقصود العبد من سقي وغيره . انظر : فتح الباري ٢٤٥/١٣ .

(٢) صحيح مسلم : كتاب الحجّ ، ح (٢١٣٧) . والمراد الاعتصام بالكتاب والسنّة معًا كما وقع بسند حسن عند الحاكم والبيهقيّ وغيرهما . انظر : المستدرك ٣٠٦/١ ، السّنن الكبرى ١١٤/١٠ ، دلائل النبوّة ٥٤/٦ ، حاشية المفهم ٢١٨/٦ .

(٣) سنن أبي داود ، كتاب السنة ، ح (٣٩٩١) . وأخرجه بنحوه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والدارمي ، وصحّحه الترمذي والألباني وغيرهما . انظر : مسند الإمام أحمد ، مسند الشاميين ، ح (١٦٥١٩) ، جامع الترمذي ، العلم ، ح (٢٦٠٠) ، سنن ابن ماجه ، المقدّمة ، ح (٤٢ ، ٤٣) ، سنن الدارمي ، المقدّمة ، ح (٩٥) ، سلسلة الأحاديث الصّحيحة للألباني ٦٤٧/٢ ، ح (٩٣٧) ، تخريج الطحاوية للألباني ص ٣٨٣ ، ح (٥٠١) .

(٤) انظر : الاعتصام للشّاطبيّ ١٥٥/٢ ، ١٥٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

دليل الحكم فلا يمكن أن يكون إلاّ من الكتاب والسنّة أو ما يرجع إليهما من إجماع أو قياس أو غيرهما ولا يعتبر فيه طمأنينة النفس ولا نفي ريب القلب . وأمّا النّظر في مناط الحكم فلا يلزم منه أن يكون المناط ثابتًا بدليل شرعيّ فقط ، بل يثبت بدليل غير شرعيّ أو بغير دليل ، فإذا تحقّق المناط بأيّ وجه تحقّق فهو المطلوب فيقع عليه الحكم بدليله الشرّعيّ ، فإذا قلنا مثلاً بوجوب الفور في الطّهارة ، وفرّقنا بين اليسير والكثير فقد يكتفي العامي في ذلك بشهادة قلبه في تحديد اليسير والكثير ، فتبطل طهارته أو تصحّ بناءً على ما وقع في قلبه ؛ لأنّه نظر في مناط الحكم . وكذلك في ذكاة بهيمة الأنعام مثلاً ؛ فالشّرع دلّ على اشتراط الذّكاة بشروط معيّنة ، ولكن تحقّق هذه الشّروط في بهيمة معيّنةٍ يرجع إلى ما وقع في القلب ، واطمأنّت إليه النَّفْس ؛ لأنّه نظر في مناط الحكم لا في دليله ، وهكذا . وكذلك يرد إلى القلب إذا أشكل على المالك تحقيق المناط و لم يشكل على غيره ؛ كما لو اختلطت عليه ميتة بمذكّاة ، أو زوجته بأجنبيّة ، فهنا يتعيّن عليه ترك الجميع ؛ طلبًا لطمأنينة القلب حتَّى لو أفتاه المفتون ؛ لأنّ تحقيق العبد لمناط مسألته أخص به من تحقيق غيره له . وليس المراد بقوله ﷺ : (وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ) أي نقلوا إليك الحكم الشرّعيّ فاتركه ، وانظر إلى ما يفتيك قلبك ؛ فإنّ هذا باطل وتقوّل على التَّشريع ، وإنّما المراد ما يرجع إلى تحقيق المناط ؛ فظهر أنّ الأحاديث لم تتعرّض لاقتناص الأحكام الشرعيّة من طمأنينة النّفس أو ميل القلب)[1] ؛ وأنّ أدلّة الأحكام الشرعيّة منحصرة في الكتاب والسنّة وما يرجع إليهما ؛ ولهذا كان المعتمد عند جمهور أهل العلم أنّ الإلهام لا يجوز التَّعويل عليه إلاّ بعد ردّه للكتاب والسنّة ؛ فإن شهدا له بالقبول جاز العمل به في حق المُلهم وحده ؛ وبخاصّة عند الاشتباه ، وخفاء الأدلّة في واقعة معيّنة[2] ؛ قال ابن تَيْمِيَّة : (إذا اجتهد السّالك في الأدلّة الشرعيّة الظَّاهرة فلم ير فيها ترجيحًا ، وأُلهم حينئذ رجحان أحد الفعلين مع حسن قصده وعمارته بالتّقوى فإلهام مثل هذا **دليل في حقّه** ، قد يكون أقوى من كثير من الأقيسة الضّعيفة ، والأحاديث الضّعيفة ، والظّواهر الضّعيفة ، والاستصحابات الضّعيفة الّتي يحتجّ بها كثير من

---

(١) الاعتصام ١٦١/٢ ــ ١٦٣ [بتصرّف] .

(٢) انظر : فتح الباري لابن حجر ٣٨٨/١٢ ، ٣٨٩ ، شرح الكوكب المنير للفتوحي ٣٣١/١ ، ٣٣٢ ، أضواء البيان للشّنقيطيّ ٢٠٣/٤ ، ٢٠٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الخائضين في المذاهب والخلاف وأصول الفقه) [١] .

ومّما يدلّ على أنّ الإلهام ليس بحجّة شرعيّة مستقلّة أمران مهمّان : -

أحدهما : أنّ الحجّة الشرعيّة لا بُدّ أن تكون معصومة ، وظاهرة ، وسالمة عن المعارض المقاوم ؛ والخواطر والإلهامات قد تكون من الله ، وقد تكون من النَّفْس ، وقد تكون من الشَّيطان ؛ فلا يجوز أن تنزّل منزلة الحجج الشرعيّة المعصومة ، وينبغي أن تنزّل منزلة الرؤى ؛ لأنّها محتملة كاحتمالها ، وقد تكون أدنى منزلة منها ؛ لأنّ الرؤى تقع لكلّ أحد ، ولها قواعد مقرّرة ، وتأويلات مضبوطة بخلاف الإلهام فلا يقع إلاّ نادرًا ، ولا يرجع إلى قواعد تميّزه عن لمة الشيطان [٢] .

وإذا كان الإلهام ليس بمعصوم كالحجج الشرعيّة فهو كذلك لا يجري على سننها في الظّهور وانتفاء المعارضة ، وإنّما هو خواطر ونكت تعرض للقلب ولا يقف عليها أحد غير مدّعي الإلهام ، ويمكن لكلّ أحد أن يعارض دعواه بمثلها ؛ فإذا قال : وقع في قلبي أنّ هذا حقّ أمكن لخصمه أن يقول : وقع في قلبي أنَّهُ باطل ، والدّليل إذا لم ينفكّ عن المعارضة لم يكن حجّة ؛ لأنّ لزوم المعارضة كلزوم المناقضة ؛ كلاهما يدلاّن على العجز والجهل والسّفه ؛ وهو ما يستحيل أن تستلزمه الأدلّة الشرعيّة المعصومة [٣] .

والثّاني : أنّ إطلاق القول بحجيّة الإلهام يفضي إلى اتّباع الظنّ والهوى ؛ لأنّ إلهام الوليّ الصّادق فضلاً عن غيره ليس بمعصوم من الإلقاء الشيطاني والظنّ النّفسي ؛ قال ابن تَيْمِيَّة : (ليس من شرط وليّ الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشّريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدِّين ؛ حتَّى يحسب بعض الأمور ممّا أمر الله به وممّا نهى الله عنه ، ويجوز أن يظنّ في بعض الخوارق أنَّها من كرامات أولياء الله تعالى ، وتكون من الشّيطان لبّسها عليه لنقص درجته ولا يعرف أنَّها من الشّيطان وإن لم يخرج بذلك عن ولاية الله ؛ فإنّ الله

---

(١) مجموع الفتاوى ٤٧٣/١٠ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ٤٢٩/١١ ، فتح الباري لابن حجر ٣٨٨/١٢ ، ٣٨٩ ، أضواء البيان للشّنقيطيّ ٢٠٤/٤ .

(٣) انظر : كشف الأسرار للبزدوي ٤٧٨/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تعالى تجاوز لهذه الأمّة عن الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) [١] . وعلى هذا هدي الصَّحابة المطّرد في الوقائع المختلفة حتَّى إنَّ عمر بن الخطّاب وهو أعظم الملهمين في هذه الأمّة كانت النكتة تقع في قلبه فلا يعمل بها ابتداءً ؛ لعلمه باحتمال أن تكون ظنًّا نفسيًّا أو إلقاء شيطانيًّا ، وإنّما يعرضها على الشّرع فتارة يوافقه ويكون ذلك من فضائله ، وتارة يخالفه فيرجع إلى الحقّ والشّرع ؛ كما رجع عن رأيه يوم الحديبية ، وعن إنكاره لموت النَّبيّ ﷺ ، وعن اعتراضه على قتال مانعي الزَّكاة ، وكذلك شأنه حين ولي الإمامة العظمى ، فكان يشاور الصَّحابة ويناظرهم ، ويرجع لرأيهم دون أن يقول : أنا محدّث ، فلا تعارضوني ، أو سلّموا لي حالي حتَّى لو خالف الكتاب والسنّة [٢] .

وكذلك فإنّ الاحتجاج المطلق بالإلهام قد يتدرّج بصاحبه إلى الاستغناء عن الوحي ، وافتراء الكذب على الله ، وهو ما انتهى إليه بعض غلاة الصوفيّة وهم يحسبون أنّهم مهتدون مقتدون بالخضر وأهل الصفّة في الاستغناء بعلم الحقيقة عن علم الشّريعة ! وهو ظنّ خاطئ ؛ فالخضر عليه السلام فعل ما فعله بالوحي لا بالإلهام : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾الكهف: ٨٢ ، وليس فيما فعله خروج عن شريعة موسى عليه السلام ؛ ولهذا سلَّم للخضر عليه السلام حين أنبأه بأسباب أفعاله . ولو سلّمنا أنّه خالفه فإنّ شريعة موسى عليه السلام لا تلزمه ؛ لأنّها كانت خاصّة ببني إسرائيل ، وليست عامّة كشريعة محمَّد ﷺ الَّتي لا يسع أحدًا من الخلق الخروج عنها ؛ ولهذا كان جميع الصَّحابة مذعنين لشريعته ، وجنودًا تحت رايته حتَّى أهل الصفّة المفترى عليهم ؛ فلم ينقل بسند صحيح عن أحد منهم أنّه استغنى بإلهامه عن متابعة النَّبيّ ﷺ ونصرته ، وإنّما كانوا من جنس الصَّحابة جمعتهم الصفّة للفقر وعدم وجود الأهل والمأوى لا لصفات ومزايا تسوّغ لهم الخروج عن الشّريعة ، كما تخيّل بعض الصّوفيّة ، فخصّوا أهل الصفّة بأشخاص بأعيانهم على صفات تخيّلوها ، وبنوا على هذا الخيال دعوى الاستغناء بالإلهام عن الوحي [٣] ؛ حتَّى انتهى بهم جنوح الخيال إلى افتراء الكذب على

---

(١) مجموع الفتاوى ١١/٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ١١/٢٠٤ ــ ٢٠٨ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى لابن تَيْمِيَّة ١١/١٦٥ ، ١٦٦ ، ٤٢٢ ــ ٤٢٧ ، ١٣/٢٦٦ ، ٢٦٧ ، أضواء البيان للشّنقيطيّ ٤/٢٠٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الله ، والزّعم بأنّ خطرات قلوبهم علم لدنّيّ ، وإلقاء ربّاني [١] ؛ قال تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ آل عمران: ٧٨ ، وقال : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ البقرة: ٧٩ ، وقال :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ ﴾ الأنعام: ٩٣؛ قال ابن القيِّم : (كل من قال هذا العلم من عند الله وهو كاذب في هذه النّسبة فله نصيب وافر من هذا الذمّ . وهذا في القرآن كثير ؛ يذمّ الله سبحانه من أضاف إليه ما لا علم له به ومن قال عليه ما لا يعلم ؛ ولهذا رتّب سبحانه المحرّمات أربع مراتب ، وجعل أشدّها القول عليه بلا علم ؛ فجعله آخر المحرّمات الّتي لا تباح بحال ، بل هي محرّمة في كلّ ملّة ، وعلى لسان كلّ رسول ؛ فالقائل : إنَّ هذا علم لدنّيّ لما لا يعلم أنّه من عند الله ، ولا قام عليه برهان من الله أنّه من عنده كاذب مفتر على الله ، وهو من أظلم الظّالمين ، وأكذب الكاذبين) [٢] .

وأيضًا فإنّ اعتبار الإلهام طريقًا مستقلاً للمعرفة الدِّينيّة يناقض ما علم بالضّرورة من أنّ دين الله لا يعلم إلاّ بوساطة رسله ، وأنّهم ختموا بمحمّد ﷺ ؛ قال أبو العبّاس القرطبي : (إنَّ الله تعالى قد أجرى سنّته ، وأنفذ حكمته ، بأنّ أحكامه لا تعلم إلاّ بواسطة رسله ، السفراء بينه وبين خلقه ، وهم المبلّغون عنه رسالاته وكلامه ، المبيّنون شرائعه وأحكامه ، اختارهم لذلك ، وخصّهم بما هنالك ، كما قال الله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ﴾الحج: ٧٥ ، وقال : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾الأنعام: ١٢٤ ، وقال :﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ البقرة: ٢١٣ ؛ وأمر بطاعتهم في كلّ ما جاءوا به ، وأخبر أنّ الهُدى في طاعتهم والاقتداء بهم في غير موضع من كتابه وعلى ألسنة رسله ... وعلى الجملة فقد حصل العلم القطعي ، واليقين الضّروريّ وإجماع السّلف والخلف على ألاّ طريق لمعرفة أحكام الله تعالى الّتي هي راجعة إلى أمره ونهيه ولا يعرف شيء منها إلاّ من جهة الرّسل الكرام ، فمن قال : إنَّ هناك طريقًا آخر يعرف به أمره ونهيه غير الرّسل بحيث

---

(١) انظر : الفتوحات المكيّة لابن عربيّ ٤٥٦/٣ .

(٢) مدارج السّالكين ٤٣٢/٣ ، ٤٣٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يستغنى بها عن الرّسل فهو كافر يقتل ولا يستتاب ولا يحتاج معه إلى سؤال ولا جواب . ثُمَّ هو قول بإثبات أنبياء بعد نبيّنا ﷺ الَّذي قد جعله اللَّه خاتم أنبيائه ورسله ، فلا نبيّ بعده ولا رسول ؛ وبيان ذلك : أنّه من قال : يأخذ عن قلبه وإنّ ما وقع فيه هو حكم الله ، وأنّه يعمل بمقتضاه ، وأنّه لا يحتاج في ذلك إلى كتاب ولا سنّة فقد أثبت لنفسه خاصيّة النبوّة ؛ فإنّ هذا من نحو ممّا قاله رسول الله ﷺ : (إنَّ روح القدس نفث في روعي) [١] ، ولقد سمعنا عن بعض الممخرقين المتظاهرين بالدِّين أنّه قال : أنا لا آخذ عن الموتى ، وإنّما آخذ عن الحيّ الَّذي لا يموت ، وإنّما أروي عن قلبي عن ربّي ، ومثل هذا كثير . فنسأل الله الهداية والعصمة ، وسلوك طريق سلف هذه الأمّة ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله) [٢] .

****

(١) أخرجه عبد الرزّاق وغيره . انظر : المصنّف ، باب القدر ، ١٢٥/١١ ، ح (٢٠١٠٠) . قال الألباني : صحيح . صحيح الجامع الصغير ٤١٩/١ ، ٤٢٠ ، ح (٢٠٨٥) .

(٢) المفهم ٢١٨/٦ ، ٢١٩ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عصمـــة الأنبيـــاء

العصمة لغة تطلق على عدة معان ؛ منها الحفظ والوقاية والمنع ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾المائدة: ٦٧ ، وقوله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي و بما جئت به ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم و أموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله عز و جل) [١] ؛ أي حفظوها ومنعوها[٢] .

وعصمة الأنبياء اصطلاحا تعني حفظهم حال تحمل الوحي وتبليغه ، وحفظ بواطنهم وظواهرهم من الوقوع في الكبائر ، والإقرار على اللمم[٣] .

وذهبت الأشاعرة ومن وافقهم من الماتريدية والإباضية إلى أن عصمة الأنبياء تعني : حفظ ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ، ولو نهي كراهة ، أوخلاف الأولى . أوحفظ الله للمكلف من الذنب ، مع استحالة وقوعه . أو تخصيص القدرة بالطاعة ؛ فلا يخلق له قدرة على المعصية[٤] . وفي هذا التعريف نظر من وجوه ؛ منها :-

١- أنه قصر العصمة على الحفظ من الذنب ؛ وهي أوسع من ذلك ؛ فهناك عصمة التحمل والتبليغ وغيرها .

٢- أن النصوص صرحت ببشرية الرسل ؛ قال تعالى :﴿ قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ ﴾ إبراهيم: ١١ ، وقال : ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾ فصلت: ٦ ؛ ومقتضى البشرية أن يكون في كل نبي مكنة الطاعة والمعصية .

٣- أن مناط المدح في مجاهدة النفس على فعل الطاعة وترك المعصية ، ومن سلبت منه القدرة على المعصية لم يكن ممدوحا ؛ إذ لامدح ولا ثواب بترك ماهو ممتنع ؛ لأنه ليس مقدورا داخلا تحت الاختيار .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) انظر : معجم مقاييس اللغة ٣٣١/٤ ، المفردات ، ص (٣٣٦ ، ٣٣٧) ، فيض القدير ١٨٨/٢ ، المعجم الوسيط ، ص (٦٠٥ ، ٦٠٦) .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ١٠/ ٢٨٩ ، ٢٩٣ ، المسائل المشتركة ، ص (٢٥٨) .

(٤) شرح الجوهرة ، ص (١٢١ ، ١٣٤) ، المسامرة ، ص (١٩٥) . وانظر : أصول الدين ، ص (١٦٧-١٦٩) ، شرح المواقف ٨/ ٣٠٦ ، مشارق أنوار العقول ، ص (٢٩٢) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٤- أن النصوص أضافت الذنوب إلى الأنبياء ، وأثنت عليهم بتوبتهم واستغفارهم ، وهي تناقض القول بالعصمة المطلقة ؛ ولهذا اضطر أصحاب هذا المذهب إلى تأويلها بمثل تأويلات الجهمية لنصوص الصفات[١] !

٥- أن هذا الغلو في تقرير العصمة يناقضه ماقرروه في أصول المذهب من أن دلالات الألفاظ لا تفيد اليقين ، وأن العقل مقدم على النقل عند التعارض ؛ قال ابن تيمية : (من العجائب أنك تجد أكثر الغلاة في عصمة الرسول ﷺ أبعد الطوائف عن تصديق خبره وطاعة أمره ؛ وذلك مثل الرافضة والجهمية ونحوهم ممن يغلون في عصمتهم ، وهم مع ذلك يردون أخباره ، وقد اجتمع كل من آمن بالرسول ﷺ على أنه معصوم فيما يبلغه عن الله ؛ فلا يستقر في خبره خطأ كما لا يكون فيه كذب ؛ فإن وجود هذا وهذا في خبره يناقض مقصود الرسالة ، ويناقض الدليل الدال على أنه رسول . وأما ما لا يتعلق بالتبليغ عن الله من أفعاله فللناس في العصمة منه نزاع وتفصيل ليس هذا موضعه ، ومتنازعون في أن العصمة من ذلك هل تعلم بالعقل أو السمع ؟ بخلاف العصمة في التبليغ فإنه متفق عليه معلوم بالسمع والعقل ، ومقصود التبليغ تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر ؛ فمن كان من أصله أن الدلالة السمعية لا تفيد اليقين ، أو أنه يقدم رأيه وذوقه على خبر الرسول ﷺ لم ينتفع بإثبات عصمته المتفق عليها ، فضلا عن موارد النزاع من العصمة ، بل هم معظمون للرسول في غير مقصود الرسالة ، وأما مقصود الرسالة فلم يأخذوه عنه)[٢] .

وأما المعتزلة فقد رأوا أن العصمة عبارة عن لطف يفعله الله بنبيه لايكون معه داع إلى فعل المعاصي المنفرة ؛ قال القاضي عبد الجبار : (العصمة ... عبارة عن لطف يقع معه الملطوف فيه لامحالة ؛ حتى يكون معه المرء كالمدفوع إلى أن لايرتكب الكبائر)[٣] . وقد أثر بناء العصمة على اللطف على مفهوم العصمة عند الشيعة الإمامية ؛ يقول المفيد في العصمة : (بأنها لطف يفعله الله بالمكلف ؛ بحيث يمنع منه وقوع المعصية ، وترك الطاعة مع قدرته عليها)[٤] . والفرق بين

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٢٩٥/١٠ .

(٢) درء التعارض ٢٨٥/٥ ، وانظر : شرح المواقف ٣٠٦/٨ ، ٣٠٧ ، المسائل المشتركة ، ص (٢٥٨ ، ٢٥٩) .

(٣) شرح الأصول الخمسة ، ص (٧٨٠) .

(٤) النكت الاعتقادية ، ص (٣٣ ، ٣٤) [بواسطة أصول مذهب الشيعة ٧٧٩/٢] .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المذهبين من وجهين رئيسين :-

١- أن العصمة عند المعتزلة خاصة بالكبائر والصغائر المنفرة ، كما صرح بذلك القاضي في موضع آخر من الكتاب[١] . وأما عند الإمامية فهي تعم الكبائر والصغائر ، حتى في حال الخطأ والنسيان .

٢- أن العصمة عند المعتزلة خاصة بالأنبياء ، وعند الإمامية تعم الأنبياء والأئمة ؛ يقول المجلسي : (اعلم أن الإمامية اتفقوا على عصمة الأئمة من الذنوب صغيرها وكبيرها ؛ فلايقع منهم ذنب أصلا ؛ لاعمدا ولانسيانا ، ولالخطأ في التأويل)[٢] .

وفيما ذكره الفريقان نظر ظاهر ؛ فاللطف وهو الأصل المشترك بين المعتزلة والإمامية أصل باطل ؛ لأنه مبني على أمرين باطلين :-

أ- الإيجاب العقلي ؛ فإنهم يوجبون على الله عقلا جملة أمور منها اللطف الذي بنوا عليه حد العصمة . والإيجاب العقلي يستلزم استعلاء المخلوق على الخالق ، وسلب الاختيار ، والإلجاء إلى الإنجاز ! وهذا ينافي علو الله المطلق ، واختياره التام .

ب- إنكار التوفيق والخذلان ؛ فإنهم لايقرون بأن الله يختص بعض خلقه بنعمة التوفيق للطاعة والحفظ من المعصية ، وإنما هو لطف يفعله الله بالمكلف حتى يكون معه أقرب إلى الطاعة وأبعد عن المعصية . وهذا يبطله قوله تعالى :﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧ ﴾ الحجرات: ٧ ، وقوله : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ كَذَٰلِكَ يَجۡعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝١٢٥ ﴾ الأنعام: ١٢٥ ؛ وقوله : ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٣٩ ﴾ الأنعام: ٣٩ ؛ كما يبطله كل نص يدل على أن الله تعالى يختص برحمته من يشاء[٣] .

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة ، ص (٥٧٣-٥٧٦) .

(٢) بحار الأنوار ٢١١/٢٥ [بواسطة أصول مذهب الشيعة ٧٧٥/٢] . وانظر : شرح الأصول الخمسة ، ص (٧٨٠) .

(٣) انظر : المسائل المشتركة ، ص (٢٥٩) ، الوعد الأخروي ٦٦١/٢-٦٦٨ ، ٦٩٢-٦٩٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وأما مانفردت به الإمامية عن المعتزلة[١] من القول بالعصمة المطلقة حتى من النسيان والخطأ ، والزعم بأن العصمة ثابتة حتى للأئمة فإن هذا يعني إشراك الأئمة في معنى النبوة دون لفظها ، قال ابن تيمية : (من جعل بعد الرسول معصوما يجب الإيمان بكل ما يقوله فقد أعطاه معنى النبوة وإن لم يعطه لفظها)[٢]، بل إن هذا إشراك لهم في صفات الله تعالى ؛ فهو الحي القيوم الذي لا يسهو ولاينسى ؛ يقول القفاري : (الصّورة للعصمة التي يرسمها المجلسي، ويعلن اتفاق الشيعة عليها لم تتحقّق لأنبياء الله ورسله كما يدلّ على ذلك صريح القرآن والسّنّة ، وإجماع الأمة ؛ فهي غريبة على الأصول الإسلامية ، بل إنّ النّفي المطلق للسّهو والنّسيان عن الأئمّة تشبيه لهم بمن لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولهذا قيل للرّضا – وهو الإمام الثّامن الذي تدعي الشيعة عصمته – : إنّ في الكوفة قومًا يزعمون أنّ النّبيّ ﷺ لم يقع عليه السّهو في صلاته ! فقال : كذبوا – لعنهم الله – إنّ الذي لا يسهو هو الله الذي لا إله إلا هو)[٣] ؛ وهذا الغلو من أكبر أسباب غلو الرافضة في قبور الأئمة وأضرحتهم ؛ فالغلو في عصمتهم إلى حد وصفهم بصفات الألوهية تحول إلى غلو في قبورهم ومشاهدهم ؛ يطاف بها ، وتدعى من دون الله سبحانه[٤] .

متعلق العصمة

جوهر العصمة يتعلق بجوهر النبوة ؛ وهو الوحي ؛ فالنبي ﷺ معصوم حال تلقي الوحي ؛ فلا يلتبس عليه الوحي بغيره . ومعصوم حال تبليغه ؛ فلا يكذب ولا يكتم ولا يحرف ولا يقر على خطأ أو نسيان . وهي كذلك تتعلق بذات النبي ﷺ وأفعاله ؛ ولهذا تعرض العلماء بالتفصيل للعصمة من الذنوب قبل البعثة وبعدها . وهذه الأمور تحتاج لشيء من البسط والتفصيل والاستدلال .

---

(١) لم تنفرد الإمامية بدعوى التشريك في العصمة مطلقا ؛ فقد شاركهم في ذلك كثير من الغلاة في المشايخ ؛ فإنهم يزعمون أن الشيخ محفوظ ، ويأمرون باتباعه في كل ما يفعل لا يخالف في شيء أصلا ، وكذلك الإسماعيلية تدعى في أئمتها العصمة ، وأصحاب ابن تومرت ، الذي ادعى أنه المهدى ، يقولون : إنه معصوم ، ويقولون في خطبة الجمعة : الإمام المعصوم ، والمهدي المعلوم ! ويقال : إنهم قتلوا بعض من أنكر أن يكون معصوما ! انظر : منهاج السنة ١٨٧/٦-١٩٠ .

(٢) منهاج السنة ١٨٨/٦.

(٣) أصول مذهب الشيعة ٧٧٥/٢ ، ٧٧٦ .

(٤) المرجع السابق ٨٠٠/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أولا : العصمة من القتل

هذا النوع من العصمة ثابت لنبينا محمد ﷺ بقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾المائدة : ٦٧ ؛ أي بلغ رسالتي ، وأنا ناصرك على أعدائك ، وحافظك منهم ؛ فلا يصل أحد منهم إليك بسوء ؛ ولهذا ترك النبي ﷺ الحرس بعد نزول هذه الآية[١] . وقال تعالى : ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ﴾الإسراء: ٦٠ ؛ أي عصمك ومنعك من الناس حتى تبلغ رسالة ربك ؛ قال الطبري : (هذا حضّ من الله تعالى ذكره نبيه محمدا ﷺ على تبليغ رسالته ، وإعلام منه أنه قد تقدّم منه إليه القول بأنه سيمنعه ، من كلّ من بغاه سوءا وهلاكا، يقول جلّ ثناؤه : واذكر يا محمد إذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس قدرة ، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته ، ونحن مانعوك منهم ، فلا تتهيَّب منهم أحدا ، وامض لما أمرناك به من تبليغ رسالتنا)[٢] .

ومما يدل لهذه العصمة من السنة مارواه مسلم بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ : (غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا ، وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي ؛ يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ رَجُلا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ ، فَأَخَذَ السَّيْفَ ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي ، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ ، فَقَالَ لِي : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ! ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ : مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي ؟ قُلْتُ : اللَّهُ ! فَشَامَ السَّيْفَ ! فَهَاهُوَ ذَا جَالِسٌ ! ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ) ، قال ابن كثير : (من عصمة الله عز وجل لرسوله ﷺ حفْظُه له من أهل مكة وصناديدها وحسادها ومُعَانديها ومترفيها ، مع شدة العداوة والبَغْضة ونصب المحاربة له ليلا ونهارًا ، بما يخلقه الله تعالى من الأسباب العظيمة بقَدَره وحكمته العظيمة ؛ فصانه في ابتداء الرسالة بعمه أبي طالب ، إذ كان رئيسًا مطاعًا كبيرًا في قريش ، وخلق الله في قلبه محبة طبيعية لرسول الله ﷺ لا شرعية ، ولو كان أسلم لاجترأ عليه كفارها وكبارها ، ولكن لما كان بينه وبينهم قدر مشترك في الكفر هابوه واحترموه ، فلما مات عمه أبو طالب نال منه المشركون

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٣٥/٣ ، ٤٣٦ .

(٢) تفسير الطبري ١٠٩/١٥ . وانظر : تفسير ابن كثير ٩١/٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أذى يسيرًا ، ثم قيض الله عز وجل له الأنصار فبايعوه على الإسلام ، وعلى أن يتحول إلى دارهم وهي المدينة ، فلما صار إليها حَمَوه من الأحمر والأسود ، وكلما هم أحد من المشركين وأهل الكتاب بسوء كاده الله ورد كيده عليه ، كما كاده اليهود بالسحر فحماه الله منهم ، وأنزل عليه سورتي المعوذتين دواء لذلك الداء ، ولما سمه اليهود في ذراع تلك الشاة بخيبر ، أعلمه الله به وحماه الله منه ؛ ولهذا أشباه كثيرة جدًا يطول ذكرها)[١] .

وقد تكون العصمة من القتل ثابتة لغير نبينا ﷺ ، ولكنها قطعا ليست عامة لكل نبي ؛ لقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ البقرة: ٦١ ، وروى الإمام أحمد بسند حسن[٢] عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا : (أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل قتل نبيا أو قتله نبي ، أو رجل يضل الناس بغير علم ، أومصور يصور التماثيل) ؛ فعلم أن من الأنبياء من قتل ومنهم من عصم ، وقد رأى بعض أهل العلم أن الله تعالى عصم كل نبي أمر بالجهاد ؛ قال ابن عباس والحسن : (لم يقتل نبي قط من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال ، وكل من أمر بقتال نصر)[٣] . ولكن يشكل على ذلك قتل كثير من أنبياء بني إسرائيل ؛ وهم ممن أمر بالجهاد ، فالله أعلم .

ثانيا : العصمة في تحمل الوحي

النبي ﷺ معصوم في تحمل الوحي من أمرين :-

١- الخطأ ؛ فلا يلتبس عليه الوحي بغيره ؛ ولا يمكن أن يتصور له الشيطان في صورة ملك ؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ الحجر: ٤٢ ، وقال : ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ص: ٨٢ – ٨٣ ؛ والرسل هم المصطفون الأخيار من عباد الله ؛ فلا يقوى شيطان على إغوائهم أو إضلالهم[٤] . قال تعالى :﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ النجم: ١ – ٢ ، وقال : ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ

---

(١) تفسير ابن كثير ٤٣٧/٣ .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (١٠٠٠) .

(٣) تفسير القرطبي ٤٣٢/١ .

(٤) انظر : حجية السنة ، ص (٩٦ ، ١٠٥ ، ١٠٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ الحاقة: ٣٨ – ٤٣ ، وقال : ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ (١) ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ (٢) ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ التكوير: ١٩ – ٢٥ ؛ أي وما هذا القرآن بقول شيطان ؛ لأنه لايقدر على حمله ، ولاينبغي له(٣) ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ ﴾ الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢ ، قال ابن كثير : (ذكر أنه يمتنع عليهم من ثلاثة أوجه ، أحدها : أنه ما ينبغي لهم ، أي : ليس هو من بُغْيتهم ولا من طلبتهم ؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد ، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ونور وهدى وبرهان عظيم ، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة ؛ ولهذا قال تعالى : وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ . وقوله :وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ؛ أي : ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك ، قال الله تعالى: (لَوْ أَنزلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) ، ثم بين أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته ، لما وصلوا إلى ذلك ؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله ؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبا في مُدّة إنزال القرآن على رسوله ، فلم يخلص أحد من الشياطين إلى استماع حرف واحد منه ، لئلا يشتبه الأمر . وهذا من رحمة الله بعباده ، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله ؛ ولهذا قال : إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ، كما قال تعالى مخبرًا عن الجن: (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا وَأَنَّا لا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا) (٤) .

٢ – النسيان ؛ فلا يمكن أن ينسى ما ألقي على قلبه من الوحي قبل تبليغه ؛ قال تعالى :﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٦ – ١٩ ؛ روى مسلم بسنده عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فِي قَوْلِهِ : (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ) : (قَالَ

---

(١) أمين صفة لجبريل ، وهذا عظيم جدا أن الرب يزكي عبده ورسوله الملكي ، كما زكى عبده ورسوله البشري بقوله : وما صاحبكم بمجنون . انظر : تفسير ابن كثير ٥٠٠/٧ .

(٢) أي بمتهم ؛ قال سفيان بن عيينة ؛ أي ماهو بكاذب وماهو بفاجر ، وفسر أيضا بالبخل ؛ أي ماهو ببخيل ، بل نشر القرآن وبلغه لكل من أراده . وكلا المعنيين صحيح . المرجع السابق ٥٠٠/٧ ، ٥٠١ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥٠١/٧ .

(٤) تفسير ابن كثير ٦٤٦/٥ ، ٦٤٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَالِجُ مِنَ التَّنْزِيلِ شِدَّةً كَانَ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ) قَالَ جَمْعَهُ فِي صَدْرِكَ ثُمَّ تَقْرَأُهُ (فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ) قَالَ فَاسْتَمِعْ وَأَنْصِتْ ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا أَنْ تَقْرَأَهُ قَالَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَتَاهُ جِبْرِيلُ اسْتَمَعَ فَإِذَا انْطَلَقَ جِبْرِيلُ قَرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا أَقْرَأَهُ) . والنسيان العارض لبعض القرآن المحكم لا ينافي العصمة في تحمل الوحي ؛ لأنه إنما يقع بعد تبليغه ، ولابد أن يتذكره أو يذكر به ؛ قال تعالى : ﴿ سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ﴾الأعلى: ٦ - ٧ ، وروى البخاري بسنده عن عن عائشة رضي الله عنها قالت : سمع رسول الله ﷺ رجلا يقرأ في سورة بالليل ، فقال : (يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا ، كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا) ؛ فدلت الآية والحديث على وقوع النسيان في بعض القرآن المحكم (لكن بشرطين : أحدهما : أنه بعد ما يقع منه تبليغه .

والآخر : أنه لا يستمر على نسيانه ، بل يحصل له تذكرة ؛ إما بنفسه وإما بغيره . وهل يشترط في هذا الفور ؟ قولان . فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلا)[1] .

ثالثا : العصمة في تبليغ الوحي

العصمة في تبليغ الوحي تعني حفظ النبي ﷺ من كل ما يخل بكمال تبليغ الوحي ؛ ويدخل في ذلك عدة أمور ؛ منها :-

أولا : الكذب في الرسالة ؛ قال تعالى :﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣ - ٤ ؛ فكل مايبلغه عن الله حق وصدق ؛ مستنده الوحي من الله لا هوى النفس ؛ فيستحيل أن يكون فيه افتراء ، أو تبديل ، أو زيادة ، أو نقصان[2] ؛ روى أبوداود بسند صحيح[3] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : (كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه ، فنهتني قريش ، وقالوا : أتكتب كل شيء تسمعه ، ورسول الله ﷺ بشر يتكلم في الغضب والرضا ! فأمسكت عن الكتاب ، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ ، فأومأ بأصبعه إلى فيه فقال : اكتب ، فوالذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا حق) . وقد قرر القرآن الكريم هذا الأصل العظيم بطرق

---

(١) فتح الباري ٨٦/٩ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥٥/٧ ، حجية السنة ، ص (١٦٦) .

(٣) انظر : صحيح سنن أبي داود ، ح (٣٦٤٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كثيرة ؛ منها :-

١- استحالة افتراء القرآن ؛ لأنه لا يشبه كلام الخلق ، وليس في مقدور أحد منهم أن يأتي بسورة مثله ، فضلا عن أن يفتريه كله[١] ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ يونس: ٣٧ – ٣٨ .

٢- استحالة تبديل شيء من القرآن من قبل الخلق ؛ لخروجه عن معهودهم في الكلام ، ولكمال أخباره وأحكامه ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ يونس: ١٥ ،وقال :﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ الأنعام: ١١٥ ؛ قال قتادة : الكلمات هي القرآن لامبدل له ؛ لايزيد فيه المفترون ولاينقصون[٢] ؛ ولهذا لا ينسخ شيء من القرآن إلا بوحي من الله تعالى ؛ قال تعالى :﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ النحل: ١٠١ – ١٠٢ .

٣- أن الافتراء على الله أعظم الجرائم ؛ فلو أقدم ﷺ على ذلك كما يزعم المفترون لسلبه الله كل ما أوحى إليه من الآيات ، وعاجله الله بأشد العقوبات[٣] ، ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾الأنعام: ٩٣ ، وقال :﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ﴾ الشورى: ٢٤ ، وقال : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الحاقة: ٤٤ – ٤٧ .

ثانيا : كتمان بعض الوحي أو كله ؛ قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ المائدة: ٦٧ ، وروى مسلم بسنده عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ : (كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ رضي الله عنها فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤/٤٠٠ .

(٢) تفسير القرطبي ٧/٧١ .

(٣) انظر : تفسير القرطبي ٨/٣١٩ ، تفسير ابن كثير ٣/٥٧٦ ، ٦/٥٥١ ، ٧/٣٧٢ ، ٣٧٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ! قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ، قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ وَاللَّهُ يَقُولُ : قُلْ لايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ) ، وفي رواية لمسلم أيضا بزيادة : (قَالَتْ : وَلَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ كَاتِمًا شَيْئًا مِمَّا أُنْزِلَ عَلَيْهِ لَكَتَمَ هَذِهِ الآيَةَ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) ، وروى البخاري بسنده عن أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَأَلْتُ عَلِيًّا ﷺ : (هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ مِمَّا لَيْسَ فِي الْقُرْآنِ ؟ أومَا لَيْسَ عِنْدَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، مَا عِنْدَنَا إِلَّا مَا فِي الْقُرْآنِ ، إِلَّا فَهْمًا يُعْطَى رَجُلٌ فِي كِتَابِهِ ، وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ . قُلْتُ : وَمَا فِي الصَّحِيفَةِ ؟ قَالَ : الْعَقْلُ ، وَفِكَاكُ الْأَسِيرِ ، وَأَنْ لَا يُقْتَلَ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ) ، وروى ابن أبي حاتم بسند جيد[(١)] عَنْ هَارُونَ بْنِ عنترة عَنْ أَبِيهِ قَالَ : (كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما فَجَاءَهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : إِنَّ نَاسًا يَأْتُونَا ، فَيُخْبِرُونَا أَنَّ عِنْدَكُمْ شَيْئًا لَمْ يُبْدِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَالَ : يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ . وَاللَّهِ مَا وَرَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ) .

ثالثا : الخطأ في التبليغ ؛ ولهذا خص الحق تبارك وتعالى رسله الكرام برصد من الملائكة ؛ ليحفظوا ما أنزل إليهم من الوحي من استراق الشياطين ، وتخليطهم ؛ حتى يتمكنوا من إبلاغ رسالات ربهم كما هي ؛ محفوظة من الزيادة والنقصان[(٢)] ؛ قال تعالى : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٨ ؛ فالاستظهار بالرصد لمنع الشياطين من إيقاع التخليط في أثناء أداء الرسالة[(٣)] . وقد يكون ذلك لحفظه من إضلال الإنس أيضا ؛ فإنه معصوم من قدرهم على إضلاله[(٤)] ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ وَرَحۡمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٤٣٤/٣ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٢٧/١٩-٣١ ، تفسير ابن كثير ٤٠٣/٧،٤٠٢ ، حاشية الصاوي ٣٣٦/٤، ٣٣٧ .

(٣) انظر : الأربعين ١٧٦/٢ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي ٣٨٢/٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ﴾النساء: ١١٣ .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ ﴾ الحج: ٥٢ ؛ فقد كان إلقاء الشيطان في أسماع الكفار لا في تلاوة الرسول ﷺ ؛ ولهذا لم يسمعها المسلمون[١] . على أن بعض أهل العلم أنكر قصة الغرانيق من أصلها ، قال ابن كثير : (ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ، ظَنا منهم أن مشركي قريش قد أسلموا . ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح ، والله أعلم)[٢] . وأما من رآها ثابتة من أهل العلم فإنه يجيب بأنها لاتناقض عصمة التبليغ ؛ لأن العصمة عنده في هذا الباب تعني حفظ النبي ﷺ من الإقرار على الخطأ لا من وقوعه ، قال ابن تيمية : (الْعِصْمَةُ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنْ اللَّهِ ثَابِتَةٌ ؛ فَلَا يَسْتَقِرُّ فِي ذَلِكَ خَطَأٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَكِنْ هَلْ يَصْدُرُ مَا يَسْتَدْرِكُهُ اللَّهُ فَيَنْسَخُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَيُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ؟ هَذَا فِيهِ قَوْلَانِ ، وَالْمَأْثُورُ عَنْ السَّلَفِ يُوَافِقُ الْقُرْآنَ بِذَلِكَ . وَالَّذِينَ مَنَعُوا ذَلِكَ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ طَعَنُوا فِيمَا يُنْقَلُ مِنْ الزِّيَادَةِ فِي سُورَةِ النَّجْمِ بِقَوْلِهِ : تِلْكَ الْغَرَانِيقُ الْعُلَى وَإِنَّ شَفَاعَتَهُنَّ لَتُرْتَجَى ؛ وَقَالُوا : إنَّ هَذَا لَمْ يَثْبُتْ . وَمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ ثَبَتَ : قَالَ هَذَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ فِي مَسَامِعِهِمْ وَلَمْ يَلْفِظْ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ . وَلَكِنَّ السُّؤَالَ وَارِدٌ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ أَيْضًا . وَقَالُوا فِي قَوْلِهِ : إلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ هُوَ حَدِيثُ النَّفْسِ .

وَأَمَّا الَّذِينَ قَرَّرُوا مَا نُقِلَ عَنْ السَّلَفِ فَقَالُوا : هَذَا مَنْقُولٌ نَقْلًا ثَابِتًا لَا يُمْكِنُ الْقَدْحُ فِيهِ . وَالْقُرْآنُ يَدُلُّ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ : وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إلَّا إذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاَللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ فَقَالُوا : الْآثَارُ فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ مَعْرُوفَةٌ ثَابِتَةٌ فِي كُتُبِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ . وَالْقُرْآنُ يُوَافِقُ ذَلِكَ ؛ فَإِنَّ نَسْخَ اللَّهِ لِمَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ وَإِحْكَامَهُ آيَاتِهِ إنَّمَا يَكُونُ لِرَفْعِ مَا وَقَعَ فِي آيَاتِهِ ، وَتَمْيِيزِ الْحَقِّ

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ٢٩١/١٠ ، تفسير ابن كثير ٤٣٣/٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤٣١/٥ . وانظر : الفصل ٤٦/٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

مِنْ الْبَاطِلِ ، حَتَّى لَا تَخْتَلِطَ آيَاتُهُ بِغَيْرِهَا . وَجَعْلُ مَا أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ إنَّمَا يَكُونُ إذَا كَانَ ذَلِكَ ظَاهِرًا يَسْمَعُهُ النَّاسُ ، لَا بَاطِنًا فِي النَّفْسِ ، وَالْفِتْنَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِهَذَا النَّوْعِ مِنْ النَّسْخِ مِنْ جِنْسِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَحْصُلُ بِالنَّوْعِ الْآخَرِ مِنْ النَّسْخِ . وَهَذَا النَّوْعُ أَدَلُّ عَلَى صِدْقِ الرَّسُولِ ﷺ وَبُعْدِهِ عَنْ الْهَوَى مِنْ ذَلِكَ النَّوْعِ ؛ فَإِنَّهُ إذَا كَانَ يَأْمُرُ بِأَمْرِ ثُمَّ يَأْمُرُ بِخِلَافِهِ ، وَكِلَاهُمَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ مُصَدَّقٌ فِي ذَلِكَ ، فَإِذَا قَالَ عَنْ نَفْسِهِ : إنَّ الثَّانِيَ هُوَ الَّذِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَهُوَ النَّاسِخُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ الْمَرْفُوعَ الَّذِي نَسَخَهُ اللَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ كَانَ أَدَلَّ عَلَى اعْتِمَادِهِ لِلصِّدْقِ ، وَقَوْلِهِ الْحَقَّ ، وَهَذَا كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَوْ كَانَ مُحَمَّدٌ كَاتِمًا شَيْئًا مِنْ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذِهِ الْآيَةَ : وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ. أَلَا تَرَى أَنَّ الَّذِي يُعَظِّمُ نَفْسَهُ بِالْبَاطِلِ يُرِيدُ أَنْ يَنْصُرَ كُلَّ مَا قَالَهُ وَلَوْ كَانَ خَطَأً ؛ فَبَيَانُ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّ اللَّهَ أَحْكَمَ آيَاتِهِ ، وَنَسَخَ مَا أَلْقَاهُ الشَّيْطَانُ هُوَ أَدَلُّ عَلَى تَحَرِّيهِ لِلصِّدْقِ ، وَبَرَاءَتِهِ مِنْ الْكَذِبِ ، وَهَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ بِالرِّسَالَةِ ؛ فَإِنَّهُ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ ﷺ ؛ وَلِهَذَا كَانَ تَكْذِيبُهُ كُفْرًا مَحْضًا بِلَا رَيْبٍ)[١] .

الإجماع على عصمة التبليغ

يقول الرازي : (مايتعلق بتبليغ الشرائع والأحكام من الله تعالى أجمعت الأمة على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب ، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع)[٢] ، وقال الآمدي : (وأما بعد النبوة فالاتفاق من أهل الشرائع قاطبة على عصمتهم عن تعمد كل ما يخل بصدقهم فيما دلت المعجزة القاطعة على صدقهم فيه من دعوى الرسالة والتبليغ عن الله تعالى .

واختلفوا في جواز ذلك عليهم بطريق الغلط والنسيان ؛ فمنع منه الأستاذ أبو إسحاق وكثير من الأئمة ؛ لما فيه من مناقضة دلالة المعجزة القاطعة ، وجوزه القاضي أبو بكر ؛ مصيرا منه إلى أن ما كان من النسيان وفلتات اللسان غير داخل تحت التصديق المقصود بالمعجزة ، وهو الأشبه)[٣] ، وقال ابن تيمية : (قد اجتمع كل من آمن بالرسول ﷺ على أنه معصوم فيما يبلغه عن الله ؛ فلا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٠/٢٩٠-٢٩٢ .

(٢) الأربعين ٢/١١٦ . (باختصار يسير) . وانظر : حجية السنة ، ص (٩٦) .

(٣) الاحكام في أصول الاحكام ١/١٧٠ . وانظر : شرح المواقف ٨/٢٨٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يستقر في خبره خطأ ،كما لا يكون فيه كذب ؛ فإن وجود هذا وهذا في خبره يناقض مقصود الرسالة ، ويناقض الدليل الدال على أنه رسول) [١] ، وقال : (الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَعْصُومُونَ فِيمَا يُخْبِرُونَ بِهِ عَنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَفِي تَبْلِيغِ رِسَالَاتِهِ بِاتِّفَاقِ الْأُمَّةِ ؛ وَلِهَذَا وَجَبَ الْإِيمَانُ بِكُلِّ مَا أُوتُوهُ . وَهَذِهِ الْعِصْمَةُ الثَّابِتَةُ لِلْأَنْبِيَاءِ هِيَ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا مَقْصُودُ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ ؛ فَإِنَّ النَّبِيَّ هُوَ المنبأ عَنْ اللَّهِ ، والرَّسُولُ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْعِصْمَةُ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ عَنْ اللَّهِ ثَابِتَةٌ فَلَا يَسْتَقِرُّ فِي ذَلِكَ خَطَأٌ بِاتِّفَاقِ الْمُسْلِمِينَ) [٢] .

والإجماع على عصمة التبليغ محمول على إجماع من يعتد بقوله ممن ينتسب للإسلام ؛ إذ قد خالف في هذا الأصل الأصيل طوائف ممن عرفوا بالإعرض عن الهدى واتباع الهوى ؛ ومن أشهرهم :-

١- الفلاسفة الإلهيون ؛ فقد جوزوا الكذب على الأنبياء في تبليغ الوحي ، وزعموا أن الأنبياء إنما أخبروا عن الله وصفاته وملائكته وثوابه وعقابه بأمور لاتطابق الواقع ، وإنما هي تخييل وكذب لاستصلاح الجمهور !! ؛ ولهذا سماهم بعض علماء السلف بأهل الوهم والتخييل ؛ قال ابن تيمية : (أهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون : إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار ، بل وعن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر في نفسه ، ولكنهم خاطبوهم بما يتخيلون به ويتوهمون به أن الله جسم عظيم ، وأن الأبدان تعاد ، وأن لهم نعيما محسوسا وعقابا محسوسا ، وإن كان الأمر ليس كذلك في نفس الأمر ! ؛ لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون أن الأمر هكذا ، وإن كان هذا كذبا فهو كذب لمصلحة الجمهور ! إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذه الطريق ! وقد وضع ابن سينا وأمثاله قانونهم علي هذا الأصل ؛ كالقانون الذي ذكره في رسالته الأضحوية ، وهؤلاء يقولون : الأنبياء قصدوا بهذه الألفاظ ظواهرها ، وقصدوا أن يفهم الجمهور منها هذه الظواهر ، وإن كانت الظواهر في نفس الأمر كذبا وباطلا ومخالفة للحق ، فقصدوا إفهام الجمهور بالكذب والباطل للمصلحة !!

ثم من هؤلاء من يقول : النبي كان يعلم الحق ولكن أظهر خلافه للمصلحة ، ومنهم من يقول :

---

(١) درء التعارض ٥/٢٨٥.

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٢٨٩ ، ٢٩٠ .(باختصار) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ما كان يعلم الحق كما يعلمه نظار الفلاسفة وأمثالهم ، وهؤلاء يفضلون الفيلسوف الكامل علي النبي ، ويفضلون الولي الكامل الذي له هذا المشهد علي النبي ؛ كما يفضل ابن عربي الطائي خاتم الأولياء – في زعمه – علي الأنبياء ، وكما يفضل الفارابي ومبشر بن فاتك وغيرهما الفيلسوف علي النبي . وأما الذين يقولون : إن النبي كان يعلم ذلك فقد يقولون : إن النبي أفضل من الفيلسوف ؛ لأنه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة ، وأمكنه أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف وابن سينا وأمثاله من هؤلاء .

وهذا في الجملة قول المتفلسفة والباطنية ؛ كالملاحدة الإسماعيلية ، وأصحاب رسائل إخوان الصفاء ، والفارابي و ابن سينا والسهروردي المقتول وابن رشد الحفيد ، وملاحدة الصوفية الخارجين عن طريقة المشايخ المتقدمين من أهل الكتاب والسنة ؛ كابن عربي و ابن سبعين وابن الطفيل صاحب رسالة حي بن يقظان ، وخلق كثير غير هؤلاء)[١] .

٢- الشيعة الإمامية ؛ فقد ذكر القرطبي والآلوسي أن الرافضة يعتقدون أن النبي ﷺ لم يبلغ الوحي كله ، وإنما كتم بعض ما يحتاجه الناس تقية[٢] . والمشهور عنهم الزعم بأن أبابكر ﷺ ومن معه من الصحابة أسقطوا الآيات والسور التي نزلت في فضائل أهل البيت ، والأمر بمحبتهم واتباعهم ، وذكر أسماء أعدائهم [٣]. وعلى كلا التقديرين فهذا المعتقد الخطير ينافي عصمة التبليغ ؛ لأن مقتضاها أن يبلغ النبي ﷺ كل ما أنزل الله عليه من القرآن ، وأن يستمر ورثة الكتاب في تبليغه كما أنزل دون زيادة أو نقصان إلى أن يرفع في آخر الزمان .

٣- الصوفية ؛ فقد ذكر الآلوسي عن بعض الصوفية أن النبي ﷺ إنما بلغ علم الظاهر دون علم الباطن ؛ وهو مايسمونه علم الأسرار الإلهية ، أو علم الحقيقة ، وزعموا أن علم الأسرار لم يكن منزلا بطريق الوحي ، بل بطريق الإلهام والمكاشفة[٤] ! وقد بنوا على هذا المعتقد تقسيم الدين إلى حقيقة وشريعة ؛ واعتبار الإلهام طريق العلم بالحقيقة ،كما أن الوحي طريق العلم بالشريعة ! و لم

---

(١) درء التعارض ١/٨-١٢ . وانظر : الكشف عن مناهج الأدلة ، ص (٢٤٥ ، ٢٤٦) ، السياسة المدنية ، ص (٨٥ ، ٨٦) ، النجاة ، ص (٣٠٥) ، الرسالة الأضحوية ، ص (١٠٩-١١٣ ، ١٣٠) .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٦/٢٤٢ ، ٢٤٣ ، روح المعاني ٦/١٨٩ .

(٣) انظر : الفصل ٥/٤٠ ، فتح الباري ٨/٦٨٠ ، مختصر التحفة الإثني عشرية ، ص (٣٠ ، ٣١) .

(٤) انظر : روح المعاني ٦/ ١٩٠-١٩٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ير الصوفية الإلهام المعصوم خاصا بالأنبياء بل أثبتوه للأولياء ، وادعوا أن علم الحقيقة أسمى من علم الشريعة ؛ لأنه ينال بلا وساطة ملك ، أوحجاب صوت ! وانتهى بهم سوء معتقدهم إلى الاستغناء بالحقيقة عن الشريعة ، وبالإلهام عن الوحي[(١)]!

رابعا : العصمة في الاجتهاد

اختلف العلماء في اجتهاد النبي ﷺ فيما لا نص فيه ؛ هل هو جائز عقلا ؟ وعلى تقدير الجواز هل وقع بالفعل ؟ وهل يقع في أمور الدين أو يختص بأمور الدنيا ؟ والصحيح جوازه عقلا ، ووقوعه فعلا ؛ وعدم اختصاصه بأمور الدنيا ؛ لأدلة كثيرة ؛ منها :-

١- قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾ ﴾ الأنفال: ٦٧ – ٦٨ ؛ فعوتب ﷺ على استبقاء أسرى بدر بالفداء ؛ ولايكون العتاب إلا فيما صدر عن اجتهاد لا عن وحي .

٢- قوله تعالى :﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ التوبة: ٤٣ ؛ فعاتبه على إذنه للمتخلفين عن غزوة تبوك ؛ والعتاب لايكون إلا فيما حكم فيه بالاجتهاد لابالوحي .

٣- قوله تعالى : ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ ﴾ عبس: ١ – ١٢ ؛ فعوتب ﷺ على انشغاله عن ابن أم مكتوم بدعوة صناديد قريش ؛ فعلم أن فعله كان اجتهادا لاوحيا .

٤- قوله تعالى : ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗا ﴾الأنبياء: ٧٨ – ٧٩ ؛ فتخصيص سليمان عليه السلام بالتفهيم دليل على أن حكم داود عليه السلام كان عن اجتهاد لا عن وحي .

٥- روى البخاري بسنده عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : (لَوْ اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ مَا أَهْدَيْتُ ، وَلَوْلَا أَنَّ مَعِي الْهَدْيَ لَأَحْلَلْتُ) ؛ وهذا من أظهر الأدلة على وقوع الاجتهاد حتى في أمور الدين .

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٦٥/١١، ١٧٠ ، ٤٢٢ ، موقف ابن القيم من التصوف ، ص (٢٦٣-٢٧٨) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٦- أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يفرقون بين ماكان يفعله النبي ﷺ باجتهاد أو وحي ؛ فمن ذلك مارواه البزار والطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جاء الحارث الغطفاني إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد شاطرنا تمر المدينة . فقال : حتى أستأمر السعود . فبعث إلى سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وسعد بن الربيع ، وسعد بن خيثمة ، وسعد بن مسعود ؛ فقال : إني قد علمت أن العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وإن الحارث سألكم تشاطروه تمر المدينة ، فإن أردتم أن تدفعوه عامكم هذا في أمركم بعد . فقالوا : يا رسول الله أوحي من السماء فالتسليم لأمر الله ، أو عن رأيك وهواك ، فرأينا نتبع هواك ورأيك ؟ فإن كنت إنما تريد الإبقاء علينا فوالله لقد رأيتنا وإياهم على سواء ، ما ينالون منا تمرة إلا شراء أو قرى ، فقال رسول الله ﷺ : هو ذا تسمعون ما يقولون)[1] .

وقد استشكل على القول بأن من تصرفات النبي ﷺ ماطريقه الاجتهاد لا الوحي بعدة أمور من أقواها أمران :-

١- أن تصرفات النبي ﷺ كلها صادرة عن وحي ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ النجم: ٣ – ٤ ؛ وهذا الحصر يدل على انتفاء الاجتهاد في شيء من تصرفاته .

وقد أجاب أهل العلم عن ذلك بأجوبة ؛ منها :-

أ- أن اجتهاد النبي ﷺ ليس رأيا محضا ؛ لأنه صادر بإذن الشرع ، وقائم على نظر في أصوله ، ومسدد بالوحي ؛ فإن كان صوابا أقر عليه وإلا نبه على الصواب ، فمبنـــاه على الوحي وإليه مآله .

ب- أن الآية ليست على عمومها ، وإنما هي خاصة بما يبلغه عن الله تعالى ، وأدلة التخصيص كثيرة ؛ منها ما رواه مسلم بسنده عن مُوسَى بْنِ طَلْحَةَ عَنْ أَبِيهِ رضي الله عنه قَالَ : (مَرَرْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِقَوْمٍ عَلَى رُءُوسِ النَّخْلِ فَقَالَ مَا يَصْنَعُ هَؤُلَاءِ ؟ فَقَالُوا : يُلَقِّحُونَهُ ؛ يَجْعَلُونَ الذَّكَرَ فِي الْأُنْثَى فَيُلْقَحُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَا أَظُنُّ يُغْنِي ذَلِكَ شَيْئًا . قَالَ : فَأُخْبِرُوا بِذَلِكَ فَتَرَكُوهُ ، فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِذَلِكَ فَقَالَ : إِنْ كَانَ يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْنَعُوهُ ؛ فَإِنِّي إِنَّمَا ظَنَنْتُ ظَنًّا ، فَلَا

(١) قال الهيثمي : رواه البزار والطبراني ... ، ورجال البزار والطبراني فيهما محمد بن عمرو ، وحديثه حسن ، وبقية رجاله ثقات . مجمع الزوائد ٦/١٣٥ ، ١٣٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تُؤَاخِذُونِي بِالظَّنِّ ، وَلَكِنْ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ عَنْ اللَّهِ شَيْئًا فَخُذُوا بِهِ ؛ فَإِنِّي لَنْ أَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) ، ومنها مارواه البخاري بسنده عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ : (سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ جَلَبَةَ خِصَامٍ عِنْدَ بَابِهِ فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ : إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ ، وَإِنَّهُ يَأْتِينِي الْخَصْمُ فَلَعَلَّ بَعْضًا أَنْ يَكُونَ أَبْلَغَ مِنْ بَعْضٍ أَقْضِي لَهُ بِذَلِكَ وَأَحْسِبُ أَنَّهُ صَادِقٌ ؛ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ مُسْلِمٍ فَإِنَّمَا هِيَ قِطْعَةٌ مِنْ النَّارِ فَلْيَأْخُذْهَا أَوْ لِيَدَعْهَا) .

٢- أن النبي ﷺ كان يسأل عن أشياء ، ويتوقف فيها ؛ فلو كان له الحكم بالاجتهاد لما توقف ؛ انتظارا للوحي .

والجواب أن النبي ﷺ إن توقف في مواضع فقد اجتهد في مواضع كما تقدم ، وإنما كان يتوقف فيما ليس من مسائل الاجتهاد ؛ كالظهار واللعان ، وإرث بنات سعد بن الربيع . والله أعلم[١] .

واجتهاد النبي ﷺ فيما لا نص فيه اجتهاد مسدد بالوحي ؛ فإذا اجتهد ثم لم يوافق مراد ربه فإن الله ينبهه ويسدده حتى يوافق مراد ربه ؛ فاجتهاده ﷺ معصوم من الإقرار على الخطأ ؛ قال ابن حزم : (يقع من الأنبياء قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى ، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من ذلك أصلا ، بل ينبههم على ذلك ولابد ، إثر وقوعه منهم ، وربما عاتبهم على ذلك بالكلام ، كما فعل نبيه عليه السلام في أمر زينب أم المؤمنين ، وطلاق زيد لها رضي الله عنهما ، وفي قصة ابن مكتوم ﷺ)[٢] .

خامسا : العصمة من الذنوب

اختلف العلماء في عصمة الأنبياء من الذنوب قبل البعثة على قولين رئيسين :-

أحدهما : أن الأنبياء معصومون قبل البعثة من كل معصية ؛ كبيرة كانت أو صغيرة ؛ لأن المعاصي تورث احتقارهم في النفوس ، وتوجب النفرة عن اتباعهم ؛ وهو خلاف مقتضى الحكمة من بعث الرسل . وهذا مذهب الرافضة ، و أكثر المعتزلة إلا في الصغائر ؛ فإنهم يجوزون على الأنبياء

---

(١) انظر : قواطع الأدلة ١٠٢/٢-١٠٦ ، الاحكام في أصول الأحكام ١٦٥/٤-١٧٥ ، روضة الناظر بشرح الضويحي ٢٧١/٦-٢٨٧ ، شرح مختصر الروضة ٥٩٣/٣-٦٠٢ ، حجية السنة ، ص (١٤٥-٢٣٩) .

(٢) الفصل ٦/٤ (باختصار) ، وانظر : مجموع الفتاوى ٢٩٠/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كل صغيرة لاتوجب النفرة [١].

والثاني : أن الأنبياء غير معصومين قبل البعثة من الذنوب ؛ فيجوز عليهم عقلا كل معصية ؛ يقول الآمدي : (أما قبل النبوة فقد ذهب القاضي أبوبكر وأكثر أصحابنا[٢] ، وكثير من المعتزلة إلى أنه لا يمتنع عليهم المعصية ؛ كبيرة كانت أو صغيره ، بل ولا يمتنع عقلا إرسال من أسلم وآمن بعد كفره) [٣] .

والخلاف بين القولين مبني على أصل التحسين والتقبيح العقلي ؛ فمن قال به أثبت العصمة قبل النبوة ، ومن أنكره نفاها ؛ ولهذا قال الآمدي : (الحق ما ذكره القاضي ؛ لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك ، والعقل دلالته مبنية على التحسين والتقبيح العقلي ، ووجوب رعاية الحكمة في أفعال الله ؛ وذلك كله مما أبطلناه) [٤] .

وقد توسط شيخ الإسلام بين القولين ؛ فرأى أن الله لا يختار لرسالته إلا من كان معروفا بالأخلاق الشريفة والأفعال الحميدة ؛ وذلك لاينافي أن يكون على ملة قومه قبل البعثة ؛ ولهذا لم يذكره أحد منهم قادحا ؛ فقال في ذلك : (التَّحْقِيقُ : أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ إنَّمَا يَصْطَفِي لِرِسَالَتِهِ مَنْ كَانَ خِيَارَ قَوْمِهِ حَتَّى فِي النَّسَبِ كَمَا فِي حَدِيثِ هِرَقْلَ . وَمَنْ نَشَأَ بَيْنَ قَوْمٍ مُشْرِكِينَ جُهَّالٍ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ نَقْصٌ إذَا كَانَ عَلَى مِثْلِ دِينِهِمْ ، إذَا كَانَ مَعْرُوفًا بِالصِّدْقِ وَالْأَمَانَةِ وَفِعْلِ مَا يَعْرِفُونَ وُجُوبَهُ ، وَتَرْكِ مَا يَعْرِفُونَ قُبْحَهُ ؛ وَلِهَذَا لَمْ يَذْكُرْهُ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قَادِحًا . وَمَا ذَكَرَ أَنَّهُ ﷺ بُغِّضَتْ إلَيْهِ الْأَوْثَانُ لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ نَبِيٍّ ؛ فَإِنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ) [٥] . وقد استدل لماذهب إليه بقوله تعالى : ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا

---

(١) انظر : شرح الأصول الخمسة ، ص (٥٧٣-٥٧٥) ، الأربعين ٢/ ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) من الأشاعرة والماتريدية من يحكي الإجماع على عصمتهم من الكفر قبل الوحي ! انظر : شرح النسفية ، ص (١٩١) ، المسامرة ، ص (١٩٥) . وذكر بعضهم أن دعوى الإجماع على المنع محمولة على الوقوع ؛ فلا تعارض ماحكاه الآمدي عن أكثر الأشاعرة ؛ لأن كلامه محمول على الجواز العقلي لا الوقوع الفعلي . انظر : المسامرة ، ص (١٩٦) ، حجية السنة ، ص (١٠٨) .

(٣) الاحكام في أصول الأحكام ١/١٦٩ .

(٤) الاحكام في أصول الأحكام ١/١٧٠ .

(٥) مجموع الفتاوى ١٥/٣٠ ، ٣١ (باختصار) . وانظر : الفصل ٤/٥٨ ، ٥٩ ، المسايرة ، ص (١٩٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿الأعراف: ٨٨ – ٨٩ ، وقال : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ إبراهيم: ١٣ ، وقال : ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾العنكبوت: ٢٦ ؛ فإن ظاهرها يدل على أن من الأنبياء من كانوا على ملة قومهم [١]؛ قال ابن حزم : (إن كان نشأ في قوم دثرت شريعتهم فهو غير متعبد ، ولا مأمور بما لم يأته أمر الله تعالى به بعد ، فليس عاصيا لله تعالى في شئ يفعله أو يتركه إلا أننا ندري أن الله عز و جل قد طهر أنبياء وصانهم من كل ما يعابون به ، وبعثهم الله تعالى في حسب قومهم ، وعصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذون به بعد النبوة) [٢] .

وأما عصمة الأنبياء بعد البعثة من الذنوب فإن فيها تفصيلا ؛ لأن الذنب إما أن يكون كفرا ، أو كبيرة ، أو صغيرة ؛ فإن كان كفرا أوكبيرة فإن الأنبياء معصومون منه بإجماع العلماء المعتبرين [٣] ، وإن كان لمما فقد اختلف أهل العلم فيه على قولين :-

أحدهما : المنع ؛ وهو قول أكثر الأشاعرة والظاهرية ؛ لأن الله تعالى أمرنا باتباعهم ؛ فلو جاز عليهم الذنب لكنا مأمورين به ؛ والله لا يأمر بمحرم [٤] .

وهذا غير مسلم ؛ لأن الاقتداء بهم إنما يشرع فيما أقروا عليه دون مارجعوا عنه ؛ قال ابن تيمية : (مَعْلُومٌ أَنَّ التَّأَسِّي بِهِمْ إنَّمَا هُوَ مَشْرُوعٌ فِيمَا أُقِرُّوا عَلَيْهِ دُونَ مَا نُهُوا عَنْهُ وَرَجَعُوا عَنْهُ ، كَمَا أَنَّ الْأَمْرَ وَالنَّهْيَ إنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُمْ فِيمَا لَمْ يُنْسَخْ مِنْهُ ، فَأَمَّا مَا نُسِخَ مِنْ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فَلَا يَجُوزُ جَعْلُهُ مَأْمُورًا بِهِ وَلَا مَنْهِيًّا عَنْهُ ، فَضْلًا عَنْ وُجُوبِ اتِّبَاعِهِ وَالطَّاعَةِ فِيهِ) [٥] .

والثاني : الجواز ؛ وهو قول الجمهور [٦] ، بل إن الآمدي حكاه عن أكثر الأشاعرة والمعتزلة ؛ شرط ألا يكون من قبيل مايوجب الحكم على فاعله بالخسة ، وسقوط المروءة [٧] . وهو شرط

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى١٠ / ٣١٠ ، ٢٩/١٥ .

(٢) الفصل ٥٨/٤ (باختصار) .

(٣) انظر : المسودة ، ص (٦٩ ، ٧٠) ، الأربعين ١١٥/٢ ، الاحكام في أصول الأحكام ١٧٠/١ ، شرح المواقف ٢٨٨/٨ – ٢٩٠ .

(٤) انظر : الفصل ٥٤/٤ ، ٥٥ ، شرح المواقف ٢٩٠/٨ ، شرح الجوهرة ، ص (١٢١) .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٩٣/١٠ .

(٦) انظر : المسودة ، ص (٧٠) ، مجموع الفتاوى ٢٩٣/١٠ ، الرد على البكري ٣٠٦/١ .

(٧) انظر : الاحكام في أصول الأحكام ١٧١/١ . وانظر : شرح النسفية ، ص (١٩١)

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

صحيح يمكن الاستدلال له بما رواه أبوداود وغيره بسند صحيح[١] عن سعد ﷺ مرفوعا : (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين) . وقد احتج الجمهور بقصص الأنبياء ؛ فإنها صريحة في صدور الذنب عنهم[٢] ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ طه: ١٢١ ، وقوله : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ الفتح: ٢ . وتجويز هذا الضرب من الذنوب لا ينافي العصمة ؛ لأنهم لا يقرون عليه ؛ بل يتداركونه بالتوبة والاستغفار ؛ فلا يؤخرون ولايصرون ، والعبرة بكمال النهاية لابنقص البداية[٣] ؛ قال ابن تيمية : (اَللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ فِي فِي الْقُرْآنِ شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ عَنْ نَبِيٍّ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ إلَّا مَقْرُونًا بِالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ ؛ كَقَوْلِ آدَمَ وَزَوْجَتِهِ : رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَقَوْلِ نُوحٍ : رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَقَوْلِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ، وَقَوْلِهِ : وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ، وَقَوْلِ مُوسَى : أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إنَّا هُدْنَا إلَيْكَ ، وَقَوْلِهِ : رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي ، وَقَوْلِهِ : فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ، وقَوْله تَعَالَى عَنْ دَاوُد : فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ، فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ ، وقَوْله تَعَالَى عَنْ سُلَيْمَانَ : اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)[٤] .

تأويل أدلة الجمهور

بنى الجمهور مذهبهم في تجويز اللمم على الأنبياء على أدلة نقلية صريحة ، وقد حاول الأشاعرة ومن وافقهم صرف هذه النصوص عن ظاهرها بتأويلات متكلفة ؛ ليستقيم لهم القول بمنع اللمم على الأنبياء ؛ وسنذكر نموذجين من هذه التأويلات :-

١- قالوا : إن قوله تعالى : ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ﴾ طه: ١٢١ لا يدل على محل النزاع ؛ لأن

---

(١) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٤٢٦) .

(٢) انظر : شرح المواقف ٢٩٣/٨ . شرح المقاصد ٥٣/٥ .

(٣) انظر : مجموع الفتاوى ٣٠٤/١٠ ، ٣٠٩ ، ٣١١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٢٩٦/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

خطيئة آدم كانت قبل النبوة ، أو لأنها كانت عن نسيان أو تأويل[١] ، وأغرب البيجوري فقال : (ماوقع من آدم فهو معصية لاكالمعاصي ؛ لأنه تأول الأمر لسر بينه وبين سيده ، وإن لم نعلمه ، حتى نقل في اليواقيت عن أبي مدين : لوكنت بدل آدم لأكلت الشجرة بتمامها ! فهو وإن كان منهيا ظاهرا مأمور باطنا !)[٢] .

وهذا كله تحكم ومخالفة للظاهر بلا دليل ، والقاعدة في التأويل أنه لايقبل إلا إذا كان مبنيا على دليل صحيح ، وقد سلم التفتازاني بدلالة الآية على محل النزاع ؛ فقال بعد أن ذكر عدة تأويلات : (وقد يعتذر بأنه وإن كان عمدا لكن لم يكن إلا صغيرة ، وهذا هو الظاهر ، إلا أن فيه تسليما للمدعى)[٣] .

٢- قوله تعالى : ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ﴾ الفتح: ٢ ؛ فقالوا : إن المراد بالذنب المتقدم ذنب آدم لا ذنب النبي ﷺ ، وكذلك الذنب المتأخر ليس ذنبه ﷺ وإنما ذنب أمته[٤] !

وقد انتقد شيخ الإسلام هذه التأويل فقال : (هذا ونحوه من تحريف الكلم عن مواضعه :-

أما أولا : فلأن آدم تاب وغفر له ذنبه قبل أن يولد نوح وإبراهيم ، فكيف يقول له : إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ذنب آدم !

وأما ثانيا : فلأن الله يقول : (ولا تزر وازرة وزر أخرى) ، فكيف يضاف ذنب أحد إلى غيره !

وأما ثالثا : فلأن في حديث الشفاعة الذي في الصحاح أنهم يأتون آدم فيقولون : أنت آدم أبو البشر ؛ خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأسجد لك ملائكته ؛ اشفع لنا إلى ربك ! فيذكر خطيئته ، ويأتون نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ، فيقول لهم : اذهبوا إلى محمد ؛ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ فكان سبب قبول شفاعته كمال عبودتيه ، وكمال مغفرة الله له ؛ فلو كانت هذه لآدم لكان يشفع لأهل الموقف !

---

(١) انظر : الفصل ٤/ ٩ ، ١٠ ، شرح المواقف ٢٩٤/٨ ، شرح المقاصد ٥٣/٥

(٢) شرح الجوهرة ، ص (١٢١) .

(٣) شرح المقاصد ٥٣/٥

(٤) انظر : الأربعين ١٣٠/٢ ، ١٦٧ ، شرح المواقف ٢٩٤/٨ ، ٣٠٤ ، مجموع الفتاوى ٣١٤/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وأما رابعا : فلأن هذه الآية لما نزلت قال أصحابه رضي الله عنهم : يا رسول الله هذا لك ، فما لنا ؟ فأنزل الله تعالى : (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم) ؛ فلو كان ما تأخر ذنوبهم لقال : هذه الآية لكم !

وأما خامسا : فكيف يقول عاقل : إن الله غفر ذنوب أمته كلها ، وقد علم أن منهم من يدخل النار ، وإن خرج منها بالشفاعة !

فهذا وأمثاله من خيار تأويلات المانعين لما دل عليه القرآن ؛ من توبة الأنبياء من ذنوبهم ، واستغفارهم . وزعمهم أنه لم يكن هناك ما يوجب توبة ولا استغفار ، ولا تفضل الله عليه بمحبته وفرحه بتوبتهم ومغفرته ورحمته لهم ، فكيف بسائر تأويلاتهم التي فيها من تحريف القرآن ، وقول الباطل على الله ما ليس هذا موضع بسطه !)[١] .

مشكل نصوص العصمة

استشكل على عصمة الأنبياء عدة نصوص ؛ منها :-

١- مارواه الإمام أحمد وغيره بسند صحيح[٢] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : (لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات ؛ ثنتين منهن في ذات الله ؛ قوله : (إني سقيم) ، وقوله : (بل فعله كبيرهم هذا) ، وبينما هو ذات يوم وسارة ، إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له : إن هاهنا رجلا معه امرأة من أحسن الناس . فأرسل إليه ، فسأله عنها فقال : من هذه ؟ قال : أختي ، فأتى سارة فقال : يا سارة ! ليس على وجه الأرض مؤمن غيري ، وغيرك ، وإن هذا سألني فأخبرته أنك أختي ، فلا تكذبيني) . ويمكن الجواب بأن هذا من المعاريض ، وإنما سميت كذبا بالنسبة إلى إفهام السامع لا إلى قصد المتكلم ؛ قال ابن كثير : (ليس هذا من باب الكذب الحقيقي ، الذي يذم فاعله ، حاشا وكلا ، وإنما أطلق الكذب على هذا تجوزا ، وإنما هو من المعاريض في الكلام لمقصد شرعي ديني ، كما جاء في الحديث : إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب)[٣] ، وقال

---

(١) منهاج السنة ٢/٤٠١-٤٠٣ . وانظر : مجموع الفتاوى ١٠/٣١٤-٣١٦ . وانظر ؛ لمعرفة باقي تأويلاتهم : الفصل ٤/ ٨-٥٩ ، الأربعين ٢/ ١٢٩-١٧٦ ، شرح المواقف ٨/٢٩٣-٣٠٥ ، شرح المقاصد ٥/٥٣-٦٠ .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٥٢٠٢) .

(٣) تفسير ابن كثير ٦/٣٨٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ابن القيم : (الكلام له نسبتان ؛ نسبة إلى المتكلم وقصده وإرادته ، ونسبة إلى السامع وإفهام المتكلم إياه مضمونه ، فإذا أخبر المتكلم بخبر مطابق للواقع ، وقصد إفهام المخاطب فهو صدق من الجهتين ، وإن قصد معنى مطابقا صحيحا ، وقصد مع ذلك التعمية على المخاطب ، وإفهامه خلاف ما قصده ، فهو صدق بالنسبة إلى قصده كذب بالنسبة إلى إفهامه ، ومن هذا الباب التورية والمعاريض ؛ وبهذا أطلق عليها إبراهيم الخليل عليه السلام اسم الكذب ، مع أنه الصادق في خبره ، ولم يخبر إلا صدقا)[١] .

٢- مارواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : (نحن أحق بالشك من إبراهيم ؛ إذ قال : رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد . ولولبثت في السجن طول لبث يوسف لأجبت الداعي) ؛ ويمكن الجواب عن ذلك بما يلي :-

أ- ليس المراد بالشك المعنى العرفي ؛ وهو التوقف بين الأمرين من غير مزية لأحدهما ، وإنما المراد به الإيمان الذي هو دون الاطمئنان ؛ كما يدل لذلك قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ البقرة: ٢٦٠ ؛ وإنما سماه شكا باعتبار التفاوت بين العلم الذهني والوجود الخارجي ؛ فليس الخبر كالعيان ؛ قال ابن القيم : (بين الخبر والعيان فرق ، وفي المسند مرفوعا : ليس الخبر كالعيان ؛ ولهذا لما أخبر الله موسى عليه السلام : أنه قد فتن قومه ، وأن السامري أضلهم ، لم يحصل له من الغضب والكيفية وإلقاء الألواح ما حصل له عند مشاهدة ذلك)[٢] ، وقال ابن قتيبة : (اليقين جنسان ؛ يقين سمع ، ويقين بصر ، ويقين البصر أعلى ، فأراد إبراهيم عليه السلام أن يطمئن قلبه بالنظر ؛ الذي هو أعلى اليقينين)[٣] .

ب- وأما قوله : رحم الله لوطا إن كان ليأوي إلى ركن شديد ؛ فإنه أراد قوله لقومه : لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد ؛ يريد سهوه في هذا الوقت ، الذي ضاق فيه صدره ، واشتد جزعه ، بما دهمه من قومه ، حتى قال أو آوي إلى ركن شديد ، وهو يأوي إلى الله تعالى ، أشد

---

(١) مفتاح دار السعادة ٣٦/٢ (باختصار) . وانظر : الرد على البكري ٧٢٤/٢ ، ٧٢٥ ، فتح الباري ٣٩١/٦ ، ٣٩٢ .
(٢) مدارج السالكين ٣٨٨/٣ . وانظر : مجموع الفتاوى ١٧٧/١٥ ، ١٧٨ ، ١١/٢٣ ، فتح الباري ٤١٢/٦ ، ٤١٣ .
(٣) تأويل مختلف الحديث ، ص (٦٦) (باختصار) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأركان ، قالوا : فما بعث الله نبيا بعد لوط إلا في ثروة من قومه[١] .

ج- وأما قوله لو دعيت إلى ما دعي إليه يوسف لأجبت يعني حين دعى للاطلاق من الحبس ، بعد الغم الطويل ، فقال للرسول : ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، و لم يخرج من الحبس في وقته ؛ يصفه بالأناة والصبر ، وقال : لوكنت مكانه ثم دعيت إلى ما دعي إليه من الخروج من الحبس لأجبت ، و لم أتلبث . وهذا أيضا جنس من تواضعه ، لا أنه كان عليه لو كان مكان يوسف فبادر وخرج ، أو على يوسف لو خرج من الحبس مع الرسول نقص ولا إثم ، وإنما أراد أنه لم يكن يستثقل محنة الله عز وجل له ، فيبادر ويتعجل ، ولكنه كان صابرا محتسبا[٢] .

٣- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ يوسف: ٢٤ ؛ والتحقيق أن هذه الآية لا تناقض العصمة ؛ لأمرين :-

أ- أن الآية لاتدل على أن يوسف عليه السلام كان منه ذنب ؛ لقوله تعالى : (كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ) ؛ فعلم أنه لم يصدر منه سوء ولافحشاء .

ب- أن الآية تدل على أن الذي كان منه مجرد هم ؛ والهم نوعان ؛ هم خطرات وهم إصرار ، وهم الخطرات إذا تركه العبد لله كان حسنة يمدح عليها لاسيئة يذم بها ؛ وهذا الذي وقع من يوسف عليه السلام ؛ هم عارض تركه لما رأى برهان ربه ؛ وهو : (برهان الإيمان الذي حصل في قلبه ، فصرف الله به ماكان هم به ، وكتب له حسنة كاملة ، و لم يكتب عليه خطيئة ، إذ فعل خيرا ، و لم يفعل سيئة)[٣] ؛ وعلى هذا فلا مبرر لتأويل الهم بما يخالف ظاهره ؛ كقول بعضهم أنها همت بالمعصية ، وهم هو بالفرار منها ، أو هم بضربها ! قال ابن قتيبة : (الله تعالى يقول : لولا أن رأى برهان ربه ، أفتراه أراد الفرار منها ، أو الضرب لها ، فلما رأى البرهان أقام عندها وأمسك عن ضربها ؟! هذا ما ليس به خفاء ولا بغلط متأوّله ، ولكنها همّت منه بالمعصية همّ نيّة واعتقاد ،

---

(١) تأويل مختلف الحديث ، ص (٦٦) . وانظر : شرح صحيح مسلم ١٨٥/٢ ، فتح الباري ٤١٥/٦ ، ٤١٦ .

(٢) تأويل مختلف الحديث ، ص (٦٦ ، ٦٧) . وانظر : شرح صحيح مسلم ١٨٥/٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٠٢/١٠ . وانظر من نفس الجزء ، ص (٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٧٤٠) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وهمّ نبي الله عليه السلام ، همّا عارضا بعد طول المراودة)[١] .

٤- قوله تعالى : ﴿ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشعراء: ٢٠ ؛ والجواب أن الضلال لايقصد به هنا الكفر وإنما يقصد الجهل ، كما في قراءة ابن مسعود ، وكما فسره بذلك أئمة السلف ؛ كابن عباس ومجاهد وقتادة والضحاك وغيرهم ؛ أي من الجاهلين بأن الوكزة تأتي على نفس القبطي ؛ فاعتذر عن قتله بأنه كان خطأ من غير عمد[٢] ، وقد أخبر الله في موضع آخر أن نبيه الكريم أتبع هذا الخطأ بقوله :﴿ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ ﴾ القصص: ١٦ .

٥- قوله تعالى : ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ ؛ فقد استشكل هذا النص الكريم على عصمة الأنبياء بما خلاصته ؛ أن هذا النبي الكريم عليه السلام غاضب ربه ، وظن أن الله لن يقدر عليه ؛ وذلك من أعظم الذنوب ؛ ولهذا استحق اللوم ، وأقر على نفسه بالظلم ، ونهى الله تعالى نبيه ﷺ عن أن يكون مثله ؛ قال تعالى : ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ﴾ الصافات: ١٤٢ ، وقال : ﴿ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ ، وقال :﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُۢبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ القلم: ٤٨ – ٥٠ ؛ ويمكن الجواب عن هذا الاستشكال من وجوه :-

أ- أن هذا النبي الكريم عليه السلام لم يغاضب ربه ، وليس في الآية مايدل على ذلك ، وإنما غاضب قومه ، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه وغيره ، ولما لم يوافق ذلك مراد الله تعالى عوقب بهذه المغاضبة ، أوبالخروج من بينهم من غير إذن من الله .

ب- أن قوله تعالى : (فظن أن لن نقدر عليه) لا يعني أن يونس عليه السلام ظن أنه يفوت الله أوأن الله يعجز عنه ؛ لأن الشك في قدرة الله كفر ؛ والأنبياء معصومون بعد البعثة من الكفر إجماعا ؛ وإنما ظن أن الله لن يضيق عليه ويعاقبه بسبب مغاضبة قومه أوالخروج من بينهم من غير أن يؤذن له . وليس هذا تأويلا ، وصرفا للفظ عن ظاهره ؛ لأن العرب تقول : فلان مقدر عليه في الرزق ؛ أي مضيق عليه . وقد فسرها بذلك ابن عباس ومجاهد والضحاك وغيرهم ، واختاره ابن جرير ،

---

(١) مشكل القرآن ، ص (٤٠٤) .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٩٥/١٣ ، تفسير ابن كثير ٦٢٠/٥ ، تفسير السعدي ٥٠٩/٥ ، ٥١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

واستشهد عليه بقوله تعالى : (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) ، وكذلك اختاره ابن قتيبه ، واستشهد عليه بقوله تعالى : (وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه) ؛ أي ضيق عليه .

ج- أما نهي النبي ﷺ عن مشابهة صاحب الحوت فإنما يعني نهيه عن مغاضبة قومه ، وأمره باحتمال أثقال النبوة ، والصبر على أذى قومه ودعوتهم كما صبر أولو العزم من الرسل .

د- وأما إقرار يونس عليه السلام على نفسه بالظلم ؛ فلأنه وضع المغاضبة في غير موضعها ، والظلم وضع الشيء في غير موضعه ؛ ولهذا أقر على نفسه بالظلم ، وهذا مما أنجاه ورفع مكانته ، فبعد أن كان مليما اجتباه ربه فجعله من الصالحين ؛ والاعتبار بكمال النهاية لا بما جرى في البداية [(١)] ؛ قال ابن تيمية : (مَا تَضَمَّنَتْهُ قِصَّةُ ذِي النُّونِ مِمَّا يُلَامُ عَلَيْهِ كُلُّهُ مَغْفُورٌ بَدَّلَهُ اللَّهُ بِهِ حَسَنَاتٍ ، وَرَفَعَ دَرَجَاتِهِ ، وَكَانَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ بَطْنِ الْحُوتِ وَتَوْبَتِهِ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنْهُ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ مَا وَقَعَ ، قَالَ تَعَالَى : فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ . وَهَذَا بِخِلَافِ حَالِ الْتِقَامِ الْحُوتِ فَإِنَّهُ قَالَ : فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ؛ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ مُلِيمٌ ؛ وَالْمُلِيمُ الَّذِي فَعَلَ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ ، فَالْمَلَامُ فِي تِلْكَ الْحَالِ لَا فِي حَالِ نَبْذِهِ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ؛ فَكَانَتْ حَالُهُ بَعْدَ قَوْلِهِ : لَا إلَهَ إلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ أَرْفَعَ مِنْ حَالِهِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مَا كَانَ ، وَالِاعْتِبَارُ بِكَمَالِ النِّهَايَةِ ، لَا بِمَا جَرَى فِي الْبِدَايَةِ ، وَالْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا . وَاَللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ الْإِنْسَانَ ، وَأَخْرَجَهُ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا ، ثُمَّ عَلَّمَهُ ؛ فَنَقَلَهُ مِنْ حَالِ النَّقْصِ إلَى حَالِ الْكَمَالِ ؛ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يُعْتَبَرَ قَدْرُ الْإِنْسَانِ بِمَا وَقَعَ مِنْهُ قَبْلَ حَالِ الْكَمَالِ ، بَلْ الِاعْتِبَارُ بِحَالِ كَمَالِهِ ، وَيُونُسُ عليه السلام وَغَيْرُهُ مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فِي حَالِ النِّهَايَةِ حَالُهُمْ أَكْمَلُ الْأَحْوَالِ) [(٢)] .

٦- قوله تعالى : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ ﴾ الضحى: ٧ ؛ فقد حمل بعض المفسرين الضلال على الكفر ؛ وقالوا : إن النبي ﷺ كان على أمر قومه أربعين عاما ! وقد يعتضد لقولهم بقوله تعالى : ﴿ وَٱلرُّجْزَ

---

(١) انظر : مشكل القرآن ، ص (٤٠٥-٤٠٩) ، الفصل ٤/٣٥-٣٧ ، تفسير القرطبي ١١/٣٢٩-٣٣٥ ، مجموع الفتاوى ١٠/٢٩٩-٣٠٤ ، تفسير ابن كثير ٥/٣٥٥-٣٥٧ ، فتح الباري ٦/٤٥٢ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٠/٢٩٩ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ المدثر: ٥ ؛ فقد فسر الرجز بعبادة الأوثان[١] . وعلى هذا الفهم تشكل الآية على ماثبت من عصمة النبي ﷺ قبل البعثة من الشرك ، وأن الأوثان بغضت إليه ، حتى إن زيد بن حارثة حلف بأن رسول الله ﷺ مامس منها صنما حتى أكرمه الله بالوحي[٢] . الجواب عن هذا الاستشكال من وجوه :-

أ- أن قوله تعالى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾ المدثر: ٥ ، لايستلزم تلبس النبي ﷺ بشيء من عبادة الأوثان قبل البعثة ؛ لأن النهي عن الفعل لايستلزم الوقوع فيه ؛ كما في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ الأحزاب: ١ ، وقوله : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤٢﴾[٣] الأعراف: ١٤٢ .

ب- أن كلمة الضلال المذكورة في قوله تعالى :﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ الضحى: ٧ ؛ ليست بمعنى الكفر ، وإنما هي بمعنى الغفلة ؛ كما في قوله تعالى : ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ طه: ٥٢ ؛ أي لايغفل ؛ وعلى هذا فالمعنى وجدك غافلا عن معالم النبوة وأحكام الشريعة فهداك إليها ؛ كما قال تعالى : ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣﴾ يوسف: ٣ .

ج- ويمكن أن يقال : إن كلمة الضلال المذكورة في قوله تعالى :﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾ الضحى: ٧ ؛ ليست بمعنى الكفر ، وإنما هي بمعنى الجهالة ؛ كمافي قوله تعالى : ﴿قَالَ فَعَلۡتُهَآ إِذٗا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٢٠﴾ الشعراء: ٢٠ ؛ أي من الجاهلين ؛ والمعنى ووجدك لا تدري مالكتاب ولا الإ يمان فعلمك بالوحي القرآن وشرائع الإيمان ؛ كما قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا﴾ الشورى: ٥٢ ؛ يقول ابن القيم : (عقل رسول الله ﷺ أكمل عقول أهل الأرض على الإطلاق ، فلو وزن عقله بعقولهم لرجح بها كلها ، وقد أخبر سبحانه أنه قبل الوحي لم يكن يدري الإيمان كما لم يكن يدري الكتاب ، فقال تعالى : (وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا) ، وقال تعالى : (ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى) ؛

---

(١) انظر : تفسير الطبري ٢٣٢/٣٠ ، تفسير القرطبي ٩٩/٢٠ ، تفسير ابن كثير ٤١٩/٧ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ٥٨/١٦ ، مجموع الفتاوى ٣١/١٥ ، السيرة النبوية الصحيحة ١٠٤/١ ، ١١٤-١١٧ .

(٣) تفسير ابن كثير ٤١٩/٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وتفسير هذه الآية بالآية التي في آخر الشورى ؛ فإذا كان أعقل خلق الله على الإطلاق إنما حصل له الهدى بالوحي ؛ كما قال تعالى : (قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) ، فكيف يحصل لسفهاء العقول ، وأخفـــاء الأحلام ، وفراش الألباب الاهتداء إلى حقائق الإيمان بمجرد عقولهم دون نصوص الأنبيـــاء (لقد جئتم شيئا إدا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا)[١] .

٧- قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ [٢] ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ ﴾ يوسف: ١١٠ ؛ فقد يفهم من الآية على قراءة التخفيف أن الرسل عند ضيق الحال ، وطول انتظار الفرج ظنوا أنهم قد أخلفوا فيما وعدوا به من النصر ؛ يقوي ذلك ماورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : كانوا بشرا ضعفوا وأيسوا وظنوا أنهم قد كذبوا . وورد عن ابن مسعود ﷺ نحوه . وهذا مشكل على عصمة الأنبياء ؛ فالأنبياء عليهم السلام ما وعدهم الله بشيء إلا وقد علموا أنه سيكون . والجواب من وجوه :-

أ- أن من علماء السلف من قرأ الآية بتشديد الذال من (كذبوا) ؛ والمعنى : حتى إذا استيأس الرسل من إيمان قومهم ، وظنوا أنه لارجاء في إيمانهم أتاهم النصر ، أو حتى إذا استيأس الرسل من إيمان من كذبهم ، وظنوا أن أتباعهم قد كذبوهم ؛ لاستبطاء النصر أتاهم نصر الله عند ذلك .

٢- أن قراءة التخيف يمكن أن تفسر بغير ماذكر أولا ؛ ويكون المعنى حتى إذا استيأس الرسل من استجابة قومهم ، وظن قومهم أن الرسل قد كذبوا فيما وعدوا به من نصر أتباعهم وعقاب أعدائهم أتى نصر الله على ذلك . وقد ورد تفسيرها بهذا المعنى عن ابن مسعود ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم[٣] .

٣- أن ماورد عن ابن عباس وابن مسعود من تفسيرها بأن الرسل قد ظنوا أنهم قد كذبوا فيما

---

(١) الصواعق المرسلة ٢/٧٣٤ ، ٧٣٥ . وانظر : تفسير الطبري ٣٠/٢٣٢ ، تفسير البغوي ٤/٤٩٩ ، تفسير القرطبي ١٦/٥٥-٦٠ ، ٢٠/٩٦-٩٩ ، تفيير ابن كثير ٧/٥٩٢ . تفسير السعدي ٧/٦٤٢، ٦٤٣ .

(٢) يلاحظ أنه وصف الرسل بالاستيئاس لا الإياس ؛ والظاهر أن الاستيئاس يكون معه رجاء ، واليأس لارجاء معه ؛ ولهذا لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون . انظر : مجموع الفتاوى ١٥/١٨١-١٨٣ .

(٣) انظر : مشكل القرآن ، ص (٤١٠-٤١٢) ، تفسير البغوي ٢/٤٥٤ ، مجموع الفتاوى ١٥/١٧٥-١٩٥ ، تفسير ابن كثير ٤/٥٤٦-٥٤٨ ، فتح الباري ٨/٣٦٧-٣٧٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وعدوا من النصر يمكن أن يحمل على محامل لا تنافي العصمة ؛ منها :-

- أن الظن في الكتاب والسنة لايراد به الاعتقاد الراجح كما هو المعروف اصطلاحا ، فقد يطلق على الاعتقاد المرجوح ، وعلى الخطرات التي تعرض في القلب ثم تذهب سريعا ؛ بل إنه أطلق على ماهو أكذب الحديث ؛ كما ثبت في الحديث : (إياكم والظن ؛ فإن الظن أكذب الحديث)[١] ؛ وعلى هذا فقد يكون ظن الرسل هنا من حديث النفس المعفو عنه ، أو من باب الوسوسة التي هي صريح الإيمان ؛ قال ﷺ : (إن الله تعالى تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم به أو تعمل به)[٢] ، وروى أبوداود بسند صحيح[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جاءه ناس من أصحابه ﷺ فقالوا : يا رسول الله نجد في أنفسنا الشيء ؛ نعظم أن نتكلم به ، أو الكلام به ما نحب أن لنا وأنا تكلمنا به . قال : أوقد وجدتموه ؟ قالوا : نعم . قال : ذاك صريح الإيمان) ؛ قال الزمخشري في بيان مراد ابن عباس : (أراد بالظن ما يخطر بالبال ، ويهجس في النفس من الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية ، وأما الظن وهو ترجيح أحد الطرفين فلا يظن بالمسلم فضلا عن الرسول)[٤] .
- أن هذا الظن يمكن أن يحمل على الإيمان الذي هو دون الاطمئنان ؛ كما يدل لذلك قوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾البقرة: ٢٦٠ ؛ قال ابن تيمية : (التَّفَاوُتُ بَيْنَ الْإِيمَانِ وَالِاطْمِئْنَانِ سَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ شَكًّا لِذَلِكَ بِإِحْيَاءِ الْمَوْتَى ؛ كَذَلِكَ الْوَعْدُ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا ؛ يَكُونُ الشَّخْصُ مُؤْمِنًا بِذَلِكَ ، وَلَكِنْ قَدْ يَضْطَرِبُ قَلْبُهُ ؛ فَلَا يَطْمَئِنُّ ؛ فَيَكُونُ فَوَاتُ الِاطْمِئْنَانِ ظَنًّا أَنَّهُ قَدْ كُذِّبَ ، فَالشَّكُّ مَظِنَّةُ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ ، وَهَذِهِ الْأُمُورُ لَا تَقْدَحُ فِي الْإِيمَانِ

---

(١) متفق عليه . انظر : صحيح الجامع ، ح (٢٦٧٩) .

(٢) متفق عليه . انظر : صحيح الجامع ، ح (١٧٣٠) .

(٣) انظر : تخريج الألباني لكتاب السنة ، ح (٦٥٤ - ٦٥٧ و ٦٦٢) .

(٤) نقلا عن فتح الباري ٣٦٨/٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الْوَاجِبِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا مَا هُوَ ذَنْبٌ فَالْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمْ السَّلَامُ مَعْصُومُونَ مِنْ الْإِقْرَارِ عَلَى ذَلِكَ ؛ كَمَا فِي أَفْعَالِهِمْ عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ أُصُولِ السُّنَّةِ وَالْحَدِيثِ)[١] .

- أن يفسر الظن بالخطأ ؛ كمافي قراءة مجاهد وظنوا أنهم قد كذبوا ؛ بفتح أوله مع التخفيف ؛ أي غلطوا ؛ قال الخطابي : قال الخطابي : (لا شك أن ابن عباس لا يجيز على الرسل أنها تكذب بالوحي ، ولا يشك في صدق المخبر ؛ فيحمل كلامه على أنه أراد أنهم لطول البلاء عليهم ، وإبطاء النصر وشدة استنجاز من وعدوه به ، توهموا أن الذي جاءهم من الوحي كان حسبانا من أنفسهم ، وظنوا عليها الغلط في تلقى ما ورد عليهم من ذلك ، فيكون الذي بني له الفعل أنفسهم لا الآتي بالوحي ، والمراد بالكذب الغلط لا حقيقة الكذب ، كما يقول القائل : كذبتك نفسك . قلت (أي ابن حجر) : ويؤيده قراءة مجاهد وظنوا أنهم قد كذبوا بفتح أوله مع التخفيف ؛ أي غلطوا ، ويكون فاعل وظنوا الرسل)[٢] . وتفسير الظن بالخطأ يمكن أن يحمل على محمل أقرب إلى النصوص مما ذكر الخطابي ؛ وهي أن يظن في الموعود به ماليس هو فيه بطريق الاجتهاد ، ويكون الاستيئاس مما ظنوه في الوعد لا في اعتقاد صدق الوعد ، قال ابن تيمية : (إذا ظَنَّ بِالْمَوْعُودِ بِهِ مَا لَيْسَ هُوَ فِيهِ ثُمَّ تَبَيَّنَ الْأَمْرُ بِخِلَافِهِ ظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ كَذِبٌ ، وَكَانَ كَذِبًا مِنْ جِهَةِ ظن فِي الْخَبَرِ مَا لَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ . فَأَمَّا الشَّكُّ فِيمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ أخبر بِهِ فَهَذَا لَا يَكُونُ)[٣] ، وقال : (من الْمَعْلُومِ أَنَّ اللَّهَ إذَا وَعَدَ الرُّسُلَ وَالْمُؤْمِنِينَ بِنَصْرٍ مُطْلَقٍ – كَمَا هُوَ غَالِبُ إخباراته – لَمْ يُقَيِّدْ زَمَانَهُ وَلَا مَكَانَهُ وَلَا سَنَتَهُ وَلَا صِفَتَهُ فَكَثِيرًا مَا يَعْتَقِدُ النَّاسُ فِي الْمَوْعُودِ بِهِ صِفَاتٍ أُخْرَى لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهَا خِطَابُ الْحَقِّ بَلْ اعْتَقَدُوهَا بِأَسْبَابِ أُخْرَى ؛كَمَا اعْتَقَدَ طَائِفَةٌ مِنْ الصَّحَابَةِ إخْبَارَ النَّبِيِّ ﷺ لَهُمْ أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَيَطُوفُونَ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ يَكُونُ عَامَ الْحُدَيْبِيَةِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ مُعْتَمِرًا ، وَرَجَا أَنْ

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٧٨ .

(٢) نقلا عن فتح الباري ٨/٣٦٨ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/١٨٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يَدْخُلَ مَكَّةَ ذَلِكَ الْعَامَ وَيَطُوفَ وَيَسْعَى . فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْ دُخُولِهِ مَكَّةَ ذَلِكَ الْعَامَ بَقِيَ فِي قَلْبِ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ حَتَّى قَالَ عُمَرُ لِلنَّبِيِّ ﷺ :أَلَمْ تُخْبِرْنَا أَنَّا نَدْخُلُ الْبَيْتَ وَنَطُوفُ ؟ قَالَ : بَلَى . فَأَخْبَرْتُك أَنَّك تَدْخُلُهُ هَذَا الْعَامَ ؟ . قَالَ : لَا . قَالَ : فَإِنَّك دَاخِلُهُ وَمُطَوِّفٌ . وَكَذَلِكَ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ: فَأَخْبَرَك أَنَّك تَدْخُلُهُ هَذَا الْعَامَ ؟ قَالَ : لَا قَالَ إنَّك آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ . فَبَيَّنَ لَهُ الصِّدِّيقُ أَنَّ وَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مُطْلَقٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِوَقْتِ)[١] ، وقال : (فَاسْتِيئَاسُ عُمَرَ وَغَيْرِهِ مِنْ دُخُولِ ذَلِكَ هُوَ اسْتِيئَاسٌ مِمَّا ظَنُّوهُ مَوْعُودًا بِهِ وَلَمْ يَكُنْ مَوْعُودًا بِهِ . وَمِثْلُ هَذَا لَا يَمْتَنِعُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ أَنْ يَظُنُّوا شَيْئًا فَيَكُونُ الْأَمْرُ بِخِلَافِ مَا ظَنُّوهُ ؛ فَقَدْ يَظُنُّونَ فِيمَا وَعَدُوهُ تَعْيِينًا وَصِفَاتٍ وَلَا يَكُونُ كَمَا ظَنُّوهُ ؛ فَيَيْأَسُونَ مِمَّا ظَنُّوهُ فِي الْوَعْدِ لَا مِنْ تَعْيِينِ الْوَعْدِ)[٢] ،وقال : (فَظَنُّهُمْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا هُوَ يَتَّبِعُ مَا يَظُنُّونَهُ مِنْ مَعْنَى الْوَعْدِ ، وَهَذَا جَائِزٌ لَا مَحْذُورَ فِيهِ ، إذَا لَمْ يُقِرُّوا عَلَيْهِ . وَهَذَا وَجْهٌ حَسَنٌ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِسَائِرِ الْأُصُولِ مِنْ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ ، وَالَّذِي يُحَقِّقُ ذَلِكَ أَنَّ بَابَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ لَيْسَ بِأَعْظَمَ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، فَإِذَا كَانَ مِنْ الْجَائِزِ فِي بَابِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ أَنْ يَظُنُّوا شَيْئًا ثُمَّ يَتَبَيَّنُ الْأَمْرُ لَهُمْ بِخِلَافِهِ ؛ فَلَأَنْ يَجُوزَ ذَلِكَ فِي بَابِ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى)[٣] ، وقال : (الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ هُوَ فِي الْكِتَابِ بِأَسْمَاءِ مُطْلَقَةٍ ؛ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالصَّابِرِينَ وَالْمُجَاهِدِينَ وَالْمُحْسِنِينَ ، فَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَظُنُّ مِنْ النَّاسِ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْوَعْدِ وَيَكُونُ اللَّفْظُ فِي ظَنِّهِ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِمَا يَدْخُلُ فِي الْوَعْدِ لَا فِي اعْتِقَادِ صَدْقِ الْوَعْدِ فِي نَفْسِهِ . وَهَذَا كَقَوْلِهِ :إنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ، وَقَوْلِهِ : وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ الْآيَتَيْنِ ؛ فَقَدْ يَظُنُّ الْإِنْسَانُ فِي نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ كَمَالَ الْإِيمَانِ الْمُسْتَحِقِّ لِلنَّصْرِ وَإِنَّ جُنْدَ اللَّهِ الْغَالِبُونَ وَيَكُونُ الْأَمْرُ بِخِلَافِ ذَلِكَ ، وَقَدْ يَقَعُ مِنْ النَّصْرِ الْمَوْعُودِ بِهِ مَا لَا يَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ الْمَوْعُودِ بِهِ ؛ فَالظَّنُّ الْمُخْطِئُ فِي فَهْمِ ذَلِكَ كَثِيرٌ جِدًّا

---

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٨٤ ، ١٨٥ (باختصار) .

(٢) مجموع الفتاوى ١٥/١٨٦ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥/١٩٢ . (باختصار يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أَكْثَرُ مِنْ بَابِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ مَعَ كَثْرَةِ مَا وَقَعَ مِنْ الْغَلَطِ فِي ذَلِكَ ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَحْصُرُ الْغَلَطَ فِيهِ إلَّا اللَّهُ تَعَالَى ، وَهَذَا عَامٌّ لِجَمِيعِ الْآدَمِيِّينَ ، لَكِنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَسَلَامُهُ لَا يُقِرُّونَ ، بَلْ يَتَبَيَّنُ لَهُمْ ، وَغَيْرُ الْأَنْبِيَاءِ قَدْ لَا يَتَبَيَّنُ لَهُ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا ؛ وَلِهَذَا كَثُرَ فِي الْقُرْآنِ مَا يَأْمُرُ نَبِيَّهُ ﷺ بِتَصْدِيقِ الْوَعْدِ وَالْإِيمَانِ ، وَمَا يَحْتَاجُ إلَيْهِ ذَلِكَ مِنْ الصَّبْرِ إلَى أَنْ يَجِيءَ الْوَقْتُ ، وَمِنْ الِاسْتِغْفَارِ لِزَوَالِ الذُّنُوبِ الَّتِي بِهَا تَحْقِيقُ اتِّصَافِهِ بِصِفَةِ الْوَعْدِ . كَمَا قَالَ تَعَالَى : فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ، وَقَالَ تَعَالَى : فَاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ الْآيَةُ ، وَالْآيَاتُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ . وَاَللَّهُ تَعَالَى أعلم) [1] .

******

(١) مجموع الفتاوى ١٥/١٩٤ ، ١٩٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

آيـــات الأنبيـــاء

آيات الأنبياء تعني أدلة صدق الرسل ؛ فكل نبي آتاه الله آية تدل على صدقه ؛ قال تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الأعراف: ١٠١ ، وقال : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾الحديد: ٢٥ ، وقال ﷺ : (ما من الأنبياءِ نبيٌّ إلا أُعْطي من الآياتِ ما مثله أومن ، أو آمن ، عليه البشرُ ، وإنما كان الذي أوتيتُه وحيًا أوحاه اللهُ إليّ ، فأرجو أني أكثرُهم تابعًا يومَ القيامةِ) رواه البخاري[1] ؛ قال ابن حجر : (معنى الحصر في قوله إنما كان الذي أوتيته أن القرآن أعظم المعجزات ، وأفيدها ، وأدومها ؛ لاشتماله على الدعوة والحجة ، ودوام الانتفاع به إلى آخر الدهر ، فلما كان لا شيء يقاربه ، فضلا عن أن يساويه كان ما عداه بالنسبة إليه كأن لم يقع)[2] .

ولا يشكل على عموم آيات الرسل قوله تعالى :﴿ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ هود: ٥٣ ؛ فإنا نقطع بأن هودا عليه السلام كغيره من الأنبياء ؛ أوتي من الآيات ماعلى مثله آمن البشر ، وإنما قالوا هذه المقالة لفرط عنادهم ، أولأنه لم يأت بالآية التي اقترحوها ، كما قال مشركوا العرب : ﴿ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ ﴾ الأنبياء: ٥ ، مع أن النبي ﷺ أوتي أكثر الآيات وأعظمها وأدومها ؛ قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ ﴾ طه: ١٣٣ .

وآيات الأنبياء تدل على صدقهم فيما يبلغونه عن الله دلالة برهانية ، وإنما كفر من كفر من أقوامهم لأسباب لا يرجع شيء منها إلى قصور في دلالات آيات الأنبياء ، وبراهين صدقهم ؛ فمن هذه الأسباب :-

١- الكـــبر والمكابـــرة ؛ قال تعـــــالى :﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤ ، وقال : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الأنعام: ٣٣ .

٢- الحسد ؛ قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ

---

(١) صحيح البخاري ، ح (٧٢٧٤) (مع فتح الباري ١٣/٢٧٤) .

(٢) فتح الباري ١٣/٢٤٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ البقرة: ١٤٦ ، وقال : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾البقرة: ١٠٩ .

٣- اتباع العادات ، وإرث الآباء ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ ﴾ البقرة: ١٧٠، وقال :﴿ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الزخرف: ٢٢ – ٢٣ .

٤- الخوف على النفس ، أو المصالح ؛ قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ القصص: ٥٧ .

٥- اتباع الهوى ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ ﴾ القمر: ٢ – ٣ ، وقال : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ القصص: ٥٠ ، وقال : ﴿ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ الروم: ٢٩ .

كثرة آيات الأنبياء وتنوعها

من رحمة الله وحكمته أنه آتى الأنبياء آيات كثيرة ومتنوعة ؛ لتيسير معرفة الحق ، وإظهار آياته وبراهينه ، قال ابن تيمية : (في تتابع الآيات حكمة ؛ فيتابع تعالى بين الآيات ؛ كما أرسل محمدا ﷺ بآيات متعددة ؛ لعموم دعوته وشمولها ؛ فإن الأدلة كلما كثرت وتواردت على مدلول واحدكان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق ؛ فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر ، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا ، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة ، وتقسى قلوب الكفار عن الإيمان ؛ لتتابع الآيات آية بعد آية ؛ لينتشر ذلك ويظهر ، ويبلغ ذلك قوما آخرين ، فيكون ذلك سببا لإيمانهم ؛ كما فعل بآيات موسى ، وآيات محمد ، كما ذكر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون ؛ لتظهر عجائبه وآياته ، وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد حتى يمانعوه ويسعوا في معارضته والقدح في آياته فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن وغيره من آياته ، فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه ، بخلاف ما لو اتبع ابتداء بدون ذلك ، فإنه قد كان يظن أنهم قادرون على معارضته ، وكذلك أيضا يكون في ذلك على يقينه وصبره وجهاده ويقين من آمن

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

به وصبرهم وجهادهم ما ينالون به عظيم الدرجات في الدنيا والآخرة)[١] .

ودلائل النبوة كدلائل الربوبية ؛ منها الظاهر لكل أحد ، ومنها الخفي الذي يختص العلماء بمعرفته ؛ قال ابن تيمية : (دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية ؛ فيها الظاهر البين لكل أحد ؛كالحوادث المشهودة ، مثل خلق الحيوان والنبات والسحاب ، وإنزال المطر ، وغير ذلك ، وفيها ما يختص به من عرفه ، مثل دقائق التشريح ، ومقادير الكواكب وحركاتها ، وغير ذلك ؛ فإن الخلق كلهم محتاجون إلى الإقرار بالخالق ، والإقرار برسله ، وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا فإن الله يجود به على عباده جودا عاما ميسرا ، فلما كانت حاجتهم إلى النفس أكثر من حاجتهم إلى الماء ، وحاجتهم إلى الماء أكثر من حاجتهم إلى الأكل ، كان سبحانه قد جاد بالهواء جودا عاما في كل مكان وزمان ؛ لضرورة الحيوان إليه ، ثم الماء دونه ، ولكنه يوجد أكثر مما يوجد القوت وأيسر ؛ لأن الحاجة إليه أشد ، فكذلك دلائل الربوبية حاجة الخلق إليها في دينهم أشد الحاجات ، ثم دلائل النبوة ؛ فلهذا يسرها الله وسهلها)[٢] .

وقد ذكر الله كثيرا من هذه الآيات ولكنه لم يذكر آية كل نبي ؛ قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾غافر: ٧٨ ، ومن أكثر الآيات التي ذكرها الله تعالى في كتابه الكريم الآيات الآتية :-

١- آية صالح عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ﴾الإسراء: ٥٩ ؛ أي آية بينة تدل على وحدانية خالقها وكماله ، وتدل على صدق رسوله الذي سأل الله تعالى أن يخرج لهم الناقة من الصخرة الصماء التي عينوها ، فخرجت كما اقترحوا إلا أنهم كفروا بهذه الآية العظيمة ، وعقروا الناقة ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، وأبادهم عن آخرهم[٣] ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ

---

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٧٢٧ ، ٧٢٨ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٥١٣ . وانظر : النبوات ٥٢٣/١ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥٥/٤-٥٨ ، ٩٢/٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ ﴾ الأعراف: ٧٣ – ٧٨ ، وروى الإمام أحمد بسند على شرط مسلم[١] عن جابر ﷺ قال : (لَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجْرِ قَالَ : لَا تَسْأَلُوا الْآيَاتِ وَقَدْ سَأَلَهَا قَوْمُ صَالِحٍ ، فَكَانَتْ – يعني الناقة – تَرِدُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ وَتَصْدُرُ مِنْ هَذَا الْفَجِّ ، فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ، فَعَقَرُوهَا ، فَكَانَتْ تَشْرَبُ مَاءَهُمْ يَوْمًا وَيَشْرَبُونَ لَبَنَهَا يَوْمًا ، فَعَقَرُوهَا ، فَأَخَذَتْهُمْ صَيْحَةٌ أَهْمَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ تَحْتَ أَدِيمِ السَّمَاءِ مِنْهُمْ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا كَانَ فِي حَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، قِيلَ : مَنْ هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : هُوَ أَبُو رِغَالٍ ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ الْحَرَمِ أَصَابَهُ مَا أَصَابَ قَوْمَهُ) .

٢ – آية إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ العنكبوت: ١٦... الآيات إلى قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ العنكبوت: ٢٤ ، وقال تعالى : ﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ الأنبياء: ٦٨ – ٧٠ ؛ فأنجاه الله من هذه النار العظيمة التي ألقي فيها مكتوفا ، وبقي فيها أياما ، وكان ذلك آية عيانية كبرى على كمال قدرة الله تعالى وصدق خليله عليه السلام ؛ قال ابن كثير : (حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مدة طويلة ، وحَوّطوا حولها ، ثم أضرموا فيها النار ، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء ، ولم توقد نار قط أعظم منها ، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق ، ثم قذفوا به فيها ، فجعلها الله عليه بردا وسلاما ، وخرج منها سالما بعد ما مكث فيها أياما ؛ ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إماما ، فإنه بذل نفسه للرحمن ، وجسده للنيران ، وسخا بولده للقربان ، وجعل ماله للضيفان ، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان)[٢] .

٣ – آية موسى[٣] عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ﴾ الإسراء: ١٠١ ؛ وكانت هذه الآيات التسع لفرعون وقومه ؛ كما قال تعالى : ﴿ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴾ النمل:

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/٥٥ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٥٤ .

(٣) المفرد المضاف من صيغ العموم ؛ كقوله تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها) ؛ وهي نعم كثيرة ، وليست نعمة واحدة ؛ فكذلك هنا يعم المفرد المضاف كل آيات موسى عليه السلام ، ولايختص بآية واحدة .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

١٢ ؛ وقد بينها الله تعالى في مواضع من كتابه ؛ وهي :-

أ- آية العصا واليد ؛ وهي الآية الكبرى ؛ قال تعالى :﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٧ – ١٠٨ ، وقال : ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ﴾ طه: ١٩ – ٢٣ ، وقال : ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ النازعات: ١٧ – ٢٠ ؛ قال الطبري : (أرى موسى فرعون الآية الكبرى، يعني الدلالة الكبرى ، على أنه لله رسول أرسله إليه ، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين ، وعصاه إذ تحوّلت ثعبانا مبينا . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل)[١] . ثم ذكر نحو ذلك عن الحسن ، ومجاهد ، وقتادة ، وابن زيد[٢] .

ب- سائر الآيات التسع ؛ وهي الأخذ بالسنين ، ونقص الثمرات ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم[٣] ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٠ – ١٣٣ ؛ وهي كلها آيات جليلة باهرة ، وحجج بينة قاهرة على صدق موسى عليه السلام ، فيما يخبر به عن الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ ﴿٤٨﴾ ﴾ الزخرف: ٤٨ ، ولكن فرعون وقومه كفروا بهذه الآيات العظيمات بعدما تبين لهم الحق ، واستيقنته قلوبهم ؛ عنادا للحق ، وكبرا عن الاذعان له ؛ فأغرقهم الله عن آخرهم في صبيحة واحدة[٤] ؛ قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ النمل: ١٤ .

وقد كانت لموسى عليه السلام سوى هذه الآيات التسع البينات آيات أخرى باهرات إلا أن كبرها كان

---

(١) تفسير الطبري ٣٠/٣٩ .

(٢) انظر : تفسير الطبري ٣٠/٤٠.

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٥/١٢٥ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٥/١٢٤ ، ٦٦٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

لبني إسرائيل[١] ؛ وهي كثيرة ؛ منها :-

أ- فلق البحر ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَـٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ البقرة: ٥٠ ، وقال : ﴿ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَـٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الشعراء: ٦٠ - ٦٧ ، وكانت هذه الآية العظيمة في عاشوراء ؛ ولهذا يشرع صيامه ؛ شكرا لله تعالى على إنجاء أوليائه ، وإهلاك أعدائه ؛ روى مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أن رسول الله ﷺ قدم المدينة ، فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء ، فقال لهم رسول الله ﷺ : ما هذا اليوم الذي تصومونه ؟ فقالوا : هذا يوم عظيم ؛ أنجى الله فيه موسى وقومه ، وغرق فرعون وقومه ؛ فصامه موسى شكرا ، فنحن نصومه . فقال رسول الله ﷺ : فنحن أحق وأولى بموسى منكم ؛ فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه) .

ب- نبع الماء من الحجر ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ البقرة: ٦٠ ، وقال : ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ الأعراف: ١٦٠ .

ج- تظليل بني إسرائيل بالغمام ، وإنزال المن والسلوى عليهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ البقرة: ٥٧ ، وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَـٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ الأعراف: ١٦٠ ؛ فجمع لبني إسرائيل في التيه بين مايظلهم من حر الشمس ؛ وهو الغمام البارد الطيب ، وبين مايأكلون منه ويشربون ؛ وهو المن والسلوى ؛ يقول ابن كثير : (عبارات المفسرين متقاربة في شرح المن ، فمنهم من فسره بالطعام ، ومنهم من فسره بالشراب ، والظاهر ، والله أعلم ، أنه كل ما امتن الله به عليهم من طعام وشراب ، وغير ذلك مما

(١) انظر : تفسير ابن كثير ١٢٥/٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ليس لهم فيه عمل ولا كد ... وأما السلوى فطائر شبيه بالسماني ، كانوا يأكلون منه)[١] .

د- رفع الجبل فوق رؤوسهم ؛ ليأخذوا التوراة بعزيمة وجد واجتهاد ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ البقرة: ٦٣ ، وقال : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ الأعراف: ١٧١ ؛ وذلك أنهم امتنعوا عن الالتزام بما في التوراة ؛ فأمر الله الملائكة فاقتلعت جبلا من جذوره ، ثم جعلته فوق رؤوسهم كالظلة ؛ وقيل لهم : لئن لم تقبلوا التوراة بما فيها لأرمينكم بهذا الجبل[٢] .

هـ- إحياء الموتى ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٥٥ ـ ٥٦ ؛ وقد ذكر أكثر المفسرين أن هؤلاء هم السبعون الذين خرج بهم موسى ؛ ليعتذروا من عبادة العجل ؛ فقالوا : لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ؛ فأهلكهم الله تعالى بالصاعقة ، ثم أحياهم رجلا رجلا ؛ إكراما لنبيه ، وآية للعالمين على البعث[٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ البقرة: ٧٢ ـ ٧٣ ؛ وكانت هذه الآية في بني إسرائيل لما تنازعوا في قتيل فيهم لم يعرف قاتله ، فاختصموا لموسى عليه السلام فأمرهم بذبح بقرة ، فذبحوها بعد تعنت كبير ، وضربوا القتيل بعضو منها فأحياه الله تعالى ، وأخبرهم بمن قتله[٤] .

وعلى الرغم من هذه الآيات البينات إلا أن فريقا من بني إسرائيل انحرفوا عن التوحيد لما ذهب موسى عليه السلام لميقات ربه ومناجاته ؛ فعبدوا العجل من دون الله تعالى[٥] ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ البقرة: ٩٢ ، وقال : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ

---

(١) تفسير ابن كثير ١/٤٠٢ ، ٤٠٨ (بتصرف يسير) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤/١١٠ ، ١١١ .

(٣) انظر : تفسير البغوي ١/٧٤ ، ٧٥ ، تفسير القرطبي ١/٤٠٣-٤٠٦ ، تفسير ابن كثير ١/٣٩٧-٤٠٠ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٥٢ ، ٤٥٣ ، زبدة التفسير ، ص (١٠ ، ١١) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ١/٤٩١ ، ٤٩٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓۖ أَعَجِلۡتُمۡ أَمۡرَ رَبِّكُمۡۖ وَأَلۡقَى ٱلۡأَلۡوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأۡسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيۡهِۚ قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٥١ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ١٥٢ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٥٣ ﴾ الأعراف: ١٤٨ - ١٥٣ .

٤ – آية عيسى عليه السلام ؛ قال تعالى : ﴿ إِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٖ مِّنۡهُ ٱسۡمُهُ ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ٤٥ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٤٦ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٧ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٤٨ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ (١) أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡۖ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٤٩ ﴾ آل عمران: ٤٥ - ٤٩ ، وقال : ﴿ إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذۡ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗاۖ وَإِذۡ عَلَّمۡتُكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَۖ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ كَفَفۡتُ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذۡ جِئۡتَهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ١١٠ ﴾ المائدة: ١١٠ ؛ فدلت هذه النصوص العظيمة على أن هذا النبي الكريم كان آية في خلقه ، وآية في طفولته ، وكانت له آيات عظيمة بعد نبوته(٢) ؛ منها :–

أ– تصوير طائر من طين ، ثم ينفخ فيه فينقلب طائرا حقيقيا ؛ يطير بمشهد من الناس بإذن الله تعالى وخلقه ؛ يقول القرطبي : (كان تسوية الطين والنفخ من عيسى ، والخلق من الله ، كما أن النفخ من جبريل ، والخلق من الله)(٣) .

---

(١) في هذا النص دليل على أن رسالة عيسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل ، وليست عامة كما يعتقد النصارى ، والغريب أنهم ينسبون إلى عيسى عليه السلام مايدل على خصوص رسالته ؛ وأنه قال : إنما بعثت إلى خراف بني إسرائيل الضالة ! ولكنهم يزعمون أن عيسى عليه السلام بعث بولس إلى الأمم الكافرة ، فصارت رسالته بذلك عامة ! ومن المعروف أن بولس كان من ألد من عادى المسيح عليه السلام من اليهود ، ثم لما رفع المسيح ادعى أنه دخل في دينه ، وزعم بعد ذلك أن المسيح بعثه إلى الأمم الكافرة !

(٢) انظر : روح المعاني ٣/١٧٠ .

(٣) تفسير القرطبي ٤/٩٤ ، وانظر : تفسير الخازن ١/٣٥٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ب- إبراء الأكمه والأبرص ؛ والأكمه هو الذي يولد أعمى ؛ فكان من آيات هذا النبي الكريم إبراء الأكمه والأبرص ؛ وهما مرضان أعيا الأطباء علاجهما ؛ وقد ذكر بعض أهل العلم أن الاقتصار على هذين المرضين لايدل على نفي ماعداهما من الأمراض؛ يقول الآلوسي : (الاقتصار على هذين الأمرين لا يدل على نفي ما عداهما ، لقد روى أنه عليه السلام أبرأ أيضا غيرهما ، وكان يداويهم بالدعاء إلى الله تعالى ، بشرط الايمان ، وكان دعاؤه الذي يدعو به للمرضى والزمنى والعميان والمجانين وغيرهم : اللهم أنت إله من في السماء وإله من في الارض لا إله فيهما غيرك ، وأنت جبار من في السماء وجبار من في الارض لا جبار فيهما غيرك ، وأنت ملك من في السماء وملك من في الارض لا ملك فيهما غيرك ، قدرتك في الارض كقدرتك في السماء ، وسلطانك فى الأرض كسلطانك في السماء ، أسألك باسمك الكريم ، ووجهك المنير ، وملكك القديم إنك على كل شئ قدير . ومن خواص هذا الدعاء كما قال وهب : أنه إذا قرئ على الفزع والمجنون وكتب له وسقى منه نفع إن شاء الله تعالى)[١] .

وقد كانت هذه الآية الباهرة مناسبة لأهل زمانه ؛ كما هي سنة الله تعالى في آيات الرسل ؛ قال ابن كثير : (قال كثير من العلماء : بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه ، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة ، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار ، وحيرت كل سحار ، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام ، وصاروا من الأبرار . وأما عيسى عليه السلام فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة ، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة . فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد ، أو على مداواة الأكمه ، والأبرص ، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد ! وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء ، فأتاهم بكتاب من الله ، عز وجل ، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ، أو بعشر سور من مثله ، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا ، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا)[٢] .

---

(١) روح المعاني ١٦٩/٣ (باختصار يسير) .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٤٩/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ج- إخبار بني إسرائيل بما أكل أحدهم مما لم يعاينه عيسى عليه السلام ، وإخبارهم بما يخبئونه في بيوتهم ؛ ليأكلوه فيما بعد ذلك ؛ وهل المراد الإخبار بخصوصية هذين الأمرين ؟ أو المراد الإخبار بالمغيبات إلا أنه اقتصر على ذكر أهمها ؟ يؤيد الاحتمال الأول ظاهر النص ، والله أعلم ، وعلى كلا التقديرين فهذا الإنباء عن المخفيات آية ظاهرة على صدق نبوة عيسى عليه السلام ، يقول الخازن : (في هذا دليل قاطع على صحة نبوة عيسى عليه السلام ، ومعجزة عظيمة له ؛ وهي إخباره عن المغيبات ، مع ما تقدم له من الآيات الباهرات ؛ من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى ، وإخباره عن الغيوب بإعلام الله إياه ذلك ، وهذا مما لا سبيل لأحد من البشر عليه إلاّ الأنبياء عليهم السلام .فإن قلت : قد يخبر المنجم والكاهن عن مثل ذلك فما الفرق ؟ قلت : إن المنجم والكاهن لا بد لكل واحد منهما من مقدمات يرجع إليها ، ويعتمد في أخباره عليها ، أما المنجم فإنه يستعين على ذلك بواسطة معرفة الكواكب وامتزاجاتها ، أو بواسطة حساب الرمل ، أو نحو ذلك ، وقد يخطئ في كثير مما يخبر به ، وأما الكاهن فإنه يستعين برائد من الجن ، وقد يخطئ أيضاً في كثير مما يخبر به . وأما أخبار الأنبياء عليهم السلام عن المغيبات فليس إلاّ بالوحي السماوي ، وهو من الله تعالى ، وليس في ذلك باستعانة بواسطة حساب ولا غيره فحصل الفرق)[1] .

وسيأتي إن شاء الله في نقد المتكلمين مزيد تفصيل للفرق بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم .

د- إحياء الموتى ؛ فكان يدعو الميت فيقوم من قبره بإذن الله تعالى وقدرته . وقد ورد في بعض الآثار أنه كان إذا أراد إحياء ميت صلى ، ثم أثنى على الله تعالى ، ودعا الله تعالى ببعض أسمائه الحسنى ؛ فيقوم الميت من قبره بمشيئة الله تعالى .

وفي ماذكر أولا من نصوص قرآنية اشتملت على ذكر آيات المسيح عليه السلام رد على النصارى الذين يزعمون ألوهيته من وجوه كثيرة ؛ منها :-

أ- أن عيسى عليه السلام خلق بكلمة من الله ؛ فقال الله له : كن ، فكان ، وليس معنى ذلك أنه جزء من الله كما توهم بعض النصارى ؛ ويذكر أن نصرانيا قدم على الرشيد فوجد عنده الحسن بن علي الواقدي ؛ فقال النصراني : إن في كلام الله آية تدل على أن عيسى جزء من الله ! فقال له : وما تلك الآية ؟ فقال النصراني : (إن الله يبشرك بكلمة منه) ؛ فمن للتبعيض ؛ فمقتضى ذلك

---

(١) تفسير الخازن ٣٥١/١ ، وانظر : روح المعاني ١٧٠/٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أنه جزء منه ! فقال الواقدي : إذا كانت من للتبعيض هنا فكذلك هي في قوله تعالى : (وسخر لكم مافي السموات والأرض جميعا منه) ؛ إذ لافرق بينهما ! فبهت النصراني ، وأسلم .

ب – تغير أطوار حياة المسيح عليه السلام من طفولة إلى كهوله ؛ فهذا دليل قاطع على بشريته ؛ لأن التنقل في الأطوار من صفات المخلوق لا الخالق .

ج– أن هذه الآيات كانت لعيسى عليه السلام بإذن الله تعالى ؛ ولهذا كرر ذكر إذن الله تعالى عقب كل آية من آياته الكبرى ؛ لدفع توهم الألوهية في هذا النبي الكريم ؛ يقول الآلوسي : (قيد الاحياء بالإذن كما فعل في الأول ؛ لأنه عظيم يكاد يتوهم منه ألوهية فاعله ؛ لأنه ليس من جنس أفعال البشر ، وكان إحياؤه بالدعاء)[١] .

وكما كان هذا النبي الكريم آية في مبدء خلقه فقد كان آية في خروجه من الدنيا ؛ فلما دبروا قتله ومكروا مكر الله ، والله خير الماكرين ؛ فألقى شبهه على غيره ، ورفعه حيا إلى السماء ، حتى يأذن الله تعالى بنزوله آخر الزمان ؛ فينزل حكما عدلا ، وإماما مقسطا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويقتل الدجال ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام[٢] ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ النساء: ١٥٧ - ١٥٩ ؛ روى البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم ؛ حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها ، ثم يقول أبو هريرة : واقرءوا إن شئتم : وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) ، وروى أحمد وغيره بسند صحيح[٣] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم شتى ، ودينهم واحد ، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم ؛ لأنه ليس بيني وبينه نبي ، وإنه نازل ، فإذا رأيتموه فاعرفوه ، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، بين ممصرتين ،

---

(١) روح المعاني ١٦٩/٣ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٧/٢-٣٤٩ ، ٥٠٥/٣-٥٠٧ ، حاشية الصاوي على الجلالين ١/ ٢٠٧-٢٠٩ ، صفوة البيان ١٠٧/١-١١٠ .

(٣) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٢١٨٢) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل ، فيقاتل الناس على الإسلام ، فيدق الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام ، ويهلك المسيح الدجال ، وتقع الأمنة في الأرض ، حتى ترتع الأسود مع الإبل ، والنمار مع البقر ، والذئاب مع الغنم ، ويلعب الصبيان بالحيات لاتضرهم ؛ فيمكث في الأرض أربعين سنة ، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون) .

نقـــد المتكلمـــين

للمتكلمين في حقية آيات النبوة ، ودلالتها ، وشروطها ، وفيما يطلق عليها من الأسماء ، ومايميزها عن غيرها من الخوارق آراء ومقالات فيها كثير من المخالفات ؛ فمن ذلك :-

١- التعبير عن أدلة النبوة بلفظ المعجزة مع أن الله تعالى لم يسمها معجزة وإنما سماها آية أوبرهانا أو بينة ؛ قال تعالى : ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ﴾طه: ٤٧ ، وقال :﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٠٣، وقال : ﴿ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ القصص: ٣٢ ، وقال :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾الحديد: ٢٥ ؛ وقال ﷺ : (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ أُومِنَ أَوْ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ) ، رواه البخاري ، وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (كُنَّا نَعُدُّ الْآيَاتِ بَرَكَةً ، وَأَنْتُمْ تَعُدُّونَهَا تَخْوِيفًا ؛ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فَقَلَّ الْمَاءُ ، فَقَالَ : اطْلُبُوا فَضْلَةً مِنْ مَاءٍ ، فَجَاءُوا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ قَلِيلٌ ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ ، ثُمَّ قَالَ : حَيَّ عَلَى الطَّهُورِ الْمُبَارَكِ ، وَالْبَرَكَةُ مِنْ اللَّهِ ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلَقَدْ كُنَّا نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ وَهُوَ يُؤْكَلُ) ، رواه البخاري . ولاشك أن اسم الشرع أولى وأكمل ؛ لأنه يدل على مقصودها ويختص بها ، بخلاف لفظ المعجزة ؛ فإنه يعم كل خارق[١] .

٢- اشتراط اقتران الآية بدعوى النبوة ؛ فهذا الاشتراط غير مسلم ؛ لأن الآية شهادة من الله بنبوتهم لأهل كل عصر ؛ فلا يجب أن تكون في محل النبوة ولا زمانها ولامكانها ؛ ولأن هذا الاشتراط يقتضي إخراج كثير من أعظم أدلة النبوة عن مسمى آيات الأنبياء ؛ كالبشارات

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٥٠٠-٥٠٣ ، النبوات ١/ ١٢٩ ، ٢/ ٧٨٥ ، فتح الباري ٦/ ٥٩١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

والإرهاصات والإخبارات عن الغيوب المستقبلة ، وكرامات الأولياء ؛ يقول ابن تيمية : (آيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول ، وقبيل مولده ، وبعد مماته ، لا تختص بحياته ، فضلا عن أن تختص بحال دعوى النبوة ، أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام)[١]،ويقول : (آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة ؛ قبل المبعث ، وحين المبعث ، في حياتهم ، وبعد موتهم ؛ فقبل المبعث ؛ مثل إخبار من تقدم من الأنبياء به ، ومثل الإرهاصات الدالة عليه ، وأما حين المبعث فظاهر ، وأما في حياته ؛ فمثل نصره وإنجائه وإهلاك أعدائه ، وأما بعد موته فمثل نصر أتباعه وإهلاك أعدائه)[٢] .

٣- اشتراط التحدي بالآيات ؛ فهذا الشرط يخالف الواقع ؛ لأن ماكان يظهر على أيدي الأنبياء في الأعم الأغلب لم يكن مقرونا بالتحدي ؛ قال ابن تيمية : (يلزمهم أن ما كان يظهر على يد النبي ﷺ في كل وقت من الأوقات ليس دليلا على نبوته ؛ لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به وتحدى الناس بالاتيان بمثله ، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة ، ولا نقل التحدي عن غيره من الأنبياء ؛ مثل موسى والمسيح وصالح ، ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل معارضتهم)[٣] ، ويقول : (ما كان يظهره الله على يديه من الآيات ؛ مثل تكثير الطعام والشراب مرات ، كنبع الماء من بين أصابعه غير مرة ، وتكثير الطعام القليل حتى كفى أضعاف من كان محتاجا اليه وغير ذلك ، كله من دلائل النبوة و لم يكن يظهرها للاستدلال بها ولا يتحدى بمثلها ، بل لحاجة المسلمين اليها)[٤] . وأيضا فالتحدي لايختص بالمعجزة ؛ فقد يقع بالكرامة ؛ كما فعل خالد بن الوليد لما شرب السم ، وكالغلام الذي لم يتمكنوا من قتله إلا بسهمه ، وذكر اسم ربه[٥] .

٣- اعتبار مناط الإعجاز في الآيات مجرد خرق العادة ، أو خرق عادة من أرسل إليهم خاصة ؛ وهذا ليس بصحيح ؛ لأن الإعجاز لايتحقق إلا بخرق عادة الجن والإنس ، وبهذا تكون آية للنبوة

---

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٦٩٩ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٧١٥ . وانظر : النبوات ٩٨٤/٢ ، شرح الجوهرة ، ص (١٣٣) .

(٣) النبوات ٥٤١/١ .

(٤) النبوات ٤٩٨/١ . وانظر : فتح الباري ٥٨٢/٦ ، شرح الجوهرة ، ص (١٣٣) .

(٥) انظر : النبوات ١٤٠/١ ، ١٤١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

؛ فالقرآن مثلا خارج عن قدرة الجن والإنس ، وكذلك سائر الآيات ؛ كانشقاق القمر ، وانقلاب العصا حية ، وإحياء الموتى ! وهكذا الكعبة فإنها من آيات النبوة ؛ بنيت بحجارة بواد لارغبة فيه ولارهبة ، ومع ذلك حفظها الله بالهيبة والتعظيم على مدى القرون ؛ يقول ابن تيمية : (هي على هذه الحال من ألوف من السنين ، وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها ، والملوك ينبون القصور العظيمة فتبقى مدة ثم تهدم ؛ لا يرغب أحد في بنائها ، ولا يرهبون من خرابها . والكعبة لها خاصة ليست لغيرها ؛ وهذا مما حير الفلاسفة ونحوهم ؛ فإنهم يظنون أن المؤثر في هذا العالم هو حركات الفلك ، وأن ما بني وبقي فقد بني بطالع سعيد ؛ فحاروا في طالع الكعبة ؛ إذ لم يجدوا في الأشكال الفلكية ما يوجب مثل هذه العظمة والدوام والغلبة)[١] .

٤- إطلاق خرق العادة دون تفسير بين يفصل بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم ؛ ولهذا أنكرت المعتزلة خرق العادة لغير نبي ؛ لئلا يلتبس الصادق بالمدعي ! وأقرت بذلك الأشاعرة واعتبرت الفيصل بين البابين مجرد دعوى النبوة ؛ فلو ادعاها لسلب خارقه ! ورأى الفلاسفة أن الفرق أن النبي قصده الخير والعدل ، والسحرة قصدهم الشر والظلم ! والكل يجمعهم اعتبار خوارق الأنبياء وغيرهم من جنس واحد ، ولكن قول الفلاسفة أبعد الأقوال عن الحق ؛ لأنهم لايقرون إلا بالخوارق التي تجري على أصلهم في التأثير في العالم ؛ وأن له ثلاثة أسباب فقط ؛ القوى الفلكية ، والقوى النفسانية ، والطبيعية ؛ فيقرون بمثل تسخير السباع ، وإمراض الغير وقتله ، دون إخراج الناقة من الجبل ، وانشقاق القمر وأشباه ذلك ؛ لأنهم لايقرون بتأثير الله في العالم ، ولابتأثير الملائكة ، أو الجن في الخوارق[٢] !

والحق في هذا الباب أن الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم من أعظم الأمور ظهورا ، وأشدها وضوحا ؛ ويمكن بيان ذلك من ثلاثة جوانب :-

الأول : بالنظر إلى الخوارق الفعلية ؛ فخوارق الأنبياء خارجة عن قدرة الجن والإنس ؛ لايقدرون عليها لابحيلة ولاعزيمة ولا إعانة ؛ ولهذا لا يمكن أن تعارض البتة ، وخوارق السحرة لاتخرج عن

---

(١) النبوات ٥١١/١ (باختصار) . وانظر : الرد على المنطقيين ، ص (٥٠٢) .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٤٥/٢ ، ٥٤٦ ، ٧١٠ ، النبوات ١٣٧/١ ، ١٣٨ ، ١٩٦ ، مجموع الفتاوى ٢٢٩/١١ ، جدليات شيخ الإسلام حول النبوات ، ص (٣٧-٥٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قدرة الجن والإنس ؛ ولهذا يمكن معارضتها بمثلها أو أقوى !

الثاني : بالنظر إلى الخوارق الخبرية ؛ فالنبي يخبر عن المغيبات القريبة والبعيدة إخبارا معصوما من الكذب ، وإخبارا بينا مفصلا كأنما رآها بعينه ، والكاهن ونحوه إنما يخبر عن المغيبات القريبة إخبارا ناقصا مقرونا بكثير من الكذب ، وبعبارة مقرطمة ؛ كحال ابن صياد لما خبأ له رسول الله ﷺ : فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ، ثم قال له : إني خبأت لك خبأ . قال : هو الدُّخ . فقال له : اخسأ فلن تعدو قدرك ؛ قال ابن كثير : (ابن صياد كاشف على طريقة الكهان بلسان الجان ، وهم يقرطمون العبارة ؛ ولهذا قال : هو الدُّخ يعني : الدخان . فعندها عرف رسول الله ﷺ مادته وأنها شيطانية ، فقال له : اخسأ فلن تعدو قدرك)[١] .

الثالث : بالنظر إلى صاحب الخارق ودعوته ؛ فالنبوة اصطفاء ، وأهلها في غاية البر والصدق ، فلايأمرون إلا بالتوحيد والعدل والتقوى ، والسحر والكهانة اكتساب ، وأهلها في غاية الكذب والفجور ، فلايأمرون إلا بالشرك والظلم والعدوان وكل عمل خبيث ؛ ولهذا كانت الشياطين قرناءهم ؛ لأنها لاتتنزل إلا على من يناسبهم في الكذب والفجور ، ويحقق مقصودهم الأعظم ؛ وهواجتيال العباد عن دينهم[٢] ؛ قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ ولهذا يأتي الدجال بخوارق عجيبة ومع ذلك فإنها لا تدل على صدقه ؛ لأن دعوته ليست من جنس ما جاءت به الرسل من الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ؛ بل هي على النقيض من ذلك ؛ فإنه يفتري على الله الكذب ، ويدعي الإلهية[٣] .

٥- الزعم بأن دلالة المعجزة على الصدق دلالة وضعية لاعقلية ؛ أي أنها لاتدل بجنسها ونفسها على النبوة وإنما تدل على ذلك بالقصد والمواطأة ! وهذا غير صحيح ؛ لأن الله سمى الآية برهانا ؛ فحدها حد البرهان وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبي ؛ فلا يمكن أن توجد بدونه ، ولايمكن أن تكون مشتركة بين الأنبياء وغيرهم ! يقول ابن تيمية : (آيات الانبياء هي أدلة وبراهين على

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٩٣/٦ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٥٧٠ ، النبوات ١٣٧/١ ، ١٤٤ ، ١٩٣ ، ١٩٥ ، ٥٠٢ ، ٥٢٥ ، ٥٥٨-٥٦٠ ، ٧٩١/٢ ، ٨٠١ ، ٨٥٩ ، ٨٦٣ ، ١٠٧٤-١١٠٣ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الأصبهانية ، ص (٥٤٤) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

صدقهم ، والدليل يجب أن يكون مختصا بالمدلول عليه ، لا يوجد مع عدمه ، لا يتحقق الدليل إلا مع تحقق المدلول ، كما أن الحادث لا بد له من محدث ، فيمتنع وجود حادث بلا محدث ، ولا يكون المحدث إلا قادرا ، فيمتنع وجود الاحداث من غير قادر ، والفعل لا يكون الا من عالم ونحو ذلك ، فكذلك ما دل على صدق النبي يمتنع وجوده إلا مع كون النبي صادقا)[١] .

٦- حصر أدلة النبوة في المعجزات ؛ وهذا تضييق لباب من أعظم أبواب الإيمان ؛ فأدلة النبوة كثيرة جدا لا تختص بالمعجزات ؛ يقول شيخ الإسلام : (تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا الإحاطة به ؛ إذ كان الإيمان به واجبا على كل أحد ؛ فيبين الله لكل قوم ، بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين ، كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول ، ولكل قوم ، بل ولكل إنسان من الدلائل المعينة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون)[٢] .

٧- قصر دلالة المعجزة على الصدق ؛ مع أنها أعم من ذلك بكثير ؛ فهي من أعظم أدلة وجود الله وصفاته وأفعاله وصدق رسله ؛ يقول ابن القيم عن دليل المعجزة : (هذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها ، وأدلها على الصانع وصفاته وأفعاله ، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها ؛ فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل ، ودلالتها ضرورية بنفسها ؛ ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بينات ، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها ؛ فإن انقلاب عصا تقلها اليد ثعبانا عظيما يبتلع ما يمر به ثم يعود عصا كما كانت من أدل الدليل على وجود الصانع وحياته وقدرته وإرادته وعلمه بالكليات والجزئيات وعلى رسالة الرسول وعلى المبدأوالمعاد ، فكل قواعد الدين في هذه العصا ، وكذلك اليد ، وفلق البحر طرقا والماء قائم بينهما كالحيطان ، ونتق الجبل من موضعه ورفعه على قدر العسكر العظيم فوق رؤوسهم ، وضرب حجر مربع بعصا فتسيل منه إثنتا عشرة عينا تكفي أمة عظيمة ، وكذلك سائر آيات الأنبياء ؛ فإخراج ناقة عظيمة من صخرة تمخضت بها ثم انصدعت عنها والناس حولها ينظرون ، وكذلك تصوير طائر من طين ثم ينفخ فيه النبي فينقلب طائرا ذا لحم ودم وريش وأجنحة يطير

---

(١) النبوات ٥١٢/١ . وانظر من النبوات أيضا : ٥٣٤/١ ، ٥٤٤ .٧٣٨/٢ ، ٧٨٢ ، ٨٠٠ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٦٩٧/٢ ، ٦٩٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بمشهد من الناس ، وكذلك إيماء الرسول إلى القمر فينشق نصفين ، بحيث يراه الحاضر والغائب فيخبر به كما رآه الحاضرون ، وأمثال ذلك ، مما هو من أعظم الأدلة على الصانع وصفاته وأفعاله وصدق رسله واليوم الآخر)[١] .

وأخيرا فإن تقرير وجه دلالة المعجزة على الصدق باستحالة ظهورها على يد كاذب يشكل على نفاة التعليل من المتكلمين ، لأن هذا التقرير يناقض أصلهم في نفي تعليل أفعال الله ؛ لأنهم يجوزون على الله فعل كل ممكن ؛ يقول ابن تيمية : (السؤال المشهور الذي يورد في هذا الموضع على قول من ينفي التعليل في أفعال الله ، ويجوز على الله كل فعل حيث قيل لهم : على أصلكم لا يفعل الله شيئا لأجل شيء ، وحينئذ فلم يأت بالآيات الخارقـــة للعادة لأجل تصديق الرسول ؛ إذا كان لا يفعل شيئا لشيء عندكم ! وقالوا لهم أيضا : إذا جوزتم على الرب كل فعل جاز أن يظهر الخوارق على يد الكاذب ! فقولهم يقدح في العلوم الضرورية ، ويسد باب العلم بصدق الرسل !)[٢] .

****

(١) الصواعق المرسلة ١١٩٧/٣ ، ١١٩٨ .

(٢) الجواب الصحيح ، دارالبيان ،٧٠٦/٢-٧٠٧ (باختصار وتصرف يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

آيات سيد المرسلين ﷺ

من حكمة الله ورحمته أن آتى سيد المرسلين ﷺ أعظم الآيات وأكثرها وأظهرها وأدومها ؛ لأن رسالته إلى جميع الثقلين ، وهو خاتم الأنبياء ؛ لانبي بعده[١] ؛ قال الشافعي : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا فقيل : أعطى عيسى إحياء الموتى ؟ قال : أعطى محمدا حنين الجذع ، حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك ؛ قال ابن حجر : (ذكر النووي في مقدمة شرح مسلم : أن معجزات النبي ﷺ تزيد على ألف ومائتين ، وقال البيهقي في المدخل : بلغت ألفا ، وقال الزاهدي من الحنفية : ظهر على يديه ألف معجزة ، وقيل ثلاثة آلاف . وقد اعتنى بجمعها جماعة من الأئمة ؛ كأبي نعيم والبيهقي وغيرهما) . وهذا الحصر كما هو ظاهر إنما هو لما ظهر على يديه ﷺ من الآيات ، وليس حصرا لكل آياته ﷺ ؛ لأن ذلك مما لا يقدر عليه الخلق ؛ فآيات النبي ﷺ متجددة إلى يوم القيامة ؛ قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾فصلت: ٥٣ ؛ قال ابن القيم : (هذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن ، بل لابد أن يري الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أن الله الذي لا إله إلا هو ، وأن رسله صادقون) ، وقال ابن تيمية : (تعداد أعيان دلائل النبوة مما لا يمكن بشرا الإحاطة به ؛ إذ كان الإيمان به واجبا على كل أحد ، فيبين الله لكل قوم ، بل لكل شخص من الآيات والبراهين ما لا يبين لقوم آخرين ، كما أن دلائل الربوبية وآياتها أعظم وأكثر من كل دليل على كل مدلول ، ولكل قوم بل ، ولكل إنسان من الدلائل المعينة التي يريه الله إياها في نفسه وفي الآفاق ما لا يعرف أعيانها قوم آخرون)[٢] .

وآيات النبي ﷺ تفيد العلم بطرق متعددة ؛ منها :-

١- ذكرها في القرآن ، أو نقلها بالتواتر العام ؛ فكثير من آياته ﷺ يعلم تواتره العام والخاص ؛ كنبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام ، وحنين الجذع .

٢- التواتر الخاص ؛ فأهل العلم لهم من اليقين بهذه الآيات ما لا يوجد مثله لغيرهم . ومامن صنف من العلماء إلا وقد تواتر عندهم من الآيات مافيه كفاية ؛ فكتب التفسير مشحونة بذكر الآيات ، وهكذا كتب الحديث والسير والمغازي والتاريخ ! ونقل طائفة من هذه الطوائف يفيد

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٩٦ ، ٥٠٠

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٦٩٧ ، ٦٩٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

العلم اليقيني فكيف بما ينقله جميعهم !

٣- التواتر المعنوي ؛ فعامة الطائف سمعوا أخبارا متفرقة ، يشترك مجموعها في الدلالة على أن محمدا ﷺ كان يجري على يديه من كثير من الآيات ؛ فيحصل بمجموع ذلك علم ضروري بحصولها .

٤- اشتهار آياته ﷺ في الأمة ، وإقرار بعضهم بعضا على نقله دون نكير من أحد ، وهذا يدل على إجماع الأمة على وقوع آيات النبي ﷺ .

٥- أن العلماء قد صنفوا مصنفات كثيرة في ذكر آيات النبي ﷺ ؛ كدلائل النبوة لأبي زرعة الرازي ، ودلائل النبوة للفريابي ، ودلائل النبوة للطبراني ، ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ، ودلائل النبوة للبيهقي ، وغيرهم كثير ! وهؤلاء يذكرون طرق هذه الآيات الكثيرة المتواترة[1] .

وإذا كانت آحاد آيات سيد المرسلين وخاتم النبيين ﷺ لا يمكن حصرها فسنقتصر على ذكر أشهر أنواعها ؛ وهي :-

١- البشارات . ٢- الإرهاصات . ٣- الآيات الخبرية .

٤- الآيات الفعلية . ٥- المسلك الشخصي . ٦- المسلك النوعي .

٧- القرآن الكريم .

بشارات الكتب الأولى

من آيات صدق النبي ﷺ ذكره في الكتب الأولى ، والبشارة بنبوته ، قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٧ ، وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ الصف: ٦ ، وقال : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٦ – ١٩٧ ، قال ابن كثير : (يقول تعالى : وإن ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم ، الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك ...ثم

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٦٧٥-٦٩٨ ، فتح الباري ٥٨٢/٦ ، ٥٩٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قال تعالى : أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ؛ أي : أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك : أن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها، والمراد : العدول منهم ، الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد ﷺ ومبعثه وأمته ، كما أخبر بذلك مَنْ آمن منهم كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي عمن أدركه منهم ومَنْ شاكلهم)[1] ؛ وقال ابن تيمية : (الأنبياء قبله بشروا به ﷺ ، وهذا هو دليل مستقل على نبوته ، وعلم عظيم من أعلام رسالته ، والعلم بأن الأنبياء قبله بشروا به يعلم من وجوه :-

أحدها : ما في الكتب الموجودة اليوم بأيدي أهل الكتاب من ذكره .

الثاني : إخبار من وقف على تلك الكتب وغيرها من كتب أهل الكتاب ممن أسلم ومن لم يسلم بما وجدوه من ذكره فيها . وهذا مثل ما تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه وأنه رسول الله وأنه موجود عندهم ، ومثل ما تواتر عن أخبار النصارى بوجوده في كتبهم مثل أخبار هرقل والمقوقس والنجاشي . وقد ذكر الله ذلك في القرآن في قوله عن اليهود : (وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به) ، وقال عن النصارى : (وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين) ، وعن أنس بن مالك ﷺ أن غلاما يهوديا كان يخدم النبي ﷺ فمرض فأتاه رسول الله ﷺ يعوده فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة فقال له رسول الله ﷺ : يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي ؟ قال : لا . قال الفتى : بلى ، والله يا رسول الله إنا نجد في التوراة نعتك ومخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ! فقال النبي : أقيموا هذا من عند رأسه ولوا أخاكم . رواه البيهقي بإسناد صحيح .

والوجه الثالث : نفس إخباره بذلك في القرآن مرة بعد مرة ، واستشهاده بأهل الكتاب ، وإخباره بأنه مذكور في كتبهم مما يدل العاقل على أنه كان موجودا في كتبهم ؛ إذ لو لم يعلم أنه مكتوب عندهم لامتنع أن يظهر ذلك لأوليائه وأعدائه ، ويخبر بذلك مرة بعد مرة .

الرابع : أن يقال لما قامت الأعلام على صدقه ﷺ فقد أخبر أنه مكتوب في الكتب المتقدمة ، وأن

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٦٤٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأنبياء بشروا به ، فعلم أن الأمر كذلك .

الوجه الخامس : أن يقال معلوم أن ظهور دين محمد ﷺ في مشارق الأرض ومغاربها أعظم حادث حدث في الأرض ، فلم يعرف قط دين انتشر ودام كانتشاره ودوامه ، فعلم أنه لا بد أن يكون في الكتب الأولى التنويه بذكره ؛ لأنها ذكرت ماهو أدنى من ذلك بكثير فكيف يعقل أن تهمل ذكر أعظم ماحدث في الأرض !

والطريق الأول هو من أظهر الحجج على أهل الكتاب ، وأظهر الأعلام على نبوته ، وقد استخرج غير واحد من العلماء من الكتب الموجودة الآن في أيدي أهل الكتاب من البشارات بنبوته مواضع متعددة ، تزيد على مائة موضع ، وصنفوا في ذلك مصنفات)[١] .

ومما ذكره شيخ الإسلام من مواضع هذه البشارات مايلي :-

١- قوله في التوراة : (جاء أوتجلى الله من طور سينا ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران ، وجاء معه عشرة آلاف قديس ، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم)[٢] ؛ فمجيء الله من طور سيناء إنزال التوراة على موسى عليه السلام ، وإشراقه من ساعير إنزاله الإنجيل على عيسى عليه السلام ؛ فقد كان بأرض ساعير ، بقرية تدعى ناصرة ، واستعلانه من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ ! وجبال فاران هي جبال مكة بإجماع المسلمين وأهل الكتاب[٣] . ويتعلق بهذه البشارة أمور :-

أ- يلاحظ في هذا النص تفاوت التعبير عن هذه الكتب الثلاثة ؛ وذلك بحسب ماحصل بها من الهدى والنور ؛ فقال في التوراة جاء أو تجلى ؛ لأن مجيئها كان مثل طلوع الفجر أو أظهر ، وقال في الإنجيل أشرق لزيادة النور والهدى بنزوله مثل زيادة إشراق الشمس على طلوع الفجر ، وقال في القرآن استعلن ؛ لكمال ماحصل به من النور والهدى حتى صار بمنزلة ظهور الشمس واستعلائها في مشارق الأرض ومغاربها[٤] .

---

(١) الجواب الصحيح ٥/١٥٨-١٩٦ (باختصار وتصرف) .

(٢) الجواب الصحيح ٥/١٩٩ . وانظر : الإسلام والأديان ، ص (٢٣٤) .

(٣) الجواب الصحيح ٥/١٩٩ ، ٢٠٠ . وانظر : شرح المقاصد ٥/٤٢ .

(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٠٢، ٢٠٣.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ب- أقسم الله بهذه الأمكنة الثلاثة التي ظهر فيها نوره وهداه في القرآن الكريم ؛ فقال تعـــالى : ﴿ وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ ﴾ التين: ١ – ٣ ؛ فأقسم بالتين والزيتون الذي ينبت في الأرض المقدسة التي أنزل فيها الإنجيل على عيسى عليه السلام ، وأقسم بطور سينين ، وهو الجبل الذي كلم الله فيه موسى عليه السلام الذي أنزلت عليه التوراة ، وأقسم بالبلد الأمين ؛ وهي مكة أو جبال فاران ؛ التي كان فيها ابتداء نزول القرآن على محمد ﷺ .

ج- يلاحظ في هذا النص من التوراة تقديمها في الذكر ، وذكر الإنجيل بعدها ثم القرآن ؛ لأن المراد الإخبار عن ترتيب هذه الكتب زمنا ؛ فقدم الأسبق فالأسبق ، وأما في القرآن فقد أقسم بها تعظيما لشأنها ؛ فأقسم بها على وجه التدريج حتى ختمها بأعلى الدرجات ؛ لأن أشرف الكتب الثلاثة القرآن ، ثم التوراة ، ثم الإنجيل[١] .

د- في قوله : (وجاء معه عشرة آلاف قديس ، ومن يده اليمنى برزت نار شريعة لهم) دليل آخر على نبوة سيد المرسلين ﷺ ؛ ففي تاريخ جبال فاران لا تجد أي حادثة تطابق هذا التحديد العددي إلا حادثة فتح مكة ، لما دخلها النبي ﷺ على رأس عشرة آلاف من أتباعه ، ولا تجد شريعة أتت على جميع الشرائع إلا شريعة الإسلام التي نسخت كل ملة قبلها[٢] .

٢- قوله في التوراة لهاجر بشارة بإسماعيل عليه السلام : (إني جاعله لأمة عظيمة ، ومعظمة جدا جدا) ، وفي موضع آخر قال عن إسماعيل عليه السلام : (إنه يجعل يده فوق يدي الجميع)[٣] ؛ وهذا التعظيم المبالغ فيه ، الذي صار به ولد إسماعيل عليه السلام فوق الناس لم يظهر إلا بنبوة محمد ﷺ ؛ فهو خير نبي لخير أمة أخرجت للناس ، وهو الذي علت شريعته فوق الأمم ، وامتد سلطانه حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها[٤] ؛ قال شيخ الإسلام : (لما بعث ﷺ صار يد ولد إسماعيل عليه السلام فوق الجميع ؛ فلم يكن في الأرض سلطان أعز من سلطانهم ، وقهروا فارس والروم وغيرهم من الأمم ، وقهروا اليهود والنصارى والمجوس والمشركين والصابئين ؛ فظهر بذلك تحقيق قوله في التوراة :

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٠٤-٢٠٩ .

(٢) انظر : الإسلام والأديان ، ص (٢٣٤) .

(٣) الجواب الصحيح ٥/٢١١ .

(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٢١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وتكون يده فوق الجميع ويد الكل به ؛ وهذا أمر مستمر إلى آخر الدهر)[١] .

٣- وقال داود عليه السلام في الزبور : (سبحوا الله تسبيحا جديدا ، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحونه على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين ؛ لينتقم بهم من الأمم الذين لايعبدونه)[٢] ؛ فذكر لهؤلاء المصطفين الأخيار ثلاث صفات لاتنطبق إلا على محمد ﷺ وأصحابه الأبرار ؛ وهي :

أ- التسبيح على مضاجعهم ؛ فالمسلمون هم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ؛ ولا يتركون ذكر الله في حال من الأحوال ؛ والصلوات الخمس أعظم التسبيح ؛ وهي التي شرعها الله جديدا للمسلمين .

ب- التكبير بأصوات مرتفعة ؛ وهو من شعائر المسلمين في الآذان والصلوات والحج والأعياد وعلى القرابين والهدايا والضحايا ، وهو من سنتهم كذلك إذا علوا شرفا ، أو قفلوا من غزو أو حج أو عمرة .

ج- وكذلك السيوف ذات الشفرتين هي السيوف العربية التي فتح بها الصحابة وأتباعهم البلاد ، وانتقم الله بها وبأهلها من أمم الشرك[٣] .

٤- وقالوا : قال داود عليه السلام في مزموره : (لترتاح البوادي وقراها ، ولتصر أرض قيذار مروجا ، وليسبح سكان الكهوف ، ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر)[٤] ؛ فهذه صفة محمد ﷺ وصفة أمته ؛ فقيذار ابن إسماعيل جد الرسول ﷺ ، والعرب هم أهل البوادي والكهوف والجبال[٥] .

٥- وقالوا : قال داود عليه السلام في مزمور له : (ويحوز من البحر إلى البحر ، ومن لدن الأنهار إلى منقطع الأرض ، ويخر أهل الجزائر بين يديه ، ويلحس أعداؤه التراب ، ويسجد له ملوك الفرس ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص البائس المضطهد ممن هو أقوى منه ، وينقذ الضعيف

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٢٥ .

(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٢٦ .

(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٢٦ – ٢٣٦ .

(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٤٥ .

(٥) المرجع السابق .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الذي لا ناصر له ، ويرأف بالمساكين والضعفاء ، ويصلى عليه ويبارك في كل حين)[١]؛ فذكر ست صفات لا تنطبق إلا على محمد ﷺ وأمته :-

أ- فهو الذي حاز وملك من البحر إلى البحر ، وامتد ملكه من لدن الأنهار بجيحون وسيحون إلى منقطع الأرض بالمغرب .

ب- وهو الذين خرت الجزائر بين يديه ؛ جزيرة العرب ، وجزيرة العراق ، وجزيرة قبرص ، وجزيرة الأندلس .

ج- وهو الذي خضعت له ملوك الفرس ؛ فلم يبق منهم إلا من أسلم ، أو أدى الجزية صاغرا .

د- وهو الذي دانت له الأمم التي عرفته وعرفت أمته ؛ إيمانا أو نفاقا ، أو خوفا ، أو مهادنة .

هـ- وهو الذي أنقذ الضعفاء من الجبارين .

و- وهو الذي يصلى عليه ويبارك في الصلوات الخمس وغيرها ، وفي كل حين[٢] .

٦- قالوا وقال أشعياء النبي ونص على خاتم النبوة : (ولد لنا غلام ، يكون عجبا وبشرا ، والشامة على كتفيه ، أركون السلام ، إله جبار ، وسلطانه سلطان السلام ، وهو ابن عالمه ، يجلس على كرسي داود)[٣] ؛ فوصف النبي ﷺ بما هو من أخص علاماته وأوضحها ؛ وهي الشامة ؛ أي خاتم النبوة الذي بين كتفيه ، ووصفه بالجلوس على كرسي داود ؛ يعني أنه سيرث نبوة بني إسرائيل وملكهم ؛ وسماه إله على نحو قول التوراة : إن الله جعل موسى إلها لفرعون ؛ أي حاكما عليه ومتصرفا فيه ، وعلى نحو قول داود للعظماء من قومه إنكم آلهة ؛ فهو ﷺ عظيم العالم ، وسيده وكبيره ، وهو أركون السلام ؛ أي سيد دين الإسلام وعظيمه[٤] ؛ قال شيخ الإسلام : (وصف محمدا ﷺ بأنه أركون السلم ، والسلم والسلام الإسلام ؛ فهو يبين أنه سيد دين الإسلام ، ولا ريب أن الأنبياء كلهم بعثوا بدين الإسلام ، لكن لم يظهر هذا الدين واسمه وانتشر ذكر دين الإسلام في الأرض كما ظهر لمحمد ﷺ ؛ فمحمد ﷺ أركون الإسلام ، الذي

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٢٤٦ .

(٢) الجواب الصحيح ٥/٢٤٦ – ٢٤٨ .

(٣) الجواب الصحيح ٥/٢٦٠ .

(٤) الجواب الصحيح ٥/٢٦٠ ، ٢٦١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يجمع كل خير وبر)[١] .

٧- وفي إنجيل يوحنا : (قال المسيح عليه السلام : إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الأب أن يعطيكم فارقليطا آخر ، يثبت معكم إلى الأبد) ، وفيه أيضا : (قال المسيح عليه السلام : إن أركون العالم سيأتي ، وليس لي شيء)[٢] ؛ وهذا يدل على نبوة محمد ﷺ من عدة جوانب ؛ منـــها :-

أ- أن الفارقليط إن كان بمعنى الكاشف فهذا الوصف ظاهر في محمد ﷺ ؛ فهو الذي كشف عن جميع الحق ، وأخبر عن صفات الله وعن صفات ملائكته وملكوته وصفات اليوم الآخر بما ليس في التوراة والإنجيل منه إلا أمور مجملة . وإن كان المراد به الحماد فهو ظاهر كل الظهور في محمد ﷺ وفي أمته ؛ فهم الذين يحمدون الله في كل حال ، وهو صاحب لواء الحمد ، والحمد مفتاح خطبه وصلواته ﷺ ؛ ولهذا كان اسمه محمد وأحمد ؛ لأفضليته في الحمد كما وكيفا .

ب- وصف الفارقليط الآخر بالبقاء إلى الأبد ، ومن المعلوم أن المراد بذلك بقاء شرعه لا بقاء ذاته ، وهذا إنما ينطبق على صاحب الشرع الذي لا ينسخ ؛ وهو محمد ﷺ .

ج- أن الأركون بلغتهم يعني العظيم ؛ فأركون العالم يعني عظيم العالم وسيده وكبيره ، ولم يأت بعد المسيح من ساد العالم باطنا وظاهرا غير محمد ﷺ ؛ فهو الذي انقادت له القلوب والأجساد ، وأطيع في السر والعلانية ؛ فهو أركون العالم في الدنيا ، وسيد ولد آدم يوم القيامة[٣] ؛ روى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح[٤] عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ ؛ آدم[٥] فمن سواه إلا تحت لوائي ، وأنا أول شافع وأول مشفع ولا فخر) .

---

(١) الجواب الصحيح ٥/٣٠٨ .

(٢) الجواب الصحيح ٥/ ٢٨٥ ، ٢٨٦ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ٥/ ٢٨٧-٣١٨ ، شرح المقاصد ٥/٤٣ .

(٤) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (١٤٦٨) .

(٥) لاحظ في الحديث النص على نبوة آدم ، وهو من أظهر الأدلة في الرد على من أنكرها ، وزعم أن مايروى في نبوته عليه السلام لايثبت .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

إرهاصات النبـــوة

يطلق الرهص على معان ؛ منها العرق الأسفل من الحائط ؛ يقال : أرهص الحائط ؛ أي بنى رهصه ؛ وهو الأساس الذي يكون أسفل بنائه ؛ ومنه الإرهاص ؛ وهو الإثبات ؛ يقال : أرهص الشيء إذا أسسه وأثبته ، وكان ذلك إرهاصا للنبوة ؛ أي تأسيسا وإثباتا لها[١] .

والإرهاص اصطلاحا اسم لكل آية كانت للنبي ﷺ قبل بعثته . وإنما خصت بهذا الاسم ؛ لأنها تؤسس لنبوته ﷺ ، وتوطئ لها ، وتؤذن بظهورها ، وتدل على إثباتها[٢] .

وقد عني العلماء بهذا الضرب من الآيات ، وجمع ما وقع من ذلك الحاكم في الأكليل ، وأبوسعيد النيسابوري في شرف المصطفى ، وأبو نعيم والبيهقي في دلائل النبوة[٣] ؛ ولما ثبت من ذلك عدة أمثلة ؛ منـــها :-

١- حادثة الفيل ، التي وقعت عام ولادة النبي ﷺ ؛ فقد كانت توطئة وإرهاصا لظهوره ﷺ ؛ قال ابن القيم : (لا خلاف أنه ولد ﷺ بجوف مكة ، وأن مولده كان عام الفيل ، وكان أمر الفيل تقدمه قدمها الله لنبيه وبيته ، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب ، وكان دينهم خيرا من دين أهل مكة إذ ذاك ؛ لأنهم كانوا عباد أوثان ؛ فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرا لا صنع للبشر فيه ؛ إرهاصا وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة ، وتعظيما للبيت الحرام)[٤] .

٢- النور الذي رأته والدته لما حملت به ، ثم حصوله لما وضعته كما رأت في منامها ؛ روى الطبراني وغيره بسند حسن[٥] عن أبي مريم الغساني مرفوعا : (أخذ الله عز و جل مني الميثاق كما كما أخذ من النبيين ميثاقهم ، وبشر بي عيسى ابن مريم ، ورأت أمي في منامها أنه خرج من بين رجليها سراج أضاءت له قصور الشام) ، والظاهر أن هذه الرؤيا كانت عند حملها به ﷺ ؛ لما

---

(١) انظر : الصحاح ١٠٤٢/٣ ، أساس البلاغة ، ص (١٨١) ، لسان العرب ٤٣/٧ ، ٤٤ ، النهاية ٢٨٢/٢ ، تاج العروس ، مادة (رهص) .

(٢) انظر : التعريفات للجرجاني ، ص (١٦) ، المعجم الوسيط ، ص (٣٧٧) ، المعجم الوجيز ، ص (٢٧٩) .

(٣) انظر : فتح الباري ٥٨٣/٦ . وينبغي التنبه إلى أن بعض ما شاع من هذه الإرهاصات لم يثبت . انظر: السيرة النبوية الصحيحة ٩٨/١-١٠١.

(٤) زاد المعاد ٧٦/١ .

(٥) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٢٤) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

رواه ابن اسحاق بسند جيد قوي[١] عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا له أخبرنا عن نفسك ، قال نعم : (أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى عليهما السلام ، ورأت أمي حين حملت بي أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام) ، وروى أبو يعلى وغيره بإسناد رجاله ثقات[٢] عن حليمة السعدية عن أم رسول الله ﷺ قالت : (والله إن لابني هذا لشأنا ، إني حملت به فلم أر حملا قط كان أخف ولا أعظم بركة منه ، ثم رأيت نورا كأنه شهاب خرج من حين وضعته أضاءت لي أعناق الإبل ببصرى) ، وفي رواية[٣] : (يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام) ؛ قال ابن كثير : (وهذا وذاك يقتضي أنها رأت حين حملت به عليه السلام كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام ، ثم لما وضعته رأت عيانا تأويل ذلك ، كما رأته قبل ذلك ، والله أعلم)[٤] .

٣- تطهير قلب النبي ﷺ من حظ الشيطان ، وحفظه ﷺ من عبادة الأوثان ، وصيانته عما يستقبح ؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً ، فَقَالَ : هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ . ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ ؛ بِمَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ لأَمَهُ ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ . وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ ؛ يَعْنِي ظِئْرَهُ ، فَقَالُوا : إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ . قَالَ أَنَسٌ : وَقَدْ كُنْتُ أَرَى فِي أَثَرِ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ) ، وروى البيهقي وغيره بسند حسن[٥] عن زيد بن حارثة ﷺ قال : (والذي أكرمه وأنزل عليه الكتاب ما ما استلم صنما قط حتى أكرمه الله تعالى بالذي أكرمه وأنزل عليه) ، وروى البخاري بسنده عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَنْقُلُ مَعَهُمْ الْحِجَارَةَ لِلْكَعْبَةِ ، وَعَلَيْهِ إِزَارُهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ ؛ عَمُّهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، لَوْ حَلَلْتَ إِزَارَكَ ، فَجَعَلْتَ عَلَى مَنْكِبَيْكَ دُونَ الْحِجَارَةِ . فَحَلَّهُ ؛ فَجَعَلَهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ ، فَمَا رُئِيَ بَعْدَ ذَلِكَ عُرْيَانًا ﷺ)

---

(١) انظر : البداية والنهاية ٢/٢٧٥ . وانظر : مجمع الزوائد ٨/٢٢٥ .

(٢) انظر : مجمع الزوائد ٨/٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٢/٢٦٣ .

(٤) انظر : البداية والنهاية ٢/٢٦٤ . وانظر : السيرة النبوية الصحيحة ١/١٠١ .

(٥) انظر : السيرة النبوية الصحيحة ١/١١٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

؛ قال ابن حجر : (وفيه أنه ﷺ كان مصونا عما يستقبح قبل البعثة ... وقد ذكر ابن إسحاق في السيرة أنه ﷺ تعرى وهو صغير عند حليمة ، فلكمه لاكم ، فلم يعد يتعرى . وهذا إن ثبت حمل على نفي التعري بغير ضرورة عاديه ، والذي في حديث الباب على الضرورة العادية ، والنفي فيها على الإطلاق ، أو يتقيد بالضرورة الشرعية ؛ كحالة النوم مع الأهل أحيانا)[١] .

٤- تسليم الحجر على النبي ﷺ قبل مبعثه ؛ روى مسلم بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَرًا بِمَكَّةَ ؛ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآن) ؛ قال النووي : (فِيهِ مُعْجِزَةٌ لَهُ ﷺ ، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ التَّمْيِيزِ فِي بَعْضِ الْجَمَادَاتِ ، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحِجَارَةِ : وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى : وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ خِلَافٌ مَشْهُورٌ ، وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ يُسَبِّحُ حَقِيقَةً ، وَيَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِ تَمْيِيزًا بِحَسْبِهِ كَمَا ذَكَرْنَا ، وَمِنْهُ الْحَجَرُ الَّذِي فَرَّ بِثَوْبِ مُوسَى عليه السلام ، وَكَلَامُ الذِّرَاعِ الْمَسْمُومَةِ ، وَمَشْيُ إِحْدَى الشَّجَرَتَيْنِ إِلَى الْأُخْرَى ؛ حِينَ دَعَاهُمَا النَّبِيُّ ﷺ ، وَأَشْبَاهُ ذَلِكَ)[٢] .

٥- الرؤى الصادقة ؛ فكان ﷺ لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ روى البخاري بسنده عَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ ؛ فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ ؛ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ) ؛ قال ابن حجر : (بُدِئَ بِذَلِكَ لِيَكُونَ تَمْهِيدًا وَتَوْطِئَةً لِلْيَقَظَةِ ، ثُمَّ مَهَّدَ لَهُ فِي الْيَقَظَةِ أَيْضًا رُؤْيَةَ الضَّوْءِ ، وَسَمَاعَ الصَّوْتِ ، وَسَلَامَ الْحَجَرِ)[٣] .

---

(١) فتح الباري ١/٤٧٥ .

(٢) شرح صحيح مسلم ١٥/٣٦ ، ٣٧ .

(٣) فتح الباري ١/٢٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الآيـــات الخبرية .

وهي إخبار النبي ﷺ عن أمور غائبة معينة إخبارا صادقا مفصلا كأنما رآها بعينه ؛ فإن هذه الأخبار من براهين نبوته ﷺ ؛ لأنها لا تكون قط إلا لنبي ، وما يكون لغيرهم من ذلك فإنما هي أخبار قليلة ومجملة ، وكثيرا مايقارنها الكذب ؛ كأخبار الكهنة والمنجمين[١] . وإخبار النبي ﷺ عن أمور الغيب ثلاثة أنواع :-

١- الإخبار عن الغيوب الماضية ؛ كما أخبر عن قصة آدم ونوح وإبراهيم وإسرائيل وإسماعيل وموسى وذي القرنين وأصحاب الكهف وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين إخبارا مفصلا مبينا يستحيل أن يكون إلا بإنباء وإعلام من الله تعالى ؛ ولهذا قال تعالى في آخر قصة نوح عليه السلام : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩ ، وقال في آخر قصة يوسف عليه السلام : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ يوسف: ١٠٢ [٢] . والإخبار عن الغيوب الماضية من أعظم مايدل على بطلان قول الفلاسفة في حقيقة النبوة ؛ إذ لو كان سبب العلم بالغيب هو اتصال نفس النبي ﷺ بالنفس الفلكية أو العقل الفعال لما أمكن النبي ﷺ الإخبار بالغيوب الماضية ؛ لأن حركة الفلك على أصلهم إنما تكون سببا للغيوب الآتية لا الماضية[٣] .

٢- الإخبار عن الغيوب الحاضرة ؛ فقد أخبر النبي ﷺ بمغيبات وقعت في زمانه كما أخبر ؛ ولذلك أمثلة ؛ منها :-

أ- روى البخاري بسنده عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (لأُعْطِيَنَّ الرَّايةَ أو ليأْخُذَنَّ الرَّايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسولُهُ ، أو قال : يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسولَه ، يَفْتَحُ اللَّهُ عليهِ . فإذا نحنُ بعَلِيٍّ وما نَرْجوهُ ، فقالوا : هذا عليٌّ ، فأعطاهُ رسول الله ﷺ الرَّايَةَ ففتحَ اللَّهُ عليهِ) .

ب- روى البخاري بسنده عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال : (نَعَى لنا رسولُ اللهِ ﷺ النجاشيَّ صاحبَ الحبشةِ ، يومَ الذي ماتَ فيهِ ، فقال : استغفِروا لأخِيكمْ) .

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٥٧٠ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٥٤-٤٥٦ ، ٤٦٠، ٤٦١ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ج- روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود ﷺ : حدث عن سعد بن مُعاذٍ ﷺ أنه قال : كان صديقا لأمية بن خلف ... الحديث ، وفيه : فقال له أمية : لا ترفع صوتك يا سعد على أبي الحكم ، سيد أهل الوادي ، فقال سعد : دعنا عنك يا أمية ، فوالله لقد سمعت الرسول ﷺ يقول : إنهم قاتلوك . قال : بمكة ؟ قال : لا أدري ، ففزع لذلك أمية فزعا شديدا ، فلما رجع أمية إلى أهله قال يا أم صفوان ، ألم تري ما قال لي سعد ؟ قالتْ : وما قال لك ؟ قال : زعم أن محمدا أخبرهم أنهم قاتلي، فقُلْت له : بمكة ، قال لا أدري ، فقال أمية : والله لا أخرج من مكة ، فلما كان يومَ بدر استنفر أبو جهل الناس قال : أدركوا عيركم ؟ فكره أمية أن يخرج ، فأتاه أبو جهل فقال : يا أبا صفوان ، إنك متى ما يراك الناس قد تخلفت ، وأنت سيد أهل الوادي ، تخلفوا معك ، فلم يزل أبو جهل حتى قال : أما إذ غلبتني ، فوالله لأشترين أجود بعير بمكة ، ثم قال أمية : يا أم صفوان جهزيني ، فقالتْ له : يا أبا صفوان ، وقد نسيت ما قال لك أخوك اليثربي ؟ قال : لا ، ما أريد أن أجوز معهم إلا قريبا ، فلما خرج أمية أخذ لا ينزل منزلا إلا عقل بعيره ، فلم يزل بذلك ، حتى قتله الله عز وجل ببدر) .

د- وروى البخاري بسنده عن أبي حميد الساعدي ﷺ قال : (لما أتينا تبوك قال ﷺ : أما إنها ستهب الليلة ريح شديدة ، فلا يقومن أحد ، ومن كان معه بعير فليعقله ، فعقلناها ، وهبت ريح شديدة ، فقام رجل فألقته بجبل طيئ) .

هـ- وروى البخاري بسنده عن سليمان بن صرد ﷺ قال : (سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ حينَ أجلى الأحزابَ عنه : الآن نَغْزُوهم ولا يَغْزُوننا ، نحن نسيرُ إليهم) ، وأخرج البزار بإسناد حسن[(١)] من حديث جابر ﷺ : (أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب ، وقد جمعوا له جموعا كثيرة : لا يغزونكم بعد هذا أبدا ، ولكن أنتم تغزونهم) ؛ وكذلك كان[(٢)] .

٣- الإخبار عن الغيوب الآتية ؛ فقد أخبر النبي ﷺ عن كثير من الأمور الآتية فوقعت بعد زمانه كما أخبر ؛ ولذلك أمثلة كثيرة ؛ منها :-

أ- روى مسلم بسنده عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال : (قام فينا رسولُ اللهِ ﷺ مقامًا ما ترك

---

(١) انظر : فتح الباري ٤٠٥/٧ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٥٨٣/٢ ، ٥٩٥-٦٠٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

شيئًا يكون في مقامِه ذلك إلى قيامِ الساعةِ إلا حدَّث به ، حفِظَه من حفظه ونسِيَه من نسيه . قد علِمَه أصحابي هؤلاءِ . وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسيتُه فأراه فأذكرَه ،كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجلِ إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه) .

ب- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (بَيْنَا أنا نائمٌ ، رَأَيْتُنِي على قَلِيبٍ عليها دَلْوٌ ، فنَزَعْتُ منها ما شاء اللهُ ، ثم أخذها ابنُ أبي قُحَافَةَ ، فنَزَع بها ذَنُوبًا أو ذَنُوبَيْنِ ، وفي نَزْعِهِ ضَعْفٌ ، واللهُ يَغْفِرُ له ، ثم اسْتَحَالَتْ غَرْبًا ، فأخذها عمرُ بنُ الخطابِ ، فلم أَرَ عَبْقَرِيًّا من الناسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عمرَ بنِ الخطابِ ، حتى ضَرَبَ الناسُ بعَطَنٍ) ؛ وفي رواية له : (فجاءَ ابنُ الخطَّابِ فأخذَ منْهُ ، فلم أرَ نزعَ رجلٍ قطُّ أقوى منْهُ ، حتَّى تولَّى النَّاسُ والحوضُ ملآنُ يتفجر) ؛ وكذلك كان ؛ فكانت الفتوحات العظيمة في عهد عمر ؛ قال ابن حجر : (اتفق من شرح هذا الحديث على أن ذكر الذنوب إشارة إلى مدة خلافته ، وفيه نظر ؛ لأنه ولي سنتين وبعض سنة ، فلوكان ذلك المراد لقال ذنوبين أو ثلاثة ، والذي يظهر لي أن ذلك إشارة إلى ما فتح في زمانه من الفتوح الكبار ، وهي ثلاثة ؛ ولذلك لم يتعرض في ذكر عمر إلى عدد ما نزعه من الدلاء ، وإنما وصف نزعه بالعظمة ؛ إشارة إلى كثرة ما وقع في خلافته من الفتوحات . والله اعلم)[1] .

ج- روى البخاري بسنده عن أنس ﷺ قال : (كان رسولُ اللهِ ﷺ إذا ذهَب إلى قُباءَ ، يَدخُلُ على أمِّ حَرامٍ بنتِ مِلحانَ فتُطعِمُه ، وكانت تحتَ عُبادَةَ بنِ الصامِتِ ، فدخَل يومًا فأطعمَتْه ، فنام رسولُ اللهِ ﷺ ، ثم استيقَظَ يضحَكُ ، قالتْ : ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ ؟ فقال :ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللهِ ، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ ، مُلوكًا على الأسِرَّةِ ، أو قال : مِثلَ المُلوكِ على الأسِرَّةِ . يشُكُّ إسحَقُ . فقلتُ : ادعُ اللهَ أن يجعَلني منهم ، فدعا ، ثم وضَع رأسَه فنام ، ثم استيقَظ يَضحَكُ ، فقلتُ : ما يُضحِكُكَ يا رسولَ اللهِ ، قال : (ناسٌ من أمتي عُرِضوا عليَّ غُزاةً في سبيلِ اللهِ ، يركَبونَ ثَبَجَ هذا البحرِ ، مُلوكًا على الأسِرَّةِ ، أومِثلَ المُلوكِ على الأسِرَّةِ. فقلتُ : ادعُ اللهَ أن يجعَلَني منهم ، قال :أنتِ من الأوَّلينِ .فرَكِبَتِ البحرَ في زمانِ مُعاوِيَةَ ، فصُرِعَتْ عن دابَّتِها حين خرجَتْ من البحرِ فهلَكَتْ) ؛ قال ابن حجر : (كان ذلك في خلافة

---

(١) فتح الباري ٣٨/٧، ٣٩ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عثمان ؛ سنة ثمان وعشرين ، ومعاوية يومئذ أمير الشام ، وظاهر سياق الخبر يوهم أن ذلك كان في خلافته ، وليس كذلك ... وفي الحديث ضروب من إخبار النبي ﷺ بما سيقع فوقع كما قال ، وذلك معدود من علامات نبوته ؛ منها إعلامه ببقاء أمته بعده ، وأن فيهم أصحاب قوة وشوكة ونكاية في العدو ، وأنهم يتمكنون من البلاد حتى يغزوا البحر ، وأن أم حرام تعيش إلى ذلك الزمان ، وأنها تكون مع من يغزو البحر ، وأنها لا تدرك زمان الغزوة الثانية)[١] .

د- روى البخاري بسنده عن أبي بكرة ﷺ قال : (رأيتُ رسولَ اللهِ ﷺ علَى المِنْبَرِ ، والحَسَنُ بنُ عليٍّ إلى جنبِهِ ، وهوَ يُقْبِلُ علَى الناسِ مَرَّةً وعليهِ أخْرَى ، ويقولُ : إنَّ ابنِي هذا سيدٌ ، ولعَلَ اللهَ أنْ يُصْلِحَ بهِ بينَ فِئَتَينِ عَظِيمَتَينِ من المسلمينَ) ؛ قال ابن تيمية : (وقع هذا كما أخبر به بعد موت الرسول ﷺ بنحو ثلاثين سنة ، وهو سنة أربعين من الهجرة ؛ لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانت متحاربتين بصفين)[٢] ، وقال ابن حجر : (في هذه القصة من الفوائد علم من أعلام النبوة ، ومنقبة للحسن بن علي ؛ فإنه ترك الملك لا لقلة ولا لذلة ولا لعلة ، بل لرغبته فيما عند الله ؛ لما رآه من حقن دماء المسلمين ؛ فراعى أمر الدين ، ومصلحة الأمة ، وفيها رد على الخوارج الذين كانوا يكفرون عليا ومن معه ، ومعاوية ومن معه ؛ بشهادة النبي ﷺ للطائفتين بأنهم من المسلمين ، ومن ثم كان سفيان بن عيينة يقول عقب هذا الحديث : قوله من المسلمين يعجبنا جدا)[٣] .

ه- روى البخاري عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك ، صغار الأعين ، حمر الوجوه ، ذلف الأنوف ؛ كأن وجوههم المجان المطرقة ، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوما نعالهم الشعر) ؛ قال ابن تيمية : (هؤلاء الطوائف كلهم قاتلهم المسلمون كما أخبر ﷺ ، وأمر هذه الطوائف معروف ؛ فإن قتال الترك من التتار وغيرهم الذين هذه صفتهم معروف مشهور ، وحديثهم في أكثر من عشرة آلاف نسخة كبار وصغار من كتب المسلمين ، قبل قتال هؤلاء الذي ظهروا من ناحية المشرق ، الذين هذه صفتهم ، التي لو كلف من رآهم بعينه أن

---

(١) فتح الباري ١١/٧٥-٧٧ (بتصرف يسير) . وانظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/٥٨٩ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٥٧٩ .

(٣) فتح الباري ١٣/٦٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يصفهم لم يحسن مثل هذه الصفة)[١] . ولهذه الأخبار نظائر كثيرة ، ذكرها العلماء في دلائل النبوة[٢] .

الآيات الفعليـــة

إذا كانت الآيات الخبرية ترجع إلى العلم فإن الآيات الفعلية ترجع إلى القدرة ؛ لأن جماعها القدرة على أفعال وتأثيرات خارجة عن معهود الخلق[٣] ؛ ولهذه الآيات أمثلة كثيرة ؛ منها :-

١- انشقاق القمر ؛ قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ القمر: ١ ؛ أي وقد انشق القمر ؛ آية لصدق النبي ﷺ ؛ روى البخاري بسنده عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ ، فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ ، وَفِرْقَةً دُونَهُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اشْهَدُوا) ، وروى البخاري بسنده عَنْ أنس ﷺ : (أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية ، فأراهم القمر شقتين ، حتى رأوا حراء بينهما) ، والأحاديث في ذلك متواترة[٤] ؛ وهي آية عظيمة لايكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ؛ قال الخطابي : (انشقاق القمر آية عظيمة ، لا يكاد يعدلها شيء من آيات الأنبياء ؛ وذلك أنه ظهر في ملكوت السماء ، خارجا من جملة طباع ما في هذا العالم المركب من الطبائع ، فليس مما يطمع في الوصول إليه بحيلة ؛ فلذلك صار البرهان به أظهر)[٥] .

٢- الحراسة التامة للسماء ؛ قال تعالى عن الجن : ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩ ﴾ الجن: ٨ - ٩ ؛ فبعد بعثة النبي ﷺ ، وأثناء نزول القرآن منجما كثر الرمي بالشهب كثرة خارقة للعادة ، وحرست السماء بالشهب حراسة تامة ؛ حالت بين الشاطين وبين خبر السماء ؛ قال ابن تيمية : (من آياته الظاهرة في القرآن ماذكره من أن السماء ملئت حرسا شديد وشهبا بخلاف ماكانت العادة جارية به ... وقبل ذلك لم يكن الحرس شديدا ، ولا كانت السماء مملوءة حرسا وشهبا ، كما هي الآن يرمى بها

---

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/٥٧٨ .

(٢) انظر : صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٦/٦٠٣-٦٣٠ ، الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/٥٧١-٥٩٤ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٦٠٤ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٧/٨٣ .

(٥) نقلا عن فتح الباري ٧/١٨٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أحيانـــــا)[١] ، وقال : (السماء حرست حرسا لم يعهده الناس قبل ذلك ، ورأى الناس ذلك بأبصارهم ... وكان ما عاينه الكفار من الرمي الشديد العام الذي انتقضت به العادة المعروفة من رمي الشهب دليلا على سبب خارق للعادة ، ولم يحدث إذ ذاك في الأرض أمر لم تجر به العادة إلا ادعاءه ﷺ للرسالة ، فلم يعرف قبله من نزل عليه الكلام كتزوله عليه ؛ إذ كان موسى عليه السلام إنما أنزلت عليه التوراة مكتوبة ، لم تنزل عليه منجمة مفرقة ملقاة إليه حفظا ، حتى تحتاج السماء إلى حراستها عن استراق سمعها ، والزبور تابع لشرع التوراة ، وكذلك الإنجيل فرع على التوراة لم ينزل كتاب مستقل إلا التوراة والقرآن)[٢] .

٣- نبع الماء من بين أصابع النبي ﷺ ؛ روى البخاري بسنده عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : (عَطِشَ الناسُ يومَ الحُدَيْبَيَةِ ، والنبيُّ ﷺ بينَ يَدَيْه رِكوةٌ فتَوَضأَ ، فجَهَشَ الناسُ نحوه ، فقال: ما لكم ؟! قالوا : ليس عندَنَا ماءٌ نتَوَضأَ ، ولا نَشْرَبُ إلا ما بينَ يَدَيْكَ ، فوضَعَ يدَه في الرِّكْوةِ ، فجعَلَ الماءُ يَثُورُ بينَ أصابعِه كأمثالِ العُيونِ ، فشَرِبْنَا وتوضأَنَا . قلتُ : كم كنتم ؟ قال : لو كنَّا مائةَ ألفٍ لكَفَانَا ، كنَّا خمسَ عشرةَ مائةً) ؛ وقد تكرر ذلك في مواطن أخرى في داخل المدينة وخارجها[٣]؛ قال عياض : (هذه القصة رواها الثقات من العدد الكثير عن الجم الغفير عن الكافة متصلة بالصحابة ، وكان ذلك في مواطن اجتماع الكثير منهم في المحافل ومجمع العساكر ، ولم يرد عن أحد منهم إنكار على راوي ذلك ، فهذا النوع ملحق بالقطعي من معجزاته . وقال القرطبي : قضية نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكررت منه في عدة مواطن ، في مشاهد عظيمة ، ووردت من طرق كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي ، المستفاد من التواتر المعنوي . ولم يسمع بمثل هذه المعجزة عن غير نبينا ﷺ . وقد نقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال : نبع الماء من بين أصابعه ﷺ أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر ؛ حيث ضربه موسى عليه السلام بالعصا فتفجرت منه

---

(١)الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٥٦٤-٥٦٩ .

(٢)الجواب الصحيح ، طبعة البيان ٢/ ٤٦٩ .

(٣) انظر : صحيح البخاري وفتح الباري ٦/ ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٤ ، ٥٨٧ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، صحيح مسلم ٤/٢٣٠٧-٢٣٠٩ ، والخبر الذي رواه مسلم في هذا الموضع برقم (٣٠١٣) من أبلغ الأخبار لاشتماله على قلة الماء وعلى كثرة من استقى منه . انظر : فتح الباري ٦/٥٨٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المياه ؛ لأن خروج الماء من الحجارة معهود ، بخلاف خروج الماء من بين الأصابع)[١] .

٤- تكثير الماء القليل ببركته ﷺ ؛ كما في قصة المرأة صاحبة المزادتين ؛ روى البخاري بسنده عن عمران بن حصين ﷺ أنهم كانوا مع النبيِّ ﷺ في مسيرٍ ، فأدلجوا ليلتَهم ، حتى إذا كان وجه الصبحِ عرَّسوا ، فغلبتهم أعينُهم حتى ارتفعتِ الشمسُ ، فكان أولَ من استيقظَ من منامِه أبو بكرٍ ، وكان لا يوقظُ رسولُ اللهِ ﷺ من منامِه حتى يستيقظَ ، فاستيقظَ عمرُ ، فقعدَ أبو بكرٍ عند رأسِه ، فجعل يكبِّرُ ويرفع صوتَه حتى استيقظَ النبيُّ ﷺ ، فنزل وصلى بنا الغداةَ ، فاعتزلَ رجلٌ من القومِ لم يصلِّ معنا ، فلما انصرف قال : يا فلانُ ، ما يمنعُك أن تصليَ معنا . قال: أصابتني جنابةٌ ، فأمرَه أن يتيممَ بالصعيدِ ، ثم صلى، وجعلني رسولُ اللهِ ﷺ في ركوبٍ بين يديه ، وقد عَطِشْنا عَطَشًا شديدًا فبينما نحن نسيرُ ، إذا نحن بامرأةٍ سادلةٍ رجليها بين مزادتينِ ، فقلنا لها: أين الماءُ؟ فقالت: إنه لا ماءَ ، فقلنا : كم بين أهلِك وبين الماءِ ؟ قالت : يومٌ وليلةٌ ، فقلنا: انطلقي إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، قالت : وما رسولُ اللهِ؟ فلم نملكها حتى استقبلنا بها النبيُّ ﷺ ، فحدثته بمثلِ الذي حدثتنا ، غيرَ أنها حدثته أنها مؤْتِمة ، فأمرَ بمزادتيها ، فمسح في العزلاوين (أي في فم القربة) ، فشربنا عِطَاشًا ؛ أربعون رجلاً حتى رَوينا ، فملأنا كُلَّ قربةٍ معنا وإداوةٍ ، غيرَ أنه لم نسق بعيرًا ، وهي تكادُ تَنضُّ من المِلءِ ، ثم قال : هاتوا ما عندكم . فجُمِعَ لها من الكِسَرِ والتمرِ ، حتى أتت أهلَها . قالت : لقيتُ أسحر الناسِ ، أو هو نبيٌّ كما زعموا ، فهدى اللهُ ذلك الصِّرْمَ بتلك المرأةِ ، فأسلمت وأسلموا) . وقد تكرر ذلك في مواضع ؛ قال ابن حجر : (وأما تكثير الماء بأن يلمسه بيده ، أو يتفل فيه ، أو يأمر بوضع شيء فيه ؛ كسهم من كنانته فجاء في حديث عمران بن حصين في الصحيحين ، وعن البراء بن عازب عند البخاري وأحمد من طريقين ، وعن أبي قتادة عند مسلم ، وعن أنس عند البيهقي في الدلائل ، وعن زياد بن الحارث الصدائي عنده ، وعن حبان بن بح بضم الموحدة وتشديد المهملة الصدائي أيضا)[٢] .

٥- تكثير الطعام القليل ؛ روى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ﷺ قال : (قال أبو طلحة لأم سليم : لقد سَمِعْتُ صوتَ رسولِ اللهِ ﷺ ضعيفًا ، أَعْرِفُ فيه الجوعَ ، فهل عندَك مِن شيءٍ ؟

---

(١) نقلا عن فتح الباري ٦/٥٨٤، ٥٨٥ (باختصار وتصرف يسير) .

(٢) فتح الباري ٦/٥٨٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قالت : نعم . فأَخْرَجَتْ أقراصًا مِن شعيرٍ ، ثم أَخْرَجَتْ خِمارًا لها ، فلفت الخبزَ ببعضِه ، ثم دَسَّتْه تحتَ يدي ولاثتني ببعضِه ، ثم أَرْسَلَتْني إلى رسولِ اللهِ ﷺ ، قال : فذَهَبْتُ به ، فوجَدْتُ رسولَ اللهِ ﷺ في المسجدِ ومعه الناسُ ، فقُمْتُ عليهم ، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ : آرَسَلَكَ أبو طلحةَ ؟ فقلتُ : نعم . قال : بطعامٍ . قلتُ : نعم . فقال رسولُ اللهِ ﷺ لَمن معَه : قوموا[١] . فانطَلَقَ وانطلَقْتُ بينَ أيديهم ، حتى جِئْتُ أبا طلحةَ فأَخْبَرْتُه ، فقال أبو طلحةَ : يا أمَّ سليمٍ ، قد جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ بالناسِ ، وليس عندَنا ما نُطْعِمُهم ؟ فقالت : اللهُ ورسولُه أعلمُ ، فانطَلَقَ أبو طلحةَ حتى لَقِيَ رسولَ اللهِ ﷺ ، فأَقْبَلَ رسولُ اللهِ ﷺ وأبو طلحةَ معه ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ : هَلُمِّي يا أمَّ سُلَيْمٍ ، ما عندَكِ ؟ فأَتَتْ بذلك الخبزِ ، فأَمَرَ به رسولُ اللهِ ﷺ ففُتَّ ، وعَصَرَتَ أمُّ سُلَيْمٍ عَكَّةً فأَدَمَتْه ، ثم قال رسولُ اللهِ ﷺ فيه ما شاءَ اللهُ أن يقولَ[٢] ، ثم قال : ائْذَنْ لعشرةٍ . فأَذِنَ لهم ، فأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثم خَرَجُوا ، ثم قال: ائْذَنْ لعشرةٍ . فأَذِنَ لهم ، فأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثم خَرَجُوا ، ثم قال : ائْذَنْ لعشرةٍ . فأَذِنَ لهم ، فأَكَلُوا حتى شَبِعُوا ثم خَرَجُوا ،ثم قال : ائذَنْ لعشرةٍ . فأَكَلَ القومُ كلُّهم وشَبِعُوا ، والقومُ سبعون أو ثمانون رجلًا) ، وفي رواية لمسلم : (ثم أكل رسولُ اللهِ ﷺ وأبو طلحةُ ، وأمُّ سُلَيمٍ ، وأنسُ بنُ مالكٍ ، وفضَلَتْ فَضلةٌ ، فأهديناه لجيراننا) .

٦- تكثير القليل من الثمار ؛ روى البخاري بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (أنَّ أباهُ قُتِلَ يومَ أُحُدٍ شهيدًا ، فاشتدَّ الغرماءُ في حقوقهم ، فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ فكلَّمتُهُ ، فسألهم أن يَقْبَلُوا ثمرَ حائطي ويُحَلِّلُوا أبي فأَبَوْا ، فلم يُعطهم رسولُ اللهِ ﷺ حائطي و لم يَكْسِرْهُ لهم ، ولكن قال : سأغدو عليكَ إن شاء الله . فغدا علينا حين أصبحَ ، فطاف في النخلِ ودعا في ثمرِهِ بالبركةِ ، فجددها فقضيتهم حقوقهم ، وبَقِيَ لنا من ثمرها بقيَّةٌ ، ثم جئتُ رسولَ اللهِ ﷺ وهو جالسٌ فأخبرتُهُ بذلك ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ لعمرَ : اسمع ياعمرُ . فقال : ألا يكونُ قد عَلِمْنَا أنكَ رسولُ اللهِ ؟ واللهِ إنكَ لرسولُ اللهِ) ؛ قال ابن حجر : (فيه علم ظاهر من أعلام النبوة ؛ لتكثير القليل

---

(١) ظاهر الخبر يدل على أن النبي ﷺ فهم أن أبا طلحة استدعاه إلى منزله ، وأوله يقتضي أن أبا طلحة وأم سليم أرسلا الخبز مع أنس ؛ وأكثر الروايات تقتضي أن أبا طلحة استدعاه في هذه الواقعة . فتح الباري ٥٨٩/٦ .

(٢) ورد في بعض الروايات مايفسر ذلك ؛ وأنه قال : بسم الله ، اللهم أعظم فيها البركة . فتح الباري ٥٩٠/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

إلى أن حصل به وفاء الكثير ، وفضل منه)[١] .

٧- التأثير في الأشجار ؛ روى مسلم بسنده عن جابر رضي الله عنه قال : (سِرْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى نزَلنا واديًا أَفيَحَ . فذهب رسولُ اللهِ ﷺ يَقضي حاجتَهُ . فاتَّبعتُه بإداوةٍ من ماءٍ . فنظرَ رسولُ اللهِ ﷺ فلم يرَ شيئًا يستتِرُ به . فإذا شجَرتانِ بشاطئِ الوادي . فانطلَقَ رسولُ اللهِ ﷺ إلى إحداهُما فأخذَ بغُصنٍ من أغصانِها . فقال انقادي عليَّ بإذنِ اللهِ فانقادَتْ معه كالبَعيرِ المَخشوشِ ، الَّذي يُصانعُ قائدَهُ . حتَّى أتَى الشَّجرةَ الأخرَى . فأخذ بغصنٍ من أغصانِها . فقال انقادي عليَّ بإذنِ اللهِ فانقادتْ معه كذلك . حتَّى إذا كان بالمنصِفِ ممَّا بينَهما ، لأَمَ بينهما (يعني جمعَهُما) فقال التَئِما عليَّ بإذنِ اللهِ فالتَأمَتا . قال جابرٌ : فخرجتُ أحضرُ (أي أعدو) ؛ مخافةَ أنْ يَحس رسولُ اللهِ ﷺ بقُربي فيبتعدُ فجلستُ أحدِّثُ نفسي . فحانَتْ منِّي لفتةٌ ، فإذا أنا برسولِ اللهِ ﷺ مقبلا ، وإذا الشَّجرَتانِ قد افترقَتا ، فقامتْ كلُّ واحدةٍ منهما على ساقٍ) .

٨- نطق الجماد ؛ كتسبيح الطعام[٢] وحنين الجذع ؛ روى البخاري بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : (كنا نَعُدُّ الآياتِ برَكَةً ، وأنتم تعُدُّونها تخويفًا ، كنا معَ رسولِ اللهِ ﷺ في سفرٍ[٣] ، فقلَّ الماءُ ، فقال : اطلُبوا فَضلةً من ماءٍ . فجاؤوا بإناءٍ فيه ماءٌ قليلٌ ، فأدخَل يدَه في الإناءِ ثم قال : حيَّ على الطَّهورِ المبارَكِ ، والبرَكَةِ من اللهِ . فلقد رأيتُ الماءَ ينبُعُ من بين أصابعِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولقد كنا نسمَعُ تسبيحَ الطعامِ وهو يؤكَلُ) ، وروى البخاري أيضا بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : (أن امرأةً من الأنصارِ قالت لرسولِ اللهِ ﷺ : يا رسولَ اللهِ ، ألا أجعل لك شيئًا تقعدُ عليه ، فإن لي غلامًا نجارًا . قال : إن شئتِ . قال : فعمِلتْ له المنبرَ ، فلما كان يومُ الجمعةِ ، قعد النبيُّ ﷺ على المنبرِ الذي صُنِعَ ، فصاحتِ النخلةُ التي كان يخطبُ عندها حتى كادت تَنشَقُّ ، فنزل النبيُّ ﷺ حتى أخذها فضمَّها إليه ، فجعلتْ تئِنُّ أنينَ الصبيِّ الذي يُسكَّتُ ، حتى استقرتْ ، قال : بكت على ما كانت تسمعُ من الذكرِ) ؛ قال ابن حجر : (حنين الجذع ، وانشقاق القمر ، نقل كل منهما نقلا مستفيضا ، يفيد القطع عند من يطلع على طرق ذلك من أئمة

---

(١) فتح الباري ٥٩٥/٦ .

(٢) وورد أيضا واشتهر تسبيح الحصى ، ولكن ليس له إلا طريق واحدة ضعيفة . انظر : فتح الباري ٥٩٢/٦ .

(٣) ورد في بعض طرق الحديث أن ذلك كان في غزوة خيبر . انظر : فتح الباري ٥٩١/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الحديث ، دون غيرهم ممن لا ممارسة له في ذلك)[١] ، وقال : (في الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان ، بل كأشرف الحيوان ، وفيه تأييد لقول من يحمل (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) على ظاهره . وقد نقل ابن أبي حاتم عن الشافعي أنه قال : ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا ! فقيل : أعطى عيسى إحياء الموتى ؟ قال : أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته ، فهذا أكبر من ذلك !)[٢] . وذلك لأن الجذع لم يسبق له عهد بحياة بخلاف الميت .

٩- إجابة دعائه ﷺ في الحال ؛ روى البخاري بسنده عن أنس ﷺ قال : (أصاب أهلُ المدينةِ قحطٌ على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، فبينا هو يخطبُ يومَ جمعةٍ ، إذ قام رجلٌ فقال : يا رسولَ اللهِ هلكتِ الكُرَاعُ ، هلكتِ الشاءُ ، فادعُ اللهَ يَسقينا . فمدَّ يديهِ ودعا ، قال أنسٌ : وإنَّ السماءَ لمثلُ الزجاجةِ ، فهاجتْ ريحٌ أنشأتْ سحابًا ، ثم اجتمعَ ، ثم أرسلتِ السماءُ عَزَالِيَهَا[٣] ، فخرجنا نخوضُ الماءَ حتى أتينا منازلنا ، فلم نزلْ نُمْطَرُ إلى الجمعةِ الأخرى ، فقام إليهِ ذلك الرجلُ أو غيرَهُ فقال : يا رسولَ اللهِ ، تهدَّمَتِ البيوتُ ، فادْعُ اللهَ يحبسْهُ . فتبسَّمَ ﷺ ثم قال : حَوَالَيْنَا ولا علينا فنظرتُ إلى السحابِ تصدَّعَ حولَ المدينةِ كأنَّهُ إكليلٌ[٤]) ، وروى مسلم بسنده عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما : (أَنَّهُ كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَعْيَا ، فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ . قَالَ : فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَدَعَا لِي وَضَرَبَهُ ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ) .

١٠- التنكيل بأعدائه ﷺ ؛ روى البخاري بسنده عن أنس ﷺ قال : (كان رجلٌ نصرانيًّا فأسلمَ ، وقرأَ البقرةَ ، وآلَ عمرانَ ، فكان يَكتُبُ للنبيِّ ﷺ ، فعاد نصرانيًّا ، فكان يقول : ما يدري محمد إلا ما كتبْتُ له ، فأماتَه اللهُ فدفنوه ، فأصبحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ ! فقالوا : هذا فعلُ محمدٍ وأصحابُه لَمَّا هربَ منهم ، نَبَشُوا عن صاحبِنا فأَلْقُوه . فحفروا له فأعمقوا ، فأصبحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ ! فقالوا : هذا فعلُ محمدٍ وأصحابُه ، نَبَشُوا عن صاحبِنا لما هربَ منهم فأَلْقُوه . فحفروا له

---

(١) فتح الباري ٥٩٢/٦ .

(٢) فتح الباري ٦٠٣/٦ .

(٣) عزاليها تثنية عزلاء ؛ وهو فم القربة ؛ شبه اتساع المطر واندفاقه بما يخرج من فم القربة . انظر : النهاية ٢٣١/٣ .

(٤) بكسر الهمزة وسكون الكاف ؛ هي العصابة التي تحيط بالرأس . فتح الباري ٦٠١/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وأعمقوا له في الأرضِ ما استطاعوا ، فأصبحَ وقد لَفِظَتْه الأرضُ ، فعلموا أنه ليسَ مِن الناسِ فأَلْقُوْه) .

المسلك الشخـــصي

وهو الاستدلال على صدق النبي ﷺ بهيئته ، وصفاته ، واطراد الصدق في أخباره ، والعدل في أحكامه . وبيان ذلك من وجوه ؛ منها :-

١- الاستدلال على صدقه ﷺ بنور وجهه ؛ روى ابن ماجة وغيره بإسناد صحيح[١] عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال : (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه ، وقيل : قدم رسول الله ﷺ ، فجئت في الناس لأنظر إليه ، فلما استبنت وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجـــه كذاب) . وقال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه :

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر [٢]

أي أن بداهة النبي ﷺ تدل على صدقه ؛ وهي أول مايظهر للناظر من نور وجهه وبهائه[٣] .

٢- الاستدلال على صدقه ﷺ بخاتم النبوة الذي بين كتفيه ؛ روى البخاري بسنده عن السَّائِبَ بْنَ يَزِيدَ رضي الله عنه قال : (ذَهَبَتْ بِي خَالَتِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَتْ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ ابْنَ أُخْتِي وَجِعٌ ، فَمَسَحَ رَأْسِي وَدَعَا لِي بِالْبَرَكَةِ ، ثُمَّ تَوَضَّأَ فَشَرِبْتُ مِنْ وَضُوئِهِ ، ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَنَظَرْتُ إِلَى خَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ؛ مِثْلَ زِرِّ الْحَجَلَةِ) ؛ وهو مما استدل به سلمان الفارسي رضي الله عنه على صدق النبي ﷺ ؛ روى الإمام أحمد بسنده[٤] عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ قَالَ : (كُنْتُ مِنْ أَبْنَاءِ أَسَاوِرَةِ فَارِسَ ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ قَالَ : فَانْطَلَقْتُ تَرْفَعُنِي أَرْضٌ وَتَخْفِضُنِي أُخْرَى حَتَّى مَرَرْتُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ الْأَعْرَابِ فَاسْتَعْبَدُونِي ، فَبَاعُونِي حَتَّى اشْتَرَتْنِي امْرَأَةٌ ، فَسَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ وَكَانَ الْعَيْشُ عَزِيزًا ، فَقُلْتُ لَهَا : هَبِي لِي يَوْمًا ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، فَانْطَلَقْتُ فَاحْتَطَبْتُ حَطَبًا فَبِعْتُهُ ، فَصَنَعْتُ طَعَامًا ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ فَقُلْتُ : صَدَقَةٌ . فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ :

---

(١) سنن ابن ماجه ، ح (١٣٣٤) ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٥٦٩) .

(٢) انظر : الإصابة ٤/٧٥ .

(٣) انظر : مختصر الصواعق ٣/١٠٥٨ .

(٤) انظر : المسند ، ح (٢٣٢٠٠) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كُلُوا . وَلَمْ يَأْكُلْ ، قُلْتُ : هَذِهِ مِنْ عَلَامَاتِهِ ، ثُمَّ مَكَثْتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ أَمْكُثَ فَقُلْتُ لِمَوْلَاتِي : هَبِي لِي يَوْمًا ، قَالَتْ : نَعَمْ ، فَانْطَلَقْتُ فَاحْتَطَبْتُ حَطَبًا بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَنَعْتُ طَعَامًا فَأَتَيْتُهُ بِهِ وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قُلْتُ : هَدِيَّةٌ ، فَوَضَعَ يَدَهُ ، وَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : خُذُوا بِسْمِ اللَّهِ ، وَقُمْتُ خَلْفَهُ ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ ، فَإِذَا خَاتَمُ النُّبُوَّةِ . فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ) .

٣- الاستدلال بكلامه ﷺ على نبوته ؛ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (أَنَّ ضِمَادًا قَدِمَ مَكَّةَ ، وَكَانَ مِنْ أَزْدِ شَنُوءَةَ ، وَكَانَ يَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، فَسَمِعَ سُفَهَاءَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : لَوْ أَنِّي رَأَيْتُ هَذَا الرَّجُلَ ، لَعَلَّ اللَّهَ يَشْفِيهِ عَلَى يَدَيَّ ، قَالَ : فَلَقِيَهُ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أَرْقِي مِنْ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَشْفِي عَلَى يَدِي مَنْ شَاءَ ، فَهَلْ لَكَ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَمَّا بَعْدُ . فَقَالَ : أَعِدْ عَلَيَّ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، فَأَعَادَهُنَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ! فَقَالَ : لَقَدْ سَمِعْتُ قَوْلَ الْكَهَنَةِ ، وَقَوْلَ السَّحَرَةِ ، وَقَوْلَ الشُّعَرَاءِ ، فَمَا سَمِعْتُ مِثْلَ كَلِمَاتِكَ هَؤُلَاءِ ، وَلَقَدْ بَلَغْنَ نَاعُوسَ الْبَحْرِ ! فَقَالَ : هَاتِ يَدَكَ أُبَايِعْكَ عَلَى الْإِسْلَامِ ، فَبَايَعَهُ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، وَعَلَى قَوْمِكَ ؟ قَالَ : وَعَلَى قَوْمِي) ؛ فاستدل على نبوته ﷺ بقوة تأثير كلامه ، وبلاغتة التي خرجت عما يعهد من كلام الخلق حتى بلغت ناعوس البحر ، أو قاموس البحر ؛ أي قعره الأقصى[1] الذي لم يبلغه كاهن ولا ساحر ولا شاعر ؛ ولهذا بادر إلى المبايعة على الإسلام بيقين بلغ سويداء القلب !

وللإستدلال بكلامه ﷺ على نبوته جوانب أخرى من أعظمها سلامة كلامه من التناقض ، واطراد الصدق في أخباره والعدل في أحكامه ؛ قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٦٨ – ٦٩ ؛ قال ابن القيم : (دعاهم إلى تدبر القول وتأمل حال القائل ؛ فإن كون القول للشيء كذبا وزورا يعلم من نفس القول تارة وتناقضه واضطرابه وظهور شواهد الكذب عليه ، ويعرف من حال القائل تارة ؛ فإن المعروف بالكذب والفجور لا

(١) انظر : شرح صحيح مسلم ١٥٧/٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تكون أقواله إلا مناسبة لأفعاله ، ولا يتأتى منه من القول والفعل ما يتأتى من البار الصادق المبرأ من كل فاحشة وغدر وكذب وفجور ، بل قلب هذا وقصده وقوله وعمله يشبه بعضه بعضا ، وقلب ذلك وقوله وعمله وقصده يشبه بعضه بعضا ! فدعاهم سبحانه إلى تدبر القول وتأمل سيرة القائل وأحواله ، وحينئذ تتبين لهم حقيقة الأمر وأن ما جاء به في أعلى مراتب الصدق !!)[١] .

وقال ابن تيمية : (النبي ﷺ مع كثرة ما يخبر به من الغيوب الماضية والمستقبلة ، ويأمر به وينهى عنه من الأمور الكلية ، والسنن العامة ، والشرائع ، والنواميس ، كلها متشابهة[٢] ؛ يصدق بعضها بعضا ، فلو كانت من عند غير الله لوجب أن يكون فيها تناقض ؛ لامتناع قدرة البشر على أن تخبر بهذه الأخبار وما فيها من الغيوب ، ويأمر بهذه الأوامر مع سلامة ذلك من التناقض ؛ ولهذا لا يوجد بشر غير نبي يسلم من ذلك ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ النساء: ٨٢)[٣] .

٤- الاستدلال بصفات النبي ﷺ على صدقه ؛ ولذلك أمثلة ؛ منها :-

أ- روى مسلم بسنده عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا قَالَتْ : (كَانَ أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ فِي النَّوْمِ ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ ، فَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ يَتَحَنَّثُ فِيهِ اللَّيَالِيَ أُوْلَاتِ الْعَدَدِ ، قَبْلَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا ، حَتَّى فَجِئَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ. قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي ، فَقَالَ : اقْرَأْ . قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : أَقْرَأْ . فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ . فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي . فَقَالَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ، الَّذِي

---

(١) الصواعق المرسلة ٤٦٩/٢، ٤٧٠ (باختصار يسير) .

(٢) يعني بذلك التشابه العام ؛ وهو تماثل الكلام وتناسبه ؛ بحيث يصدق بعضه بعضا ؛ فإذا أمر بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر ، بل يأمر به أو بنظيره أو بملزوماته إذا لم يكن هناك نسخ ، وكذلك في الأخبار فإذا أخبر بثبوت شيء لم يخبر بنقيضه في موضع آخر ، بل يخبر بثبوته أو بثبوت ملزوماته ، بخلاف القول المختلف الذي ينقض بعضه بعضا ؛ فيثبت الشيء في موضع وينفيه في آخر ، أو يأمر به في موضع وينهى عنه في آخر . انظر : الرسالة التدمرية ، ص (١٠٤) .

(٣) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٦٠/٢ (بتصرف) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ ، فَقَالَ: زَمِّلُونِي ، زَمِّلُونِي . فَزَمَّلُوهُ ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ . ثُمَّ قَالَ: لِخَدِيجَةَ : أَيْ خَدِيجَةُ مَا لِي وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ ، قَالَ : لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي . قَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : كَلَّا ، أَبْشِرْ ؛ فَوَاللَّهِ لَا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا ، وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ) ؛ فاستدلت بما تعرف من صفاته ﷺ على صدقه ، واستحالة تلاعب الشيطان به[١] .

ب- روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسٍ ﷺ : (أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ ، فَأَتَى قَوْمَهُ فَقَالَ : أَيْ قَوْمِ أَسْلِمُوا ، فَوَاللَّهِ إِنَّ مُحَمَّدًا لَيُعْطِي عَطَاءً مَا يَخَافُ الْفَقْرَ) .

ج- وقال ملك عمان (الجُلنْدي) وقد دعاه النبي ﷺ إلى الإسلام : (لقد دلّني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول آخذٍ به ، ولا ينهى عن شرٍّ إلا كان أول تاركٍ له ، وأنه يَغلب فلا يبطر ، ويُغلب فلا يهجر ، وأنه يفي بالعهد ، ويُنجز الوعد ، وأشهدُ أنه نبي)[٢] .

د- روى البخاري بسنده عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ ﷺ أَخْبَرَهُ أَنَّ هِرَقْلَ أَرْسَلَ إِلَيْهِ فِي رَكْبٍ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَكَانُوا تِجَارًا بِالشَّأْمِ ، فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَادَّ فِيهَا أَبَا سُفْيَانَ وَكُفَّارَ قُرَيْشٍ ، فَأَتَوْهُ وَهُمْ بِإِيلِيَاءَ ، فَدَعَاهُمْ فِي مَجْلِسِهِ وَحَوْلَهُ عُظَمَاءُ الرُّومِ ، ثُمَّ دَعَاهُمْ وَدَعَا بِتَرْجُمَانِهِ ، فَقَالَ : أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا بِهَذَا الرَّجُلِ ، الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ : أَنَا أَقْرَبُهُمْ نَسَبًا . فَقَالَ : أَدْنُوهُ مِنِّي ، وَقَرِّبُوا أَصْحَابَهُ ، فَاجْعَلُوهُمْ عِنْدَ ظَهْرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لِتَرْجُمَانِهِ : قُلْ لَهُمْ إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ ، فَوَاللَّهِ لَوْلَا الْحَيَاءُ مِنْ أَنْ يَأْثِرُوا عَلَيَّ كَذِبًا لَكَذَبْتُ عَنْهُ ، ثُمَّ كَانَ أَوَّلَ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَنْ قَالَ : كَيْفَ نَسَبُهُ فِيكُمْ ؟ قُلْتُ : هُوَ فِينَا ذُو نَسَبٍ . قَالَ : فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ مِنْكُمْ أَحَدٌ قَطُّ قَبْلَهُ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَأَشْرَافُ النَّاسِ يَتَّبِعُونَهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ؟ فَقُلْتُ:بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ . قَالَ : أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ؟ قُلْتُ : بَلْ يَزِيدُونَ . قَالَ : فَهَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ؟ قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ؟

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٧٦٩/٢ .

(٢) الإصابة ٦٣٧/١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قُلْتُ : لَا . قَالَ : فَهَلْ يَغْدِرُ ؟ قُلْتُ : لَا ، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي مُدَّةٍ لَا نَدْرِي مَا هُوَ فَاعِلٌ فِيهَا . قَالَ : وَلَمْ تُمْكِنِّي كَلِمَةٌ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ ، قَالَ : فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ ؟ قُلْتُ : الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالٌ ؛ يَنَالُ مِنَّا وَنَنَالُ مِنْهُ . قَالَ : مَاذَا يَأْمُرُكُمْ ؟ قُلْتُ : يَقُولُ : اعْبُدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ ، وَالزَّكَاةِ ، وَالصِّدْقِ ، وَالْعَفَافِ ، وَالصِّلَةِ . فَقَالَ لِلتَّرْجُمَانِ : قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ ، فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، فعرفت أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ ، وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ ، فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ ، وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ ، وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ ، وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ ، وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ ، فَذَكَرْتَ أَنْ لَا ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ ، وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ ، فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ ؛ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ ، لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ ، فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ) ؛ فاستدل على صدق النبي ﷺ بما انتفى عنه من علامات الكذب ؛ وما اجتمع فيه من صفات الصدق ؛ قال ابن تيمية : (هذا السؤال والبحث أفاد هذا العاقل اللبيب علما جازما بأن هذا النبي الذي كان ينتظره . وقد اعترض على هذا بعض من لم يدرك غور كلامه وسؤاله ؛ كالمازري ونحوه ، وقال : إنه بمثل هذا لا تعلم النبوة ، وإنما تعلم بالمعجزة . وليس الأمر على ما قال ، بل كل عاقل سليم الفطرة إذا سمع هذا السؤال والبحث علم أنه من أدل الأمور على عقل السائل وخبرته واستنباطه ما يتميز به هل هو صادق أو كاذب ، وأنه بهذه

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأمور تميز له ذلك)[١] .

والاستدلال بصفات النبي ﷺ على صدقه باب واسع جدا ، ولكن نجمل ذلك بما قاله ابن الوزير : (المعجزات المتعلقة بصفاته كثيرة جدا ، ونحن نشير إلى بعضها ؛ فمن ذلك أن أحدا ما سمع منه كذبا ، لا في أمور الدين ، ولا في أمور الدنيا ، ولو صدر عنه شيء من ذلك مرة واحدة لاجتهد أعداؤه في نشره واظهاره .

الثاني : أنه ما فعل قبيحا منفرا عنه ، لا قبل النبوة ولا بعدها .

الثالث : أنه لم يفر عن أحد من أعدائه ، لا قبل النبوة ولا بعدها ، وإن عظم الخوف ، واشتد الأمر ؛ مثل يوم أحد ، ويوم الأحزاب .

الرابع : أنه كان عظيم الشفقة والرحمة على أمته ؛كما قال الله تعالى : (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) ، وقال تعالى : (فلعلك باخع نفسك) ، وقال تعالى : (ولا تحزن عليهم) ، وقال تعالى : (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) .

الخامس : أنه كان في أعظم الدرجات في الكرم والسخاء ، حتى أن الله تعالى علمه التوسط في ذلك حيث قال له (ولا تبسطها كل البسط) .

السادس : أنه ما كان للدنيا في قلبه وقع .

السابع : أنه كان في غاية الفصاحة .

الثامن : أنه بقي على طريقته المرضية أول عمره إلى آخره ، والمزور لا يمكنه ذلك ، وإليه الاشارة بقوله تعالى : (وما أنا من المتكلفين) .

التاسع : أنه ﷺ كان مع أهل الغنى والثروة في غاية البعد عن المطامع والترفع عنها ، ومع الفقراء والمساكين في غاية القرب منهم ، والتواضع لهم ، واللطف بهم .

العاشر : أنه كان ﷺ في كل واحدة من هذه الأخلاق الكريمة في الغاية القصوى من الكمال ، ولا يتفق ذلك لأحد من الخلق غير أهل العصمة من الله تعالى ؛ فكان اجتماع ذلك في صفاته من أعظم المعجزات)[٢] .

---

(١) شرح العقيدة الأصبهانية ، ص (٥٦٠ ، ٥٦١) .

(٢) إيثار الحق على الخلق ، ص (٧٩) . (بتصرف يسير) . وانظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٥١٤- ٥١٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المسلك النـــوعي

وهو الاستدلال على صدق النبي ﷺ بما جاء به من العلوم والأعمال ، لأنها من جنس ما جاءت بهم جاءت به الرسل قبله في الإخبارات والإنشاءات ؛ فقد أخبر عن توحيد الله وصفاته وملائكته وخلقه بمثل ما أخبرت الرسل ، وأمر بالأصول الكلية التي دعوا إليها ؛ كالتوحيد ، والعدل ، والصدق ، والصلاة ، والزكاة ، ونهى عن الشرك ، والظلم ، والفواحش ؛ كما نهت عن ذلك الرسل قبله[١] ؛ قال ابن تيمية : (النبوة في الآدميين هي من عهد آدم عليه السلام ، فإنه كان نبيًّا ، وكان بنوه يعلمون نبوته وأحواله بالاضطرار ، وقد عُلم جنس ما يدعو إليه الرسول ، وجنس أحوالهم ، فالمدعي للرسالة في زمن الإمكان إذا أتى بما ظهر به مخالفته للرسل علم أنه ليس منهم ، وإذا أتى بما هو من خصائص الرسل علم إنه منهم ، لا سيما إذا علم أنه لا بد من رسول منتظر ، وعلم أن لذلك الرسول صفات متعددة تميزه عمن سواه ، فهذا قد يبلغ بصاحبه إلى العلم الضروري بأن هذا هو الرسول المنتظر ، ولهذا قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ﴾ البقرة: ١٤٦)[٢] ، وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا يَأۡتِينَا بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّهِۦٓۚ أَوَلَمۡ تَأۡتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٣٣ ﴾ طه: ١٣٣ ؛ فإذا أتاهم بينة مافي الصحف الأولى ، مع علمهم بأنه لم يعاشر أحدا منهم ، ولا استفاد منهم علما كان هذا من أعظم آيـــات الله على صدق نبيـــه ﷺ[٣]؛ ولهذا المسلك أمثلة ؛ منها :-

١- روى البخاري بسنده عن عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رضي الله عنها أَنَّهَا قَالَتْ : (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ فِي النَّوْمِ ... الحديث ، وفيه : فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى ، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ ، وَكَانَ امْرَأً قَدْ تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ ، فَيَكْتُبُ مِنْ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ : يَا ابْنَ عَمِّ ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى ؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَبَرَ مَا رَأَى ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ : هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَّلَ

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٤٦٤/٢ .

(٢) شرح العقيدة الأصبهانية ، ص (٥٤٨) .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٤٦٦/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

اللَّهُ عَلَى مُوسَى ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا ، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا ! ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ) .

٢- ماروواه الإمام أحمد بسند حسن[١] عن أم عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت : (لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي ، أمنا على ديننا ، وعبدنا الله تعالى ؛ لا نؤذى ، ولا نسمع شيئا نكرهه ، ... الحديث ، وفيه ، فقال له[٢]النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟ فقال له جعفر : نعم . فقال له النجاشي : فاقرأه علي . فقرأ عليه صدرا من كهيعص ، فبكى والله النجاشي ، حتى أخضل لحيته ، وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم ، حين سمعوا ما تلا عليهم ، ثم قال النجاشي : إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) .

والمسلك النوعي كما يدل على صدق النبي ﷺ فإنه يدل على صدق الأنبياء قبله ؛ لأنه أخبر بمثل ما أخبروا ؛ وكل منهم أخبر عن توحيد الله وصفاته وعرشه وخلقه بأخبار مفصلة يمتنع الاتفاق عليها عادة إلا بتواطئ ؛ فإذا لم يكن تواطؤ ولا تشاعر علم أن كلا منهم صادق[٣] .

وكذلك فإن المسلك النوعي يدل على كذب الدجال مع ما أوتي من الخوارق ؛ كإِحْيَاءِ الْمَيِّتِ الَّذِي يَقْتُلُهُ ، وَأَمْرِهِ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فَتُمْطِرَ ، وَالْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ ؛ لأن دعوته ليست من جنس ما جاءت به الرسل من الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك ؛ بل هي على النقيض من ذلك ؛ فإنه يفتري على الله الكذب ، ويدعي الإلهية[٤] ؛ قال ابن تيمية : (أعظم الفتن فتنة الدجال الكذاب ، لما اقترن بدعواه الإلهية بعض الخوارق كان معها ما يدل عل كذبه من وجوه ؛ منها دعواه الإلهية وهو أعور ، والله ليس بأعور . مكتوب بين عينيه كافر ، يقرؤه كل مؤمن ، قارىء وغير قارىء . والله تعالى لا يراه أحد حتى يموت . وقد ذكر النبي ﷺ هذه العلامات الثلاث في الأحاديث الصحيحة)[٥] .

---

(١) انظر : تخريج الألباني لشرح الطحاوية ، ح (١٠٧) .
(٢) أي لجعفر بن أبي طالب .
(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٤٥٤/٢ .
(٤) انظر : شرح العقيدة الأصبهانية ، ص (٥٤٤) .
(٥) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٧٢١/٢ ، وانظر : النبوات ٨٥٦/٢-٨٥٩ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

القرآن الكـــريم

القرآن الكريم أعظم آيات النبي ﷺ ، وأكثرها فائدة ، وأعمها نفعا ، وأبلغها في الدلالة على صدق النبي ﷺ ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ العنكبوت: ٥٠ - ٥١ ، وقال ﷺ : (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إلا أُعْطِيَ مِنْ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُه وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ ، فَأَرْجُو أَنِّي أَكْثَرُهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ)[1] ، قال ابن حجر : (ليس المراد حصر معجزاته فيه ، ولا أنه لم يؤت من المعجزات ما أوتي من تقدمه ، بل المراد أنه المعجزة العظمى ، التي اختص بها دون غيره ؛ لأن كل نبي أعطى معجزة خاصة به ، لم يعطها بعينها غيره ، تحدي بها قومه ، وكانت معجزة كل نبي تقع مناسبة لحال قومه ، ولما كان العرب الذين بعث فيهم النبي ﷺ في الغاية من البلاغة جاءهم بالقرآن ، الذي تحداهم أن يأتوا بسورة مثله ، فلم يقدروا على ذلك . وقيل : المراد أن معجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعصارهم ، فلم يشاهدها إلا من حضرها ، ومعجزه القرآن مستمرة إلى يوم القيامة ، وخرقه للعادة في أسلوبه وبلاغته وأخباره بالمغيبات ؛ فلا يمر عصر من الأعصار إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه . وقيل : المعنى أن المعجزات الماضية كانت حسية ، تشاهد بالأبصار ، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة ؛ فيكون من يتبعه لأجلها أكثر ؛ لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض مشاهده ، والذي يشاهد بعين العقل باق ، يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمرا . قلت : ويمكن نظم هـــذه الأقوال كلها في كلام واحد فإن محصلها لا ينافي بعضه بعضـــا)[2] .

والقرآن الكريم يدل على صدق النبي ﷺ من وجوه عظيمة وكثيرة ، منها :-

١- إنزاله على النبي ﷺ وهو أمي لايقرأ ولايكتب ؛ قال تعالى :﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ العنكبوت: ٤٨ ، وقال :﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾العنكبوت: ٥١ ؛ قال ابن كثير : (أو لم يكفهم آية أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم، الذي

---

(١) رواه البخاري ، ح (٧٢٧٤) .

(٢) فتح الباري ٦/٩ ، ٧ . (باختصار) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فيه خبر ما قبلكم ، ونبأ ما بعدهم ، وحكم ما بينهم ، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب ، و لم تخالط أحدا من أهل الكتاب ، فجئتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ، ببيان الصواب مما اختلفوا فيه ، وبالحق الواضح البين الجلي)[١] ، وقال ابن سعدي : (جاء به هذا النبي الأمين ، الذي عرف قومه صدقه وأمانته ومدخله ومخرجه وسائر أحواله ، وهو لا يكتب بيده خطا ، بل ولا يقرأ خطا مكتوبا ، فإتيانه به في هذه الحال ، من أظهر البينات القاطعة ، التي لا تقبل الارتياب ، أنه من عند اللّه العزيز الحميد)[٢] .

٢- عجز الخلق عن معارضته ؛ قال تعالى : ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ الطور: ٣٤ ؛ قال ابن تيمية : (تحداهم هنا أن يأتوا بمثله ، وقال في موضع آخر : فليأتوا بعشر سور مثله مفتريات ، وقال في موضع آخر : فأتوا بسورة من مثله ، وأخبر مع ذلك أنهم لن يفعلوا فقال : وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار ، بل أخبر أن جميع الإنس والجن إذا اجتمعوا لا يأتون بمثله فقال : قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . وقد علم بالتواتر أنه دعا قريشا خاصة ، والعرب عامة ، وأن جمهورهم في أول الأمر كذبوه ، وآذوه وآذوا أصحابه ، وقالوا فيه أنواع القول ؛ مثل قولهم هو ساحر ، وشاعر، وكاهن ، ومعلم ، ومجنون ، وأمثال ذلك ، وعلم أنهم كانوا يعارضونه ، و لم يأتوا بسورة من مثله ، وذلك يدل على عجزهم عن معارضته ؛ لأن الإرادة الجازمة لا يتخلف عنها الفعل مع القدرة . ثم انتشرت دعوته في أرض العرب ، ثم في سائر الأرض إلى هذا الوقت ، وآيات التحدي قائمة متلوة ، وما قدر أحد أن يعارضه بما يظن أنه مثل)[٣] ؛ فعلم أن القرآن من عند الله تعالى ، وأنه كلامه الذي لا يشبه كلام الخلق ، ولايقدرون على مثله أبدا[٤] ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ يونس: ٣٧ ؛ قال

---

(١) تفسير ابن كثير ٤١٨/٣ . (طبعة مكتبة دار التراث) .

(٢) تفسير ابن سعدي ٩٥/٦ ، ٩٦ .

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية ، ص (٧١٢-٧١٥) . (باختصار) . وانظر : البرهان ٩١/٢ ، ١١٠ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٤٩٧/٢.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ابن تيمية : (ما من كلام تكلم به الناس وإن كان في أعلى طبقات الكلام لفظا ومعنى إلا وقد قال الناس نظيره وما يشبهه ويقاربه سواء كان شعرا أو خطابة أو كلاما في العلوم والحكم والاستدلال والوعظ والرسائل وغير ذلك ، وما وجد من ذلك شيء إلا ووجد ما يشبهه ويقاربه والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير مع حرص العرب وغير العرب على معارضته ؛ فلفظه آية ونظمه آية وإخباره بالغيوب آية وأمره ونهيه آية ووعده ووعيده آية وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية ؛ كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم)[١] .

٣- اشتمال القرآن على وجوه من الإعجاز يستحيل وجودها في كلام الخلق فضلا عن اجتماعها ؛ وهي كثيرة ، منها :-

أ- حسن نظمه ، والتئام كلماته ، مع فصاحته وبلاغته ، وخروج أسلوبه عما يعهد من كلام الخلق ؛ قال ابن تيمية : (نفس نظم القرآن وأسلوبه عجيب بديع ، ليس من جنس أساليب الكلام المعروفة ، ولم يأت أحد بنظير هذا الأسلوب ؛ فإنه ليس من جنس الشعر ولا الرجز ولا الخطابة ولا الرسائل ، ولا نظمه نظم شيء من كلام الناس ؛ عربهم وعجمهم ، ونفس فصاحة القرآن وبلاغته هذا عجيب خارق للعادة ليس له نظير في كلام جميع الخلق)[٢] ، وقال ابن حجر : (صورة سياقه وأسلوبه مخالف لأساليب كلام أهل البلاغة من العرب ، نظما ونثرا ، حتى حارت فيه عقولهم ، ولم يهتدوا إلى الإتيان بشيء مثله ، مع توفر دواعيهم على تحصيل ذلك ، وتقريعه لهم على العجز عنه)[٣] .

ب- حسن معانيه ، وكمالها ، وتنوعها ، واشتمالها على دلائل الحق ومسائله ؛ قال ابن تيمية : (كون القرآن معجزة ليس هو من جهة فصاحته وبلاغته فقط ، أو نظمه وأسلوبه فقط ، ولا من جهة إخباره بالغيب فقط ، بل هو آية بينة معجزة من وجوه متعددة ؛ من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الله

---

(١) النبوات ١/٥١٦ ، ٥١٧ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٥١١ ، ٥١٢ .

(٣) فتح الباري ٩/٧ . (بتصرف يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل ، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة ما بين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية ؛ التي هي الأمثال المضروبة)[١] ، وقال : (ما اخبر به القرآن في باب توحيد الله وأسمائه وصفاته أمر عجيب خارق للعادة ، لم يوجد مثل ذلك في كلام بشر ، لا نبي ولا غير نبي ، وكذلك ما أخبر به عن الملائكة والعرش والكرسي والجن وخلق آدم وغير ذلك ، ونفس ما أمر به القرآن من الدين والشرائع كذلك ، ونفس ما أخبر به من الأمثال ، وبينه من الدلائل هو أيضا كذلك ، ومن تدبر ما صنفه جميع العقلاء في العلوم الإلهية والخلقية والسياسية وجد بينه وبين القرآن من التفاوت أعظم مما بين لفظه ونظمه وبين سائر ألفاظ العرب ونظمهم ؛ فالإعجاز في معناه أعظم وأكثر من الإعجاز في لفظه ، وجميع عقلاء الأمم عاجزون عن الإتيان بمثل معانيه أعظم من عجز العرب عن الإتيان بمثل لفظه)[٢] .

ج- حفظ القرآن ، واستمرار إعجازه ، وظهوره للخلق في كل عصر ؛ قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾فصلت: ٥٣ ؛ قال ابن تيمية : (أخبر أنه سيري الناس في أنفسهم وفي الآفاق من الآيات العيانية المشهورة المعقولة ما يبين أن الآيات القرآنية المسموعة المتلوة حق ، فيتطابق العقل والسمع ، ويتفق العيان والقرآن ، وتصدق المعاينة للخبر ، وإذا كان القرآن حقا لزم كون الرسول الذي جاء به صادقا ، وأن الله تعالى أنزله ، وأنه يجب التصديق بما أخبر به ، والطاعة لما أوجبه وأمر به)[٣] ، وقال ابن القيم : (هذه الإرادة لا تختص بقرن دون قرن ، بل لابد أن يري الله سبحانه أهل كل قرن من الآيات ما يبين لهم أنه الله الذي لا إله إلا هو وأن رسله صادقون)[٤] .

---

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٠٨/٢ .

(٢) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥١٢/٢ . (باختصار) .

(٣) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٦٩٨/٢ .

(٤) التبيان ، ص (١٨٧) . وانظر في وجوه إعجاز القرآن : إعجاز القرآن للباقلاني ، ص (٣٥-٧٢) ، البرهان للزركشي ٩٣/٢-١٠٧ ، فتح الباري ٥٨٢/٦ ، ٧/٩ . وقد أبرز الباقلاني في كتابه إعجاز القرآن وجوها مهمة للإعجاز اللغوي ؛ كالفصاحة في كل الكلام ، وفي جميع أبوابه ، وفي الانتقال من باب إلى آخر ، وفي التعبير عن المعاني الجديدة بألفاظ بديعة ... إلخ ؛ فراجعه إن شئت .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

إجمال باقي الآيات

آيات النبي ﷺ لا تنحصر فيما ذكر ؛ فهناك آيات كثيرة[١] أجمل أهمها فيما يلي :-

١- حسن العاقبة ؛ فالنبي ﷺ على سنة من قبله من النبيين ؛ يبتلون ثم تكون العاقبة لهم ؛ قال تعالى : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ هود: ٤٩ ، وفي حديث هرقل المخرج في الصحيح : (وكذلك الرسُل تُبْتَلَى ، ثم تكون لهم العاقبة) ؛ فحصول العاقبة للرسل باطراد مع قلة العدد والعدد من أكبر براهين صدقهم وصحة دينهم ؛ يقول ابن القيم : (أي دلالة أعظم من رجل يخرج وحده ، لا عدة له ولا عدد ولا مال ، فيدعو الأمة العظيمة إلى توحيد الله والإيمان به وطاعته ، ويحذرهم من بأسه ونقمته ، فتتفق كلمتهم أو أكثرهم على تكذيبه ومعاداته ، فيذكرهم أنواع العقوبات الخارجة عن قدرة البشر ، فيغرق المكذبين كلهم تارة ، ويخسف بغيرهم الأرض تارة ، ويهلك آخرين بالريح ، وآخرين بالصيحة ، وآخرين بالمسخ ، وآخرين بالصواعق ، وآخرين بأنواع العقوبات ، وينجو داعيهم ومن معه والهالكون أضعاف أضعاف أضعافهم عددا وقوة ومنعة وأموالا !! فهلا امتنعوا - إن كانوا على الحق وهم أكثرهم عددا وأقوى شوكة - بقوتهم وعددهم من بأسه وسلطانه ، وهلا اعتصموا من عقوبته كما اعتصم من هو أضعف منهم من أتباع الرسل !)[٢] . وهذه النصرة تشمل نصرة دين الحق بالحجة والبرهان ، والسيف والسنان[٣] ؛ قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ التوبة: ٣٣ . وهذا الدليل أكمل وأبلغ في حصول المقصود ؛ لأنه لايدل على مجرد صدق الرسل ، بل يدل مع ذلك على الترغيب في اتباعهم ، والترهيب من خلافهم ؛ فمفاده علم ووعظ لامجرد علم[٤] .

٢- العلم والإيمان الذي في أمته ﷺ ؛ فبعد أن كانوا من أقل الناس علما وعملا ، وأكثرهم جهلا وشركا وبغيا صاروا بالإسلام أعلم أهل الأرض ، وأتقاهم ، وأعدلهم ، وأفضلهم ، وهذه الآثار

---

(١) الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٦٩٧ .

(٢) التبيان ، ص (١٨٧) . وانظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٧٠٣-٧٢٤ .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٥٠٤ .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/٧٢٥ ، ٧٢٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

والكمالات تدل على أن معلمهم أكمل الخلق دينا وعلما ، وأن كماله عن وحي ونبوة ؛ إذ يستحيل أن تصل علوم البشر بالناس إلى هذا الكمال[١] . يقول ابن تيمية : (أمته ﷺ أكمل الأمم في كل فضيلة ؛ فإذا قيس علمهم بعلم سائر الأمم ظهر فضل علمهم ، وإن قيس دينهم وعباداتهم وطاعتهم لله بغيرهم ظهر أنهم أدين من غيرهم ، وإذا قيس شجاعتهم وجهادهم في سبيل الله وصبرهم على المكاره في ذات الله ظهر أنهم أعظم جهادا وأشجع قلوبا ، وإذا قيس سخاؤهم وبذلهم وسماحة أنفسهم بغيرهم تبين أنهم أسخى وأكرم من غيرهم . وهذه الفضائل به ﷺ نالوها ، ومنه تعلموها ، وهو الذي أمرهم بها ، فكل علم نافع وعمل صالح عليه أمة محمد ﷺ أخذوه عن نبيهم ، مع ما يظهر لكل عاقل أن أمته أكمل الأمم في جميع الفضائل العلمية والعملية ، ومعلوم أن كل كمال في الفرع المتعلم هو من الأصل المعلم ، وهذا يقتضي أنه كان أكمل الناس علما ودينا ، وهذه الأمور توجب العلم الضروري بأنه كان صادقا في قوله : إني رسول الله إليكم جميعا)[٢] .

٣- كمال شريعته ﷺ ؛ فقد جمعت محاسن الشرائع ، وزادت عليها بمحاسن كثيرة حتى صارت أتمها وأكملها ، وهذا يقتضي بالضرورة أن تكون شريعة ربانية ؛ إذ يستحيل أن تداني المعارف البشرية ، والشرائع الوضعية هذا الكمال[٣] ؛ قال ابن تيمية : (جاءت شريعته أكمل شريعة ، لم يبق معروف تعرف العقول أنه معروف إلا أمر به ، ولا منكر تعرف العقول أنه منكر إلا نهى عنه ، لم يأمر بشيء فقيل ليته لم يأمر به ، ولا نهى عن شيء فقيل ليته لم ينه عنه ، وأحل الطيبات لم يحرم شيئا منها كما حرم في شرع غيره ، وحرم الخبائث لم يحل منها شيئا كما استحله غيره ، وجمع محاسن ما عليه الأمم ؛ فلا يذكر في التوراة والإنجيل والزبور نوع من الخبر عن الله وعن ملائكته وعن اليوم الآخر إلا وقد جاء به على أكمل وجه ، وأخبر بأشياء ليست في الكتب ، فليس في الكتب إيجاب لعدل ، وقضاء بفضل ، وندب إلى الفضائل ، وترغيب في الحسنات إلا وقد جاء به ، وبما هو أحسن منه ، وإذا نظر اللبيب في العبادات التي شرعها وعبادات غيره من

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٠٤/٢ ، ٥١٤ ، ٥١٦

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥١٧/٢-٥١٩ (باختصار) .

(٣) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٠٤/٢ ، ٥١٤ ، ٦٩٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأمم ظهر فضلها ورجحانها ، وكذلك في الحدود ، والأحكام ، وسائر الشرائع)[١] .

٤- كرامات الصالحين من أمته ؛ فهي من آيات النبي ﷺ ؛ وبراهين صحة دينه ؛ لأن العادة إنما خرقت لهم لمتابعة الرسول ﷺ [٢]؛ يقول ابن تيمية : (كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة ؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق ؛ فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب)[٣] ؛ ويقول : (ما يظهر على المؤمنين بهم من الآيات بسبب الإيمان بهم فيه قولان :-

قال طائفة ليس ذلك من آياتهم . وهذا قول من يقول من شرط المعجزة أن تقارن دعوى النبوة ، لا تقدم عليها ولا تتأخر عنها .

والقول الثاني وهو القول الصحيح أن آيات الأولياء هي من جملة آيات الانبياء ؛ فإنها مستلزمة لنبوتهم ، ولصدق الخبر بنبوتهم ؛ فإنه لولا ذلك لما كان هؤلاء أولياء و لم تكن لهم كرامات)[٤] ؛ ويقول : (كرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ ، فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ)[٥] .

ولكرامات الصالحين أمثلة كثيرة ؛ منها :-

أ- كرامة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ومن معه ؛ فإنه لما أراد فتح المدائن ، وتعذر عليه الحصول على شيء من السفن اقتحم بجيشه نهر دجلة ، وساروا على الماء كأنما يسيرون على وجه الأرض ؛ يقول ابن كثير : (أمر سعد رضي الله عنه المسلمين عند دخول الماء أن يقولو : نستعين بالله ، ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد ، فساروا فيها كأنما يسيرون على وجه الأرض ، حتى ملؤا ما بين الجانبين ، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة ، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الارض ، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والامن ، والوثوق بأمر الله

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥١٦/٢ ، ٥١٧ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٢/ ٥٠٤ ، ٥١٤ ، النبـــوات ١٣٣/١ ، ١٤١ ، ١٤٢ مجموع الفتاوى ٢٧٥/١١ .

(٣) النبوات ٥٠١/١، ٥٠٢ .

(٤) النبوات ٨٢٣/٢ ، ٨٢٤ . (باختصار) .

(٥) مجموع الفتاوى ٢٧٥/١١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ووعده ونصره وتأييده ، ولأن أميرهم سعد ابن أبي وقاص ﷺ أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وقد توفي رسول الله ﷺ وهو عنه راض ، ودعا له . فقال : اللهم أجب دعوته ، وسدد رميته . والمقطوع به أن سعدا ﷺ دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر ، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلمهم ، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد ! وكان الفرس إذا أعيا وهو في الماء يقيض الله له مثل النشز المرتفع فيقف عليه فيستريح ، وحتى أن بعض الخيل ليسير وما يصل الماء إلى حزامها ، وكان يوما عظيما ، وأمرا هائلا ، وخطبا جليلا ، وخارقا باهرا، ومعجزة لرسول ﷺ ، خلقها الله لاصحابه لم ير مثلها في تلك البلاد، ولا في بقعة من البقاع ، سوى قضية العلاء بن الحضرمي ، بل هذا أجل وأعظم ، فإن هذا الجيش كان أضعاف ذلك . قالوا : وكان الذي يساير سعد بن أبي وقاص ﷺ في الماء سلمان الفارسي ﷺ ، فجعل سعد يقول : حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليه ، وليظهرن الله دينه ، وليهزمن الله عدوه ، إن لم يكن في الجيش بغي ، أو ذنوب تغلب الحسنات . فقال له سلمان ﷺ : إن الاسلام جديد ، ذللت لهم والله البحور ، كما ذلل لهم البر ، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجا كما دخلوا أفواجـــا ! فخرجوا منه كما قال سلمان ﷺ لم يغرق منهم أحدا ، و لم يفقدوا شيئا !)[١] .

ب- كرامة أبي مسلم الخولاني رحمه الله ؛ فقد ألقاه الأسود العنسي في النار فلم تضره ؛ يقول ابن كثير : (دعاه الأسود العنسي إلى أن يشهد أنه رسول الله فقال له : أتشهد أني رسول الله ؟ فقال : لا أسمع ، أشهد أن محمدا رسول الله ، فأجج له نارا وألقاه فيها فلم تضره ، وأنجاه الله منها ، فكان يشبه بإبراهيم الخليل ، ثم هاجر فوجد رسول الله ﷺ قد مات ، فقدم على الصديق فأجلسه بينه وبين عمر ! وقال له عمر : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أرى في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم الخليل ، وقبله بين عينيه)[٢] .

ج- كرامة صلة بن أشيم رحمه الله ؛ فقد أحيا الله له فرسه ، وحماه من الأسد ، ورزقه من حيث لا يحتسب ؛ يقول ابن تيمية : (صِلَةُ بْنُ أَشْيَمَ مَاتَ فَرَسُهُ ، وَهُوَ فِي الْغَزْوِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ لِمَخْلُوقٍ عَلَيَّ مِنَّةً ، وَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَا لَهُ فَرَسَهُ . فَلَمَّا وَصَلَ إلَى بَيْتِهِ قَالَ : يَا بُنَيَّ

---

(١) البداية والنهاية ٦٥/٧ ، ٦٦ (باختصار) .

(٢) البداية والنهاية ١٤٦/٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

خُذْ سَرْجَ الْفَرَسِ ، فَإِنَّهُ عَارِيَةٌ ، فَأَخَذَ سَرْجَهُ فَمَاتَ الْفَرَسُ ! وَجَاعَ مَرَّةً بِالْأَهْوَازِ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَاسْتَطْعَمَهُ فَوَقَعَتْ خَلْفَهُ دَوْخَلَةِ رُطَبٍ فِي ثَوْبٍ حَرِيرٍ ، فَأَكَلَ التَّمْرَ ، وَبَقِيَ الثَّوْبُ عِنْدَ زَوْجَتِهِ زَمَانًا ! وَجَاءَ الْأَسَدُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي غَيْضَةٍ بِاللَّيْلِ فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ لَهُ : اُطْلُبْ الرِّزْقَ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَوَلَّى الْأَسَدُ وَلَهُ زَئِيرٌ !)[١] .

ولهذه الكرامات نظائر كثيرة[٢] ، كلها آيات بينات على صدق النبي ﷺ وصحة دينه[٣] ، ويطول بنا المقام لو ذهبنا نمثل بما أكرم الله به أتباع نبيه ﷺ ؛ فإن تعداد هذا مثل المطر ؛ كما قال شيخ الإسلام[٤]، ولكني اكتفي بذكر أنواعها التي تنظم آحادها ؛ فالكرامات نوعان رئيسان ؛ أحـــدهما : ماهو من جنس العلم ؛ وهي المكاشفات . والثاني : ماهو من جنس القدرة ، وهوالتصرفات الخارقة للعادة ؛ يقول ابن تيمية : (الْمُعْجِزَاتُ الَّتِي لِغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ بَابِ الْكَشْفِ وَالْعِلْمِ مِثْلُ قَوْلِ عُمَرَ فِي قِصَّةِ سَارِيَةَ ، وَإِخْبَارِ أَبِي بَكْرٍ بِأَنَّ بِبَطْنِ زَوْجَتِهِ أُنْثَى ، وَإِخْبَارِ عُمَرَ بِمَنْ يَخْرُجُ مِنْ وَلَدِهِ فَيَكُونُ عَادِلًا . وَالْقُدْرَةُ مِثْلُ قِصَّةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَسَفِينَةَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي مُسْلِمٍ الخولاني ، وَأَشْيَاءَ يَطُولُ شَرْحُهَا)[٥] . ويتعلق بهذا الأصل ثلاثة أمور :-

أ- المكاشفات تطلق على مايعم السماع والرؤية والعلم ، وأحيانا تخص بالعلم فقط ؛ ويطلق على السماع مخاطبة ، وعلى الرؤية مشاهدة ؛ يقول ابن تيمية : (مَا كَانَ مِنْ الْخَوَارِقِ مِنْ بَابِ الْعِلْمِ فَتَارَةً بِأَنْ يُسْمِعَ الْعَبْدَ مَا لَا يَسْمَعُهُ غَيْرُهُ ، وَتَارَةً بِأَنْ يَرَى مَا لَا يَرَاهُ غَيْرُهُ يَقَظَةً وَمَنَامًا ، وَتَارَةً بِأَنْ يَعْلَمَ مَا لَا يَعْلَمُ غَيْرُهُ ؛ وَحْيًا وَإِلْهَامًا ، أَوْ إنْزَالُ عِلْمٍ ضَرُورِيٍّ ، أَوْ فِرَاسَةٍ صَادِقَةٍ ؛ وَيُسَمَّى كَشْفًا وَمُشَاهَدَاتٍ وَمُكَاشَفَاتٍ وَمُخَاطَبَاتٍ ؛ فَالسَّمَاعُ مُخَاطَبَاتٌ ، وَالرُّؤْيَةُ مُشَاهَدَاتٌ ، وَالْعِلْمُ مُكَاشَفَةٌ وَيُسَمَّى ذَلِكَ كُلُّهُ كَشْفًا وَمُكَاشَفَةً)[٦] .

ب- المكاشفات والتأثيرات لا تختص بالكلمات الكونية ، بل إنها كثيرا ماتكون في الكلمات

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٠/١١ . وانظر : سير أعلام النبلاء ٤٩٨،٤٩٩/٣ .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ١١/ ٢٧٦-٢٨٢ .

(٣) آيات النبوة عند السلف لا تختص بزمان ، بل تكون في زمن النبوة وقبله وبعده . انظر : النبوات ١٣٣/١ .

(٤) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٨ .

(٥) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٨ (باختصار) .

(٦) مجموع الفتاوى ١١/ ٣١٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الشرعية ؛ والكشف في الكلمات الشرعية يعني العلم بالشرع علما خارجا عن العادة ، والتأثير فيها يعني التأثير في نفسه وفي غيره تأثيرا خارجا عن العادة ؛ فيؤثر نَفْسِهِ بِطَاعَتِهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالتَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ، بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، ويؤثر فِي غَيْرِهِ ؛ بِأَنْ يَأْمُرَ بِطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ فَيُطَاعُ فِي ذَلِكَ طَاعَةً شَرْعِيَّةً ؛ بِحَيْثُ تَقْبَلُ النُّفُوسُ مَا يَأْمُرُهَا بِهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ[١] ، ومن نظر في تاريخ المسلمين وجد شواهده لا تنحصر ؛ فكم من عالم تآليفه تحتاج إلى أضعاف عمره ، وهكذا عباداته ، وآثاره في العباد والبلاد ؛ ولهذا نص شيخ الإسلام على أن العلم والإيمان الذي في أمة محمد ﷺ من آيات نبوته[٢] !

ج- كرامات الأولياء على درجات ، وأعلاها ما كان لحجة في الدين أو حاجة بالمسلمين ؛ يقول شيخ الإسلام : (أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُتَّقُونَ هُمْ الْمُقْتَدُونَ بِمُحَمَّدِ ﷺ ؛ فَيَفْعَلُونَ مَا أَمَرَ بِهِ ، وَيَنْتَهُونَ عَمَّا عَنْهُ زَجَرَ ، وَيَقْتَدُونَ بِهِ فِيمَا بَيَّنَ لَهُمْ أَنْ يَتَّبِعُوهُ فِيهِ ؛ فَيُؤَيِّدُهُمْ بِمَلَائِكَتِهِ ، وَرُوحٍ مِنْهُ ، وَيَقْذِفُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ أَنْوَارِهِ ، وَلَهُمْ الْكَرَامَاتُ الَّتِي يُكْرِمُ اللَّهُ بِهَا أَوْلِيَاءَهُ الْمُتَّقِينَ ، وَخِيَارُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ كَرَامَاتُهُمْ لِحُجَّةِ فِي الدِّينِ أَوْ لِحَاجَةِ بِالْمُسْلِمِينَ ، كَمَا كَانَتْ مُعْجِزَاتُ نَبِيِّهِمْ ﷺ كَذَلِكَ)[٣] .

د- كرامات الأولياء لاتختص بالصالحين من هذه الأمة ؛ فقد كانت معروفة في شرع من قبلنا ، ووقعت لكثير من صالحيهم ؛ مثل قصة الذي عنده علم من الكتاب ، وقصة أهل الكهف ، وقصة مريم[٤] .

المخالفات في الكرامات

مع أن كرامات الأولياء ثابتة ثبوتا لاشك فيه ، ولا في دلالة النصوص على ضوابطه إلا أن هذا المعتقد وقع فيه كثير من المخالفات ؛ وهي كثيرة ؛ منها :-

١- إنكار الكرامات كلية ؛ وهذا رأي جمهور المعتزلة ومن وافقهم ؛ لأن الخوارق بزعمهم لو

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١١/ ٣٢٢ ، ٣٢٣ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ، طبعة البيان ، ٥٠٤/٢ .

(٣) مجموع الفتاوى ٢٧٤/١١ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٣١٨/١١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ظهرت من الأولياء لالتبس النبي بغيره ؛ لأن الخارق إنما هو المعجزة ! ولأنها لو ظهرت على أيدي الأولياء لكثرت بكثرتهم ، وخرجت عن كونها خارقة للعادة ، والفرض أنها كذلك !

والجواب عن ذلك من وجهين :-

أ- أن الكرامات لاتخرج بكثرتها عن كونها خارقة للعادة ، بل غاية الأمر استمرار خرق العادة ، وذلك لايوجب أن يصير الخارق معتادا !

ب- أن وقوع الكرامة لايؤدي إلى التباسها بالمعجزة ؛ لأن فرض اللبس إنما يصح لو كان الولي يأتي بالخارق ويدعي النبوة ؛ وهو محال ؛ لأن الكرامة إنما وقعت للولي ببركة اتباع النبي ؛ ولو ادعى النبوة لخرج عن الولاية ؛ فلا يكون له خارق رحماني أصلا[١] ! ؛ ولأن كرامات الأولياء لاتكون من جنس آيات الأنبياء الكبرى ، ولاتبلغ قدر آياتهم الصغرى ؛ قال ابن تيمية : (كرامات الأولياء معتادة من الصالحين ، ومعجزت الأنبياء فوق ذلك ؛ فانشقاق القمر ، والإتيان بالقرآن ، وانقلاب العصا حية ، وخروج الدابة من صخرة لم يكن مثله للأولياء ، وكذلك خلق الطير من الطين . ولكن آياتهم صغار وكبار ؛ كما قال تعالى : (فأراه الآية الكبرى) ، فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة ، وقال عن نبيه محمد ﷺ : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ؛ فالآيات الكبرى مختصة بهم ، وأما الآيات الصغرى فقد تكون للصالحين مثل تكثير الطعام ، فهذا قد وجد لغير واحد من الصالحين ، لكن لم يوجد كما وجد للنبي ﷺ ؛ أنه أطعم الجيش من شيء يسير ، فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وجد لهم لكن لا يماثلون في قدره ؛ فهم مختصون إما بجنس الآيات ؛ فلا يكون لمثلهم ؛ كالإتيان بالقرآن ، وانشقاق القمر ، وقلب العصا حية ، وانفلاق البحر ، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير ، وإما بقدرها وكيفيتها ؛ كنار الخليل عليه السلام ؛ فإن أبا مسلم الخولاني وغيره صارت النار عليهم بردا وسلاما ، لكن لم تكن مثل نار ابراهيم عليه السلام في عظمتـــها !)[٢] ؛ وبهذا يعلم بطلان قول من جوز للأولياء خوارق من جنس آيات الأنبياء الكبرى ، أو جوز لهم خوارق ما كان للأنبياء مثلها أصلا ؛ كالزعم بأن الكعبة تزور بعض

---

(١) انظر : البحر الزخار ٧٤/١ ، تبصرة الأدلة ١٠٧/٢-١١٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٤٩٨) ، شرح المقاصد ٧٣/٥-٧٧ ، شرح المواقف ٣١٤/٨ ، ٣١٥ .

(٢) النبوات ٨٠٢/٢-٨٠٤ . وانظر من النبوات أيضا ٨٢١/٢ ، ٨٦٤ ، ٨٦٦ ، والجواب الصحيح ٥٧٠/٢ ، ٧١١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأولياء ، أو تطوف حوله حيث كان ! فَهَلا خَرَجَتِ الْكَعْبَةُ إِلَى الْحُدَيْبِيَةِ فَطَافَتْ بسيد المرسلين ﷺ حِينَ أُحْصِرَ عَنْهَا وَهُوَ يَوَدُّ مِنْهَا نَظْرَةً [(١)]!

٢- اعتبار الخوارق دليلا مطلقا على الولاية ، بقطع النظر عن صفات أهلها وأحوالهم ؛ قال ابن تيمية : (تجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور ، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة ؛ مثل أن يشير إلى شخص فيموت ، أويطير في الهواء إلى مكة أو غيرها ، أو يمشي على الماء أحيانا ، أو يملأ إبريقا من الهواء ، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب ، أو يختفي أحيانا عن أعين الناس ، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته ، أو يخبر الناس بما سرق لهم ، أو بحال غائب لهم ، أو مريض أو نحو ذلك من الأمور . وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي الله ، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء ، أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله ﷺ ، وموافقته لأمره ونهيه ، وهذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين ، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين ؛ فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله ، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم ، التي دل عليها الكتاب والسنة ، ويعرفون بنور الايمان والقرآن ، وبحقائق الايمان الباطنة ، وشرائع الاسلام الظاهرة ؛ مثال ذلك أن الأمور المذكورة وأمثالها قد توجد في أشخاص ويكون أحدهم لا يتوضأ ولا يصلي الصلوات المكتوبة ، بل يكون ملابسا للنجاسات ، معاشرا للكلاب ، يأوي إلى الحمامات والقمامين والمقابر والمزابل ، رائحته خبيثة ، لا يتطهر الطهارة الشرعية ولا يتنظف ؛ فإذا كان الشخص مباشرا للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان ، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش التي تحضرها الشياطين ، أو يأكل الحيات والعقارب والزنابير وآذان الكلاب التي هي خبائث وفواسق ، أو يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان ، أو يدعو غير الله فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها ، أو يسجد إلى ناحية شيخه ولا يخلص الدين لرب العالمين ، أو يلابس الكلاب أو النيران أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة ، أو يأوي إلى المقابر ولا سيما إلى مقابر الكفار من اليهود والنصارى أو المشركين ، أو يكره سماع القرآن وينفر عنه ويقدم عليه

---

(١) انظر : النبوات ١/١٣٦ ، ١٣٧ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٥١٢) ، شرح المقاصد ٥/٧٥ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

سماع الأغاني والأشعار ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن)[١] .

٣- الخلط بين كرامات الأبرار وخوارق الفجار ؛ فالكرامات سببها الإيمان والتقوى ، ومتابعة الرسول ﷺ ظاهرا وباطنا ؛ قال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ يونس: ٦٢ - ٦٣ ، وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ آل عمران: ٣١ ، والأحوال الشيطانية سببها الكذب والفجور ؛ قال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٢ ؛ وبهذا يمكن الفصل بين كرامات الأبرار وخوارق الفجار ؛ فالكرامات تعرف باستقامة أهلها على دين الله تعالى قولا وعملا ، والخوارق الشيطانية تعرف بكذب أهلها وفجورهم ، ونفورهم من القرآن ؛ ولهذا إذا قرئ عندهم القرآن بصدق وبخاصة آية الكرسي ، فر أولياؤهم من الشياطين ، وعجزوا عما كانوا يظهرون للناس من خوارق ، والشواهد على ذلك كثيرة ؛ يقول شيخ الإسلام : (أهل الأحوال الشيطانية تنصرف عنهم شياطينهم إذا ذكر عندهم مايطردها مثل آية الكرسي ؛ ولهذا إذا قرأها الإنسان عند الأحوال الشيطانية بصدق أبطلتها ؛ مثل من يدخل النار بحال شيطاني ، أو يتكلم بما لايعرف ، وربما كاشف بعض الحاضرين بما في قلبه ، ومثل من تخاطبه النباتات أو الأشجار أوالطيور بما فيها من المنافع ؛ فإني أعرف من تخاطبه النباتات بما فيها من المنافع وإنما يخاطبه الشيطان الذي دخل فيها ، وأعرف من يخاطبهم الحجر والشجر وتقول : هنيئا لك يا ولي الله ! فيقرأ آية الكرسي فيذهب ذلك ، وأعرف من يقصد صيد الطير فتخاطبه العصافير وغيرها وتقول : خذني حتى يأكلني الفقراء ، ويكون الشيطان قد دخل فيها كما يدخل في الإنس ويخاطبه بذلك ؛ فإذا قرأ آية الكرسي مرة بعد مرة ذهب ذلك كله)[٢] . كما تعرف الأحوال الشيطانية بما يعلنه أهلها من أصول الضلالة ؛ كالزعم بأن النبي ﷺ إنما تلزم طاعته ظاهرا لاباطنا ، أو في الشريعة دون الحقيقة

---

(١) مجموع الفتاوى ٢١٣/١١-٢١٦ (باختصار) .

(٢) مجموع الفتاوى ٢٨٥- ٣٠٠ (باختصار وتصرف) . وقد رأيت قريبا مقابلة لبعض الدعاة المعروفين مع ساحر تائب ، فكان مما ذكره أنه كان يوما يمارس هذه الخوارق الشيطانية أمام من عنده من الناس ؛ فيضرب بطنه بالسلاح الأبيض ولا يضره حتى دخل رجل فقرأ آية الكرسي ففرت شياطينه ، وأصابه السلاح في بطنه إصابة بليغة نقل على إثرها إلى المشفى ، وظل يتعالج منها حينا من الزمن !

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

؛ فهؤلاء ليسوا لله بأولياء ولو جرى لهم من الخوارق ماجرى ؛ فإنها تجري حتى لمن لاينتسب للملة أصلا ؛ قال ابن تيمية : (في أصناف المشركين من مشركي العرب ومشركي الهند والترك واليونان وغيرهم من له اجتهاد في العلم والزهد والعبادة ، ولكن ليس بمتبع للرسل ، ولا مؤمن بما جاؤوا به ، ولا يصدقهم فيما أخبروا به ، ولا يطيعهم فيما أمروا ؛ فهؤلاء ليسوا بمؤمنين ولا أولياء الله ، وهؤلاء تقترن بهم الشياطين وتنزل عليهم ؛ فيكاشفون الناس ببعض الأمور ، ولهم تصرفات خارقة من جنس السحر ، وهم من جنس الكهان والسحرة الذي تنزل عليهم الشيطان قال تعالى : هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون . وهؤلاء جميعهم الذين ينتسبون إلى المكاشفات وخوارق العادات إذا لم يكونوا متبعين للرسل فلا بد أن يكذبوا وتكذ بهم شياطينهم ، ولا بد أن يكون في أعمالهم ماهو إثم وفجور ؛ مثل نوع من الشرك أو الظلم ، أو الفواحش أو الغلو أو البدع في العبادة ؛ ولهذا تنزلت عليهم الشياطين واقترنت بهم ؛ فصاروا من أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن قال تعالى : ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وذكر الرحمن هو الذكر الذي بعث به رسول الله ﷺ ؛ مثل القرآن ؛ فمن لم يؤمن بالقرآن ، ويصدق خبره ، ويعتقد وجوب أمره ، فقد أعرض عنه فيقيض له الشيطان فيقترن به ؛ قال تعالى : وهذا ذكر مبارك أنزلناه ، وقال تعالى : ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ؛ فدل ذلك على أن ذكره هو آياته التي أنزلها ؛ ولهذا لو ذكر الرجل الله سبحانه وتعالى دائما ليلا ونهارا مع غاية الزهد ، وعبده مجتهدا في عبادته ، ولم يكن متبعا لذكره الذي أنزله وهو القرآن كان من أولياء الشيطان ، ولو طار في الهواء ، أو مشى على الماء ؛ فإن الشيطان يحمله في الهواء !)[١] .

٤- إخراج كثير من الصالحين عن مرتبة الولاية ، مع أنهم أكمل ولاية ممن وقع له الخارق ؛ يقول ابن تيمية : (مما ينبغي أن يعرف أن الكرامات قد تكون بحسب حاجة الرجل ؛ فإذا احتاج إليها الضعيف الايمان أو المحتاج أتاه منها ما يقوي إيمانه ويسد حاجته ، ويكون من هو أكمل ولاية لله منه مستغنيا عن ذلك ، فلا يأتيه مثل ذلك لعلو درجته وغناه عنها لا لنقص ولايته ؛ ولهذا كانت

---

(١) مجموع الفتاوى ١٧٢/١١ ، ١٧٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

هذه الأمور في التابعين أكثر منها في الصحابة ، بخلاف من يجري على يديه الخوارق لهدي الخلق ولحاجتهم فهؤلاء أعظم درجة)[١] .

٥- اعتبار المجانين من الأولياء ، بحجة مايقع لهم من مكاشفات أو تصرفات خارقة ! مع أن المجنون لايصح منه موجب الولاية ؛ وهو الإيمان والتقوى ، ومتابعة الرسول ﷺ ظاهرا وباطنا ؛ يقول ابن تيمية : (العبد لا يكون وليا لله إلا إذا كان مؤمنا تقيا ؛ لقوله تعالى : ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ؛ فعلم أن أحدا من الكفار والمنافقين لا يكون وليا لله ، وكذلك من لا يصح إيمانه وعباداته ؛ كالمجانين ، وإذا كان المجنون لا يصح منه الإيمان ولا التقوى ولا التقرب إلى الله بالفرائض والنوافل امتنع أن يكون وليا لله ؛ فلا يجوز لأحد أن يعتقد أنه ولي لله بحجة مكاشفة سمعها منه ، أو نوع من تصرف ؛ مثل أن يراه قد أشار إلى أحد فمات أو صرع ؛ فإنه قد علم أن الكفار والمنافقين من المشركين وأهل الكتاب لهم مكاشفات وتصرفات شيطانية كالكهان والسحرة وعباد المشركين وأهل الكتاب ؛ فلا يجوز لأحد أن يستدل بمجرد ذلك على كون الشخص وليا لله وإن لم يعلم منه ما يناقض ولاية الله فكيف إذا علم منه ما يناقض ولاية الله ، ومن احتج بما يصدر عن أحدهم من خرق عادة على ولايتهم كان أضل من اليهود والنصارى)[٢] . ويقول ابن أبي العز : (مَنِ اعْتَقَدَ فِي بَعْضِ الْبُلْهِ أَوِ الْمُولَعِينَ ، مَعَ تَرْكِهِ لِمُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ أَنَّهُ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، وَيُفَضِّلُهُ عَلَى مُتَّبِعِي طَرِيقَةِ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ ، مُخْطِئٌ فِي اعْتِقَادِهِ ؛ فَإِنَّ ذَاكَ الأَبْلَهَ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ شَيْطَانًا زِنْدِيقًا ، أَوْ زُوكَارِيًّا[٣] مُتَحَيِّلا ، أَوْ مَجْنُونًا مَعْذُورًا ! فَكَيْفَ يُفَضَّلُ عَلَى مَنْ هُوَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ ، الْمُتَّبِعِينَ لِرَسُولِهِ أَوْ يُسَاوَى بِهِ ! وَلا يُقَالُ : يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا مُتَّبِعًا فِي الْبَاطِنِ وَإِنْ كَانَ تَارِكًا للاتباع فِي الظَّاهِرِ ! فَإِنَّ هَذَا خَطَأٌ أَيْضًا ، بَلِ الْوَاجِبُ مُتَابَعَةُ الرَّسُولِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا . قَالَ مُوسَى بْنُ عَبْدِ الأَعْلَى الصَّدَفِيُّ : قُلْتُ لِلشَّافِعِيِّ : إِنَّ صَاحِبَنَا اللَّيْثَ كَانَ يَقُولُ : إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ فَلا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ؟ فَقَالَ

---

(١) مجموع الفتاوى ٢٨٣/١١ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٩٠/١١-١٩٢ . (باختصار وتصرف يسير) .

(٣) هذه لفظة مولدة يقصد بها من يظهر النسك ويبطن الفساد . انظر : حاشية شرح الطحاوية ، رقم (٧٨٢) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الشَّافِعِيُّ : قَصَّرَ اللَّيْثُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، بَلْ إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ، وَيَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، فَلا تَغْتَرُّوا بِهِ حَتَّى تَعْرِضُوا أَمْرَهُ عَلَى الْكِتَابِ . وَأَمَّا مَا يَقُولُهُ بَعْضُ النَّاسِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : اطَّلَعْتُ عَلَى الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْبُلْهَ ! فَهَذَا لايَصِحُّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَلا يَنْبَغِي نِسْبَتُهُ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّ الْجَنَّةَ إِنَّمَا خُلِقَتْ لأُولِي الْأَلْبَابِ ، الَّذِينَ أَرْشَدَتْهُمْ عُقُولُهُمْ وَأَلْبَابُهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِأَوْصَافِهِمْ فِي كِتَابِهِ ، فَلَمْ يَذْكُرْ فِي أَوْصَافِهِمُ الْبَلَهَ ، الَّذِي هُوَ ضَعْفُ الْعَقْلِ ، وَإِنَّمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ . وَلَمْ يَقُلِ البله ! وَزَوَالُ الْعَقْلِ بِجُنُونٍ أَوْ غَيْرِهِ ، سَوَاءٌ سُمِّيَ صَاحِبُهُ مُولَهًا أَوْ وَلِهًا ،لا يُوجِبُ مَزِيدَ حَالٍ ، بَلْ حَالُ صَاحِبِهِ مِنَ الإِيمَانِ وَالتَّقْوَى يَبْقَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ، لا أَنَّهُ يَزِيدُهُ أَوْ يَنْقُصُهُ ، وَلَكِنَّ جُنُونَهُ يَحْرِمُهُ الزِّيَادَةَ مِنَ الْخَيْرِ ، كَمَا أَنَّهُ يَمْنَعُ عُقُوبَتَهُ عَلَى الشَّرِّ ، وَلَا يَمْحُو عَنْهُ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَهُ . وَمَا يَحْصُلُ لِبَعْضِهِمْ عِنْدَ سَمَاعِ الأَنغَامِ الْمُطْرِبَةِ ، مِنَ الْهَذَيَانِ ، وَالتَّكَلُّمِ بِبَعْضِ اللُّغَاتِ الْمُخَالِفَةِ لِلِسَانِ الْمَعْرُوفِ مِنْهُ !! فَذَلِكَ شَيْطَانٌ يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِهِ ، كَمَا يَتَكَلَّمُ عَلَى لِسَانِ الْمَصْرُوعِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مِنَ الْأَحْوَالِ الشَّيْطَانِيَّةِ ! وَكَيْفَ يَكُونُ زَوَالُ الْعَقْلِ سَبَبًا أَوْ شَرْطًا أَوْ تَقَرُّبًا إِلَى وِلايَةِ اللَّهِ ، كَمَا يَظُنُّهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الضَّلالِ ! حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ :

هُمْ مَعْشَرٌ حَلُّوا النِّظَامَ وَخَرَّقُوا الـــ سِّيَاجَ فَلَا فَرْضٌ لَدَيْهِمْ وَلَا نَفْلُ
مَجَانِينُ، إِلَّا أَنَّ سِرَّ جُنُونِهِـــــمْ عَزِيزٌ عَلَى أَبْوَابِهِ يَسْجُدُ الْعَقْلُ

وَهَذَا كَلامُ ضَالٍّ يَظُنُّ أَنَّ فِي الْجُنُونِ سِرًّا يَسْجُدُ الْعَقْلُ عَلَى بَابِهِ ! لِمَا رَآهُ مِنْ بَعْضِ الْمَجَانِينِ مِنْ نَوْعِ مُكَاشَفَةٍ ، أَوْ تَصَرُّفٍ عَجِيبٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِسَبَبِ مَا اقْتَرَنَ بِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ ، كَمَا يَكُونُ لِلسَّحَرَةِ وَالْكُهَّانِ ! فَيَظُنُّ هَذَا الضَّالُّ أَنَّ كُلَّ مَنْ خُبِلَ أَوْ خَرَقَ عَادَةً كَانَ وَلِيًّا لِلَّهِ !)[1] . ومن الغرائب أن هذه الدعاوى العجيبة راجت على بعض مشاهير العقلاء ؛ يقول ابن خلدون : (من هؤلاء المريدين من المتصوفة قوم بهاليل معتوهون أشبه بالمجانين من العقلاء ، وهم مع ذلك قد صحت لهم مقامات الولاية وأحوال الصديقين ، وعلم ذلك من أحوالهم من يفهم عنهم من أهل الذوق ، مع أنهم غير مكلفين . ويقع لهم من الإخبار عن

(١) شرح الطحاوية ، ص (٥٠٧-٥١٠) (باختصار) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المغيبات عجائب ، لأنهم لا يتقيدون بشيء ، فيطلقون كلامهم في ذلك ويأتون منه بالعجائب . وربما ينكر الفقهاء أنهم على شيء من المقامات ؛ لما يرون من سقوط التكليف عنهم ، والولاية لا تحصل إلا بالعبادة ، وهوغلط ، فإن فضل الله يؤتيه من يشاء ، ولا يتوقف حصول الولاية على العبادة ولا غيرها !)[١] .

٦- اعتبار الكرامة دليلا على العصمة ؛ فمن خرقت له العادة فهو الولي المحفوظ ! وتحت هذا الوهم راجت دعوى خطيرة ؛ كتقديم الكشف على الشرع ، والزعم بأن الولي يسلم له حاله حتى لو خالف الكتاب والسنة ! يقول ابن تيمية : (كرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول ، لا تدل على أن الولي معصوم ، ولا على أنه تجب طاعته في كل ما يقوله ، ومن هنا ضل كثير من الناس ؛ من النصارى وغيرهم ؛ فإن الحواريين وغيرهم كانت لهم كرامات ،كما تكون الكرامات لصالحي هذه الأمة ؛ فظنوا أن ذلك يستلزم عصمتهم كما يستلزم عصمة الأنبياء ؛ فصاروا يوجبون موافقتهم في كل ما يقولون)[٢]، ويقول ابن أبي العز الحنفي : (يَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ : الْفُقَرَاءُ يُسَلَّمُ إلَيْهِمْ حَالُهُمْ ! وَهَذَا كَلَامٌ بَاطِلٌ، بَلِ الْوَاجِبُ عَرْضُ أَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ عَلَى الشَّرِيعَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ ، فَمَا وَافَقَهَا قُبِلَ ! وَمَا خَالَفَهَا رُدَّ ، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ . وَفِي رِوَايَةٍ : مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ ؛ فَلَا طَرِيقَةَ إلَّا طَرِيقَةُ الرَّسُولِ ﷺ ، وَلَا حَقِيقَةَ إلَّا حَقِيقَتُهُ ، وَلَا شَرِيعَةَ إلَّا شَرِيعَتُهُ ، وَلَا عَقِيدَةَ إلَّا عَقِيدَتُهُ ، وَلَا يَصِلُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ بَعْدَهُ إلَى اللَّهِ وَإِلَى رِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ وَكَرَامَتِهِ إلَّا بِمُتَابَعَتِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا .وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُصَدِّقًا فِيمَا أَخْبَرَ ، مُلْتَزِمًا لِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرَ ، فِي الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي فِي الْقُلُوبِ ، وَالْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي عَلَى الْأَبْدَانِ لَمْ يَكُنْ مُؤْمِنًا ، فَضْلا عَنْ أَنْ يَكُونَ وَلِيًّا لِلَّهِ تَعَـــالَى)[٣] .

٧- الاعتماد على الكرامات في الترويج للشرك ؛ فقد زعموا أن كرامة الولي تكون بعد موته كما تكون حال حياته ؛ وبذلك يتمكن من قضاء حاجة من استغاث به ! يقول البيجوري : (كرامة

---

(١) مقدمة ابن خلدون (١١٠ ، ١١١) .

(٢) النبوات ١/١٤٣ .

(٣) شرح الطحاوية ، ص (٥٠٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الأولياء واقعة في الحياة وبعد الموت ؛ ولذا قيل من لم تظهر كرامته بعد موته فليس بصادق ! وقال الشعراني : ذكر لي بعض المشايخ أن الله يوكل بقبر الولي ملكا يقضي الحوائج ، وتارة يخرج الولي من قبره ويقضيها بنفسه !)[1] ؛ وبناء على هذا الاعتقاد الفاسد تمكن شرك العبادة في النفوس ، وصار كثير ممن راج عليه هذا الإفك يستغيث بأصحاب القبور في الشدائد والرغائب كما يستغيث بالله تعالى أو أعظم ! وكثير من هؤلاء زين له سوء عمله فرآه حسنا حتى إن آيات الله تتلى عليه آناء الليل وأطراف النهار وهو في غفلة أوعماية تامة عنها ! وإلا فكيف ينطلي هذا الباطل على مسلم وهو يقرأ ، أو يسمع قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يونس: ١٠٦، وقوله : ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ النمل: ٦٢ ، وقوله : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ الأحقاف: ٥ – ٦ .

****

(١) شرح الجوهرة ، ص (١٥٣) (باختصار وتصرف يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أفضلية خاتم النبيين ﷺ

لاشك أن الله تعالى فضل بعض النبيين على بعض ؛ قال تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴾الإسراء: ٥٥ ، فالرسل أفضل من الأنبياء ، وأولو العزم أفضل الرسل ؛ وهم الذين خصهم الله بالذكر في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧ ، وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾الشورى: ١٣ ، وأفضل أولي العزم خاتمهم محمد ﷺ ؛ روى مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة) ، وروى الترمذي بسند صحيح[١] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا : (أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ، وبيدي لواء الحمد ولا فخر ، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي) .

وقد استشكلت عدة أدلة على هذا الأصل في التفضيل ؛ منها :-

١- قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَـٰلَـٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٤ ؛ ويمكن الجواب عن ذلك بأن المراد بالعموم في لفظ الناس العموم النسبي لا المطلق ؛ أي أهل زمانه من الناس لاجميع الناس ؛ يقول ابن كثير : (يذكر تعالى أنه خاطب موسى عليه السلام بأنه اصطفاه على عالمي زمانه برسالاته تعالى وبكلامه ، ولا شك أن محمدًا ﷺ سيد ولد آدم من الأولين والآخرين ؛ ولهذا اختصه الله بأن جعله خاتم الأنبياء والمرسلين ، الذي تستمر شريعته إلى قيام الساعة ، وأتباعه أكثر من أتباع سائر الأنبياء والمرسلين كلهم ، وبعده في الشرف والفضل إبراهيم الخليل عليه السلام ، ثم موسى بن عمران كليم الرحمن عليه السلام)[٢] .

٢- قوله ﷺ : (لاتفضلوا بين أنبياء الله) ، وفي لفظ : (لاتخيروا بين الأنبياء) ، وفي لفظ آخر[٣] : (لاتخيروني على موسى) ؛ والجواب عن ذلك أن النهي محمول على التفضيل إذا كان على وجه الحمية والفخر ، كما يدل لذلك سبب الحديث ، ويمكن أن يحمل على التفضيل على

---

(١) صحيح الجامع الصغير ، ح (١٤٦٨) .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٨٦ ، ٨٧ .

(٣) هذه الألفاظ كلها في الصحيح . انظر : صحيح الجامع ، ح (٧٢٥٧ ، ٧٢٥٨ ، ٧٣٧٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وجه الانتقاص للمفضول ، أو على التفضيل الخاص ؛ فلايفضل بعض الرسل على بعض بعينه بخلاف التفضيل العام[١] .

٣- قوله ﷺ : (من قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب)[٢] ؛ والجواب عن ذلك يختلف بحسب مرجع الضمير في أنا ؛ فإن كان المراد به النبي ﷺكما ذهب لذلك ابن حجر وغيره[٣]، فالظاهر أنه قال ذلك قبل أن يعلمه الله بأنه أفضل الخلق ، أو قاله تواضعا ، وسد للذريعة ؛ قال ابن حجر : (قال العلماء إنما قال ﷺ ذلك تواضعا ، إن كان قاله بعد أن أعلم أنه أفضل الخلق ، وإن كان قاله قبل علمه بذلك فلا إشكال . وقيل : خص يونس بالذكر لما يخشى على من سمع قصته أن يقع في نفسه تنقيص له ؛ فبالغ في ذكر فضله ؛ لسد هذه الذريعة)[٤] .

وإن كان المراد بالضمير في قوله : (من قال أنا خير من يونس) نفس المتكلم والقائل ، كما ذهب لذلك ابن تيمية وغيره[٥]؛ فالمراد به تكذيب من فضل نفسه على هذا النبي الكريم لا النهي عن تفضيل محمد ﷺ على يونس عليه السلام ؛ يقول ابن أبي العز الحنفي : (هذا اللفظ يدل على العموم ؛ أي لا ينبغي لأحد أن يفضل نفسه على يونس بن متى ، ليس فيه نهي المسلمين أن يفضلوا محمداً على يونس ؛ وذلك لأن الله تعالى قد أخبر عنه أنه التقمه الحوت وهو مليم ، أي فاعل ما يلام عليه ، فقد يقع في نفس بعض الناس أنه أكمل من يونس ، فلا يحتاج إلى هذا المقام ؛ إذ لا يفعل ما يلام عليه ، ومن ظن هذا فقد كذب ؛ بل كل عبد من عباد الله يقول ما قال يونس : أن لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)[٦] .

٤- ما روى البخاري بسنده عن عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي لَيْلَى قَالَ لَقِيَنِي كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ :أَلا

---

(١) انظر : شرح الطحاوية ، ص (١٦٠-١٦٢) ، فتح الباري ٤٤٦/٦ .

(٢) رواه البخاري وغيره . صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٤٢٠) .

(٣) انظر : فتح الباري ٤٥١/٦ ، تحفة الأحوذي ١١٩/٩ .

(٤) فتح الباري ٤٥٢/٦ .

(٥) انظر : مجموع الفتاوى ٢٢٣/٢ ، ٢٢٤ ، ٢٥٤/١٠ ، تحفة الأحوذي ١١٩/٩ ، شرح الطحاوية ، ص (١٦٢) . وأما رواية : (لاتفضلوني على يونس بن متى) فلا أصل لها ، والغريب أن بعض المعطلة أهدر أدلة العلو التي تزيد على الألف ، واعتمد على هذه الرواية في نفي العلو ؛ وفسرها بأن قرب محمد من ربه ليلة المعراج كقرب يونس من ربه وهو في بطن الحوت ؛ لأن الأمكنة بالنسبة لله سواء ؛ فليس داخل العالم ولاخارجه ! انظر : شرح الطحاوية ، ص (١٦٢ ، ١٦٤) .

(٦) شرح الطحاوية ، ص (١٦٢ ، ١٦٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً سَمِعْتُهَا مِنْ النَّبِيِّ ﷺ فَقُلْتُ : بَلَى فَأَهْدِهَا لِي فَقَالَ : سَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! كَيْفَ الصَّلاةعَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ عَلَّمَنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ ؟ قَالَ : قُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ)[١] ؛ فالنبي ﷺ أفضل من إبراهيم ، فكيف طلب له من الصلاة مثل مالإبراهيم عليه السلام ، والقاعدة أن المشبه دون المشبه به ؟ وقد أجاب العلماء عن ذلك بأجوبة كثيرة[٢] ؛ من أقواها أربعة :-

أ- أن التشبيه إنما هو لأصل الصلاة بأصل الصلاة لا للقدر بالقدر ؛ كقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾النساء: ١٦٣ ، وقوله : ﴿وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَ﴾القصص: ٧٧ .

ب - أن الكاف للتعليل ؛ كما في قوله تعالى : ﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ﴾ البقرة: ١٩٨ ؛ فتكون الصلوات الإبراهيمية ضربا من التوسل بصفات الله تعالى ؛ فالمصلي يتوسل بفعل سابق من أفعال الله تعالى على فعل لاحق .

ج- أن المشبه به لايكون أرفع من المشبه دائما ؛ فقد يقع التشبيه بالمثل بل وبالدون ؛ كما في قوله تعالى : ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾النور: ٣٥ ، وقوله : ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾ الصافات: ٤٩ .

د- أن التشبيه في الحديث ليس من باب إلحاق الفاضل بالأفضل ، بل من باب إلحاق مالم يشتهر بما اشتهر[٣] ؛ يقول ابن حجر : (لما كان تعظيم إبراهيم وآل إبراهيم بالصلاة عليهم مشهورا واضحا عند جميع الطوائف حسن ان يطلب لمحمد وآل محمد بالصلاة عليهم مثل ما حصل لإبراهيم وآل إبراهيم ، ويؤيد ذلك ختم الطلب المذكور بقوله : في العالمين ؛ أي كما اظهرت الصلاة على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين ؛ ولهذا لم يقع قوله في العالمين إلا في ذكر آل إبراهيم دون ذكر آل محمد ، على ما وقع في الحديث الذي ورد فيه ، وهو حديث أبي مسعود فيما أخرجه مالك ومسلم وغيرهما ، وعبر الطيبي عن ذلك بقوله : ليس التشبيه المذكور من باب

---

(١) صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٤٠٨/٦ ، ح (٣٣٧٠) . وانظر : فتح الباري ١٥٩/١١ .

(٢) انظر في بسط هذه الأجوبة : جلاء الأفهام ، ص (٢٧٨-٢٩١) ، القول البديع ، ص (١٢٧-١٣٥) .

(٣) انظر : فتح الباري ٥٣٣/٨ ، ١٦١/١١، ١٦٢ ،

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

إلحاق الناقص بالكامل ، بل من باب إلحاق ما لم يشتهر بما اشتهر)[١] .

خصائص الرسول ﷺ[٢]

من أعظم مايدل على أفضيلة الرسول ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ماخصه الله به من فضائل لم تكن لأحد منهم ؛ روى البخاري بسنده عن جابر رضي الله عنه مرفوعا : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي ؛ نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة) ، فدل هذا الحديث على تفضيلة ﷺ بالخصال الآتية :-

١- نصره بالرعب يقذف في قلوب أعدائه ، ولو كان بينه وبينهم مسيرة شهر ، وهذه الخصوصية حاصلة له ولو كان وحده ، ويحتمل أن تكون حاصلة لأمته من بعده ؛ يقول الصنعاني : (هذا من خصائصه ، حتى لوسار وحده بغير عسكر لرعب أعداؤه ، وقد وقع هذا لبعض خلفائه ، ومن اتقى الله من أمراء الإسلام)[٣] .

٢- إباحة التطهر بالتراب عند تعذر الماء حسا أو حكما ، وجواز الصلاة في جميع المواضع إلا مااستثناه الشرع ؛ كالمقابر ، خلافا لمن كان قبلنا ؛ فإنما أبيحت لهم الصلوات في أماكن مخصوصة كالبيع والصوامع والكنائس .

٣- إباحة الغنائم ، خلافا لمن أذن له بالجهاد ممن كان قبلنا ، فقد كانوا إذا غنموا شيئا لم يحل لهم أكله ، وإنما يجمعونها ، ثم تأتي نار من السماء فتأكلها .

٤- الشفاعة ؛ والظاهر أن المراد بها الشفاعة العظمى ؛ لأنها هي التي يعتذر عنها الأنبياء حتى تصل إلى النبي ﷺ فيشفع عند الله تعالى لفصل القضاء . ويحتمل أن يراد مع ذلك الشفاعة في عصاة الموحدين من أمته ، لمارواه البزار وغيره بسند حسن[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعـــا :

---

(١) فتح الباري ١٦٢/١١ .

(٢) انظر : شرح النووي لصحيح مسلم ٢/٥-٥ ، فتح الباري ٤٣٦/١-٤٤٠ ، العدة على إحكام الأحكام ٤٤٠/١-٤٦٤ ، فيض القدير ٥٦٣/١-٥٦٨ .

(٣) العدة على إحكام الأحكام ٤٤٩/١ .

(٤) انظر : مجمع الزوائد ٣٧٤/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

(وأعطيت الشفاعة ، فأخرتها لأمتي ؛ فهي لمن لا يشرك بالله شيئا) ، ولما رواه الطبراني بإسناد صحيح[١] عن السائب بن يزيد ﷺ رفعه : (فضلت على الأنبياء بخمس ؛ بعثت إلى الناس كافة ، وادخرت شفاعتي لأمتي) ؛ وعلى هذا الاحتمال تكون الخصوصية في عموم هذه الشفاعة لا في أصلها ؛ فليس لأحد غير النبي ﷺ شفاعة عامة تنال كل موحد !

٥- عموم رسالته ؛ فقد دل الحديث على أن بعثته ﷺ للناس عامة ؛ والنص على الإنس لايخرج الجن ؛ لما ثبت في صحيح مسلم بلفظ : (وأرسلت إلى الخلق كافة) ، فدل على دخول الجن في عموم بعثته ﷺ ؛ وهذا أصل قطعي ، مجمع عليه بين المسلمين[٢] ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٩ – ٣٢ ، وقال : ﴿ قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ ﴾ الجن: ١ - ٢ .

وهذا الحديث الشريف لايدل على حصر خصائص النبي ﷺ في هذه الخمس ؛ لأن شرط الاستدلال بمفهوم العدد ألا يعارضا منطوقا ، وقد ثبت ماينافي الحصر في خمس في عدة أحاديث ؛ فروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ ؛ أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ) ، وروى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح[٣] عن أبي ذر ﷺ مرفوعا : (أعطيت هذه الآيات من آخر سورة البقرة من كنز تحت العرش ، لم يعطها نبي قبلي) ، وروى البزار بإسناد جيد[٤] عن أبي هريرة ﷺ رفعه : (فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي ؛ غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر ، وأحلت لي الغنائم و لم تحل لأحد كان قبلي ، وجعلت أمتي خير الأمم ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

---

(١) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٤٢٢١) .

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣٥/١٩ .

(٣) صحيح الجامع ، ح (١٠٦٠) .

(٤) مجمع الزوائد ٢٧٢/٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

، وأعطيت الكوثر ، ونصرت بالرعب ، والذي نفسي بيده إن صاحبكم لصاحب لواء الحمد يوم القيامة ، تحته آدم فمن دونه) ؛ فدل جميع ذلك على تفضيل النبي ﷺ بخصال زائدة على الخصال الخمس التي ذكرت في حديث جابر رضي الله عنه ؛ وهي :-

١- جوامع الكلم ؛ وهي القرآن عند بعض أهل العلم ؛ يقول ابن الأثير : (جوامع الكلم يعني القرآن ؛ جمع الله بلطفه في الألفاظ اليسيرة منه معاني كثيرة)[١] ، ويقول ابن حجر : (جوامع الكلم القرآن ؛ فإنه تقع فيه المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة)[٢]. والظاهر أن المراد بذلك الملكة التي يقتدر بها على إيجاز اللفظ مع سعة المعنى ؛ فقد اختصر للنبي ﷺ الكلام اختصارا ، وكان يتكلم بجوامع الكلم ؛ روى ابن أبي شيبة وغيره بإسناد صحيح[٣] عن أبي موسى رضي الله عنه مرفوعا : (أعطيت فواتح الكلم ، وجوامعه ، وخواتمه) ؛ فحديثه ﷺ كان كثير المعاني قليل الألفاظ ؛ وهذا معنى جوامع الكلم . وأما فواتح الكلم فالمراد بها مايسر الله له من الوصول إلى روائع الألفاظ ، وبدائع المعاني التي تعذرت على غيره . وخواتم الكلم تعني حسن الوقف ، ورعاية الفواصل ، ويحتمل أن يكون المراد بها كمال شمول اللفظ لمعناه ، وإحاطته بمدلوله حتى يكون عليه كالخاتم ؛ فلايخرج منه شيء[٤].

٢- ختم النبيين بمحمد ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾ الأحزاب: ٤٠ ؛ يقول ابن كثير : (هذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى ؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فإن كل رسول نبي ، ولا ينعكس ، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة)[٥] . وأدلة هذا الأصل من السنة كثيرة ؛ منها :-

أ- روى أحمد وغيره بسند صحيح[٦] عن ثوبان رضي الله عنه مرفوعا : (إنه سيكون في أمتي كذابون

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٢٩٥/١ .

(٢) فتح الباري ١٢٨/٦.

(٣) صحيح الجامع الصغير ، ح (١٠٥٨) .

(٤) انظر : النهاية في غريب الحديث ٢٩٥/١ ، ٤٠٧/٣ ، شرح النووي لمسلم ١٧٠/١٣ ، فيض القدير ٥٦٣/١ ، ٥٦٥ .

(٥) تفسير ابن كثير ٢٠٠/٦ (طبعة دار ابن الجوزي) .

(٦) صحيح الجامع الصغير ، ح (١٧٧٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي) .

ب- وروى مسلم بسنده عن جبير بن مطعم ﷺ : أن النبي ﷺ قال : (أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي ؛ الذي يمحى بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب ؛ والعاقب الذي ليس بعده نبي) .

ج- روى الإمام أحمد بإسناد صحيح[١] عن أبي الطفيل ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لا نبوة بعدي إلا المبشرات . قيل : وما المبشرات يا رسول الله ؟ قال : الرؤيا الحسنة ، أو قال : الرؤيا الصالحة) .

د- روى البخاري بسنده عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا ، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ! قال : فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) .

هـ- وروى ابن ماجة وغيره بسند صحيح[٢] عن أبي أمامة ﷺ مرفوعا : (إن الله عز و جل لم يبعث نبيا إلا حذر أمته الدجال ، وأنا آخر الأنبياء ، وأنتم آخر الأمم ، وهو خارج فيكم لا محالة) .

وقد أجمعت الأمة على هذا المعتقد ؛ فكل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ فهو ممن قال الله فيهم : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ ﴾ الأنعام: ٩٣ ؛ يقول الآلوسي : (كونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب ، وصدعت به السنة ، وأجمعت عليه الأمة ؛ فيكفر مدعى خلافه ويقتل إن أصر)[٣] . ولايشكل على ختم النبوة بمحمد ﷺ ماتواترت به الأدلة من نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ؛ لأنه إنما يترل حاكما بشريعة محمد ﷺ ، ومتبعا له ، وحكمه عليه السلام بوضع الجزية إنما هو حكم بشريعة محمد ﷺ ، لا نسخا لشيء من أحكامها ؛ لأن النبي ﷺ شرعها مغياة بترول عيسى عليه السلام[٤] .

---

(١) انظر : إرواء الغليل ٨/١٣٠ .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٧٨٧٥) .

(٣) روح المعاني ٢٢/٤١ .

(٤) انظر : لوامع الأنوار ٢/٢٧٧ ، شرح الجوهرة ، (١٣٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٣- خواتيم سورة البقرة ؛ وهي قوله تعالى : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦ ﴾ البقرة: ٢٨٥ - ٢٨٦ ؛ يقول ابن حجر : (يشير إلى ما حطه الله عن أمته من الإصر وتحميل ما لاطاقة لهم به ، ورفع الخطأ وانسيان)[١] ، وقال الحافظ العراقي : (معناه أنها ادخرت له وكترت له ؛ فلم يؤتها أحد قبله ، وكثير من القرآن مترل من الكتب السابقة باللفظ أو بالمعنى ، وهذه لم يؤتها أحد ، وإن كان فيه أيضا مالم يؤت غيره ، لكن في هذه خصوصية لهذه الأمة ؛ وهي وضع الأمر الذي على من قبل)[٢] . ويحتمل أن يكون المراد مع ذلك مادلت عليه الأحاديث من آثارها العظيمة ؛ فمن قرأهما في ليلة كفتاه ، ومن قرأهما في دار ثلاث ليال لم يقربها شيطان ، وأن المؤمن لا يقرأ جملة طلبية منها إلا أعطي ما اشتملت عليه من المسألة ، ولايقرأ جملة خبرية منها إلا أوتي ثوابها[٣] !

٤- غفران ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢ ﴾ الفتح: ١ - ٢ ؛ يقول ابن كثير : (هذا من خصائصه ﷺ التي لايشاركه فيها غيره ، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر)[٤] ، ومما يدل على اختصاصه ﷺ بهذه الفضيلة حديث الشفاعة المخرج في الصحيح ؛ وفيه : (فيأتون عيسى فيقول : لست هناكم ، ولكن ائتوا محمدا عبدا غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ، قال : فيأتوني ، فأستأذن على ربي في داره ، فيؤذن لي عليه ، فإذا رأيته وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ، فيقول : ارفع محمد ، وقل تسمع ، واشفع تشفع وسل تعطه) ؛ فعلم أن هذه الفضيلة خاصة به دون غيره من الخلق ؛ لأن إنما نال هذه المقام الخاص ؛ لوصف لايشاركه فيه غيره ؛ وهو غفران ماتقدم من ذنبه وماتأخر ! وهذا يدل

---

(١) فتح الباري ٤٣٩/١ .

(٢) نقلا عن فيض القدير ٥٦٦/١ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٣٤٠/١-٣٤٣ ، مرقاة المفاتيح ٤٨٤/٦ ، ٤٨٥ .

(٤) تفسير ابن كثير ٦٦٨/٦ (طبعة دار ابن الجوزي) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

على ضعف ماورد في فضائل بعض الأعمال من الوعد بغفران الذنوب المتقدمة والمتأخرة ؛ وقد صنف ابن حجر كتابا جمع فيه كثيرا من هذه الأحاديث ، وبين مافيها من ضعف في إسنادها أو متنها ، إلا أنه حكم هو وغيره على بعضها بأنه حسن ، أو جيد ؛ كحديث : (من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر) ، وحديث : (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وم تأخر) ، وحديث : (من لبس ثوبا فقال : الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولاقوة غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر)[١] ؛ فهذه الأحاديث إن ثبتت فالظاهر أن معنى الخصوصية في هذه الخصلة كمعناها في قوله : (وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا) ؛ أي أنها له ولأمته دون غيرهم من الأمم . والله أعلم .

٥- تفضيل أمته ﷺ على الأمم ؛ قال تعالى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ آل عمران: ١١٠ ، وقال : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة: ١٤٣ ؛ أي خيارا عدولا[٢] ؛ ولهذه الخيرية سبب ، وشرط ، وحكمة ، وأثر ؛ فالسبب دليله مارواه البزار بإسناد جيد[٣] عن أبي هريرة ﷺ رفعه : (فضلت على الأنبياء بست لم يعطهن أحد كان قبلي الحديث ؛ وفيه : وجعلت أمتي خير الأمم) ، ومارواه الإمام أحمد بسند حسن[٤] عن علي بن أبي طالب ﷺ مرفوعا : (أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ ، فقلنا : يا رسول الله ، ما هو ؟ قال : نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ ، وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا ، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ) ؛ يقول ابن كثير : (إنما حازت هذه الأمة قَصَبَ السَّبْق إلى الخيرات بنبيها محمد ﷺ ؛ فإنه أشرفُ خلق الله ، وأكرم الرسل على الله ، وبعثه الله بشرع كامل عظيم ، لم يُعْطه نبيًّا قبله ، ولا رسولا من الرسل ؛ فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليلُ منه ما لا يقوم

---

(١) انظر : معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة ، ص (٥٢-٥٨ ، ٧٤) ، وانظر : فتح الباري ١١٥/٤ ، ١١٦ ، ٣١٠/١٢ ، ٣١١ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي ١٥٣/٢ ، ١٥٤ ، تفسير ابن كثير ١٩٠/١ ، ١٩١ .

(٣) مجمع الزوائد ٢٧٢/٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٣٩١/١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

العملُ الكثيرُ من أعمال غيرهم مقامه)[١] .

وشرط الخيرية الاستقامة والدعوة ؛ أي الاهتداء في النفس ، والسعي في هداية الناس ؛ كماقال تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾آل عمران: ١١٠ ؛ قال قتـــادة : بَلَغَنَا أن عمر بن الخطاب ﷺ في حجة حجّها رأى من الناس دعة ، فقرأ هذه الآية : كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ؛ ثم قال : من سَرَّه أن يكون من تلك الأمة فَلْيؤدّ شَرْط الله فيها[٢] .

وحكمة تلك الخيرية الشهادة على الناس كما قال الله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ﴾ البقرة: ١٤٣ ؛ فهذه الأمة لفضلها وعدلها جعلها الله تعالى شهيدة على الأمم ؛ وقد وردت نصوص تدل على أن هذه الشهادة تكون في الدنيا والآخرة ؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : (مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ . وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرًّا فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ . قَالَ عُمَرُ : فِدًى لَكَ أَبِي وَأُمِّي ، مُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا خَيْرٌ فَقُلْتَ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ . وَمُرَّ بِجَنَازَةٍ فَأُثْنِيَ عَلَيْهَا شَرٌّ فَقُلْتَ : وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ ، وَجَبَتْ . فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : مَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ، وَمَنْ أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا وَجَبَتْ لَهُ النَّارُ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ) ، وروى البخاري بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ . فَيُقَالُ : لِأُمَّتِهِ هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ ! فَيَقُولُ : مَنْ يَشْهَدُ لَكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ ؛ فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ؛ فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ :وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) ، وروى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح[٣] عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ مرفوعا : (يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي ومعه

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٩١/١ .

(٢) تفسير ابن كثير ٣٩٦/١ . وانظر : حاشية الصاوي على الجلالين ٢٣٠/١ ، ٢٣١ .

(٣) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٨٠٣٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الثلاثة وأكثر من ذلك ، فيقال له : هل بلغت قومك ؟ فيقول : نعم . فيدعى قومه ؛ فيقال لهم : هل بلغكم هذا ؟ فيقولون : لا . فيقال له : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمته ؛ فيدعى محمد وأمته ؛ فيقال لهم : هل بلغ هذا قومه ؟ فيقولون : نعم . فيقال : و ما علمكم بذلك ؟ فيقولون : جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا ، فصدقناه . فذلك قوله : وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

وأما أثر خيرية أمة محمد ﷺ وفضلها على الأمم فسبقهم إلى الجنة ، وأنهم أكثر أهلها ؛ روى مسلم بسنده عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (نَحْنُ الْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ) ، وروى مسلم أيضا بسنده عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) .

٦- الكوثر ؛ قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ الكوثر: ١ – ٣ ؛ وهو على الصحيح[١] نهر في الجنة كما ذهب لذلك ابن عمر وأنس وعائشة وغيرهم ؛ لما رواه البخاري بسنده أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : (بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ ، قُلْتُ : مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ ؟ قَالَ : هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ) ؛ وحوض النبي ﷺ الذي في عرصات القيامة يمد من هذا النهر ؛ روى مسلم بسنده عن عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ :(قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ ؟ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا ، أَلا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنْ الْجَنَّةِ) ، وروى الإمام أحمد بسند حسن[٢] عن حذيفة بن اليمان ﷺ مرفوعا : (وأعطاني الكوثر ؛ فهو نهر من الجنة يسيل في حوضي) .

وبسط الكلام في هذه الخصائص الكبرى طويل جدا ، ولهذا سأكتفي بتفصيل القول في واحدة من أهم هذه الخصائص ؛ وهي عموم الرسالة .

عموم الرسالة

كانت رسالات النبيين خاصة بأقوامهم ، ومن بعث النبي إليهم ؛ قال تعالى : ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ

---

(١) انظر في ذكر الأقوال ومناقشتها : الوعد الأخروي ١/١٢٤-١٢٧ .

(٢) انظر : النهاية لابن كثير ، ص (٢٩٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قَوْمِهِۦ ﴾ الأعراف: ٥٩ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ﴾ النمل: ٤٥ ، وقال : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ يونس: ٧٥ ، ولما بعث سيد المرسلين ﷺ فضله الله تعالى بعموم الرسالة ؛ فأرسله إلى الخلق كافة ؛ العرب والعجم ، والأحمر والأسود ، والجن والإنس ، والأدلة على عموم رسالته ﷺ للثقلين كثيرة ؛ منها :-

١- قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨ .

٢- قوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨ .

٣- قوله تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ الفرقان: ١.

٤- قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ الأنبياء: ١٠٧.

٥- قوله تعالى : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠ .

٦- قوله تعالى : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ الأنعام: ١٩ ؛ أي لأنذركم به ، وأنذر كل من بلغه القرآن من الموجودين وقت نزوله ، ومن سيوجد إلى يوم القيامة[١] .

٧- قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١ ؛ قال علي بن أبي طالب ﷺ : (مابعث الله عز وجل نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ؛ لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه)[٢] .

٨- وقال ﷺ : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ ... الحديث ، وفيه : وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً). رواه مسلم .

٩- وقال ﷺ : (والذي نفس محمد بيده ، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، يهودي ولا نصراني

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٧٨/١ . (طبعة دار التراث بمصر) .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود ١٣٢/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

، ثم يموت و لم يؤمن بالذي أرسلت به ، إلا كان من أصحاب النار) . رواه مسلم .

١٠- وقال ﷺ : (لوكان موسى حيا بين أظهركم ماحل له إلا أن يتبعني) . رواه أحمد بسند حسن[١] ، قال ابن كثير : (الأحاديث في هذا أكثر من أن تحصر ، وهو معلوم من دين الإسلام ضرورة أنه صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى الناس كلهم)[٢] . وفي هذا الأصل القطعي دلالات متعددة ؛ منها :-

الأولى : بطلان مذهب اليهود العيسوية ومن وافقهم من النصارى ؛ فقد زعموا أن محمدا ﷺ إنما هو رسول إلى العرب دون غيرهم من الأمم[٣] ! وزعموا أن في القرآن مايشهد لمقالتهم ؛ كقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يس: ٦ ؛ وقولـــه : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ يوسف: ٢ ؛ فهذا يدل على أن رسالة محمد ﷺ وإنذاره مخصوص بجاهلية العرب دون أهل الكتاب ! ولهذا كان كتابه بلسان العرب ؛ لأنه إنما بعث إليهم دون غيرهم[٤] ! ويبدو أن هذا المعتقد قديم في أهل الكتاب ؛ كما يدل لذلك مارواه البخاري بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما : (أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قبل ابن صياد ، حتى وجده يلعب مع الغلمان ، عند أطم بني مغالة ، وقد قارب يومئذ ابن صياد يحتلم ، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده ، ثم قال النبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله ؟ فنظر إليه ابن صياد فقال : أشهد أنك رسول الأميين) ؛ يقول ابن حجر : (قوله أشهد أنك رسول الأميين فيه إشعار بأن اليهود الذين كان ابن صياد منهم كانوا معترفين ببعثة رسول الله ﷺ ، لكن يدعون أنها مخصوصة بالعرب ! وفساد حجتهم واضح جدا ؛ لأنهم إذا أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب على الله ، فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعين صدقه ، فوجب تصديقه)[٥] . ومما يدل على فساد حجتهم ، وبطلان مذهبهم مع ماذكره ابن حجر الأمور التالية :-

أ- أن استدلالهم بقوله تعالى : ﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾ يس: ٦ ؛ لا يدل على أن

---

(١) انظر : إرواء الغليل ، ح (١٥٨٩) .

(٢) تفسير ابن كثير ٢/٢٥٥ . (طبعة دار التراث بمصر) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٦٧) ، فتح الباري ٦/١٧٣ ،الأسفار المقدسة في الأديان السابقة ، ص (٧٢) .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ١/٩٩-١٠١. (طبعة البيان) .

(٥) فتح الباري ٦/١٧٢ ، ١٧٣ . وانظر : شرح الطحاوية ، ص (١٦٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

رسالته ﷺ خاصة بالعرب ؛ لأن الله تعالى إنما خص العرب بالذكر لأنهم أول المنذرين ، وأحقهم بالإنذار ، لالأن الإنذار مخصوص بهم دون أهل الكتاب ؛ ولهذه الآية نظائر كثيرة من كتاب الله تذكر فيها حكمة الفعل ثم لايلزم من ذلك ألا تكون له حكم أخرى ؛ كقوله تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٣ – ١٩٤ ؛ ومعلوم أنه نزل به لحكم أخرى غير النذارة ؛ كالبشارة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحليل الطيبات ، وتحريم الخبائث ، وغير ذلك من المقاصد[١] .

ب- أن نزول القرآن بلغة العرب لايعني أن رسالة النبي ﷺ خاصة بالعرب ؛ لأن سنة الله تعالى في إنزال الكتب أن تكون بلسان واحد ؛ وهو لسان قوم النبي الذين يخاطبهم أولا ، ثم بعد ذلك تبلغ الكتب لسائر الأمم ؛ ولوكان نزول الكتاب بلسان قوم يقتضي تخصيص الرسالة بهم لكانت التوراة والإنجيل خاصة بمن يتكلم العبرية ؛ لأنها كانت لغة موسى وعيسى عليهما السلام[٢] !

ج- أن نصوص القرآن المحكمة قاطعة في الدلالة على عموم الرسالة للخلق كافة بما في ذلك أهل الكتاب ؛ كقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٥٨ ، وقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ سبأ: ٢٨ ، وقوله : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ ﴾ آل عمران: ٢٠ ؛ ولكن أهل الباطل كعادتهم يتعلقون بالمتشابه ويهملون المحكم !؛ يقول ابن تيمية : (في القرآن من دعوة أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، ومن دعوة المشركين وعباد الأوثان ، وجميع الإنس والجن ، ما لا يحصى إلا بكلفة ، وهذا كله معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، فكيف يقال : إنه لم يذكر أنه بعث إلا إلى العرب خاصة !)[٣] .

د- أن سنة النبي ﷺ وسيرته تدل على شمول رسالته لأهل الكتاب قطعا ؛ فقد بعث كتبه إلى

---

(١) انظر : الجواب الصحيح ١/٢٤٧-٢٥٥ . (طبعة البيان) .

(٢) انظر : الجواب الصحيح ١/٢٨٩-٢٩٩ . (طبعة البيان) . ولهم عن هذا الإلزام أجوبة ؛ تارة يقولون : إن رسل المسيح حولت ألسنتهم إلى ألسنة من أرسل إليهم ، وتارة يقولون : إن ترجمة التوراة والإنجيل معصومة بخلاف القرآن ! انظر في الرد على هذه الشبهات : الجواب الصحيح ١/٢٩٣-٢٩٦ ، ٣٠٣-٣٠٦ . (طبعة البيان) .

(٣) الجواب الصحيح ١/١٩٧. (طبعة البيان) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وغيرهم من ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام ، ولو كانت دعوته خاصة لمادعاهم وشرع جهادهم[١] ؛ يقول ابن تيمية : (نقول .. لمن قال أنه رسول أرسل إلى العرب الجاهلية دون أهل الكتاب : إنه من المعلوم بالضرورة لكل من علم أحواله ؛ بالنقل المتواتر ، الذي هو أعظم تواترا مما ينقل عن موسى وعيسى وغيرهما ، وبالقرآن المتواتر عنه ، وسنته المتواترة عنه ، وسنة خلفائه الراشدين من بعده أنه ﷺ ذكر أنه أرسل إلى أهل الكتاب ؛ اليهود والنصارى ، كما ذكر أنه أرسل إلى الأميين ، بل ذكر أنه أرسل إلى جميع بني آدم ؛ عربهم وعجمهم ؛ من الروم والفرس والترك والهند والبربر والحبشة وسائر الأمم ، بل أنه أرسل إلى الثقلين ؛ الجن والإنس جميعا ، وهذا كله من الأمور الظاهرة المتواترة عنه ، التي اتفق على نقلها عنه أصحابه مع كثرتهم وتفرق ديارهم وأحوالهم ، وقد صحبه عشرات ألوف ، لا يحصى عددهم على الحقيقة إلا الله تعالى ، ونقل ذلك عنهم التابعون ، وهم أضعاف الصحابة عددا ، ثم ذلك منقول قرنا بعد قرن إلى زمننا ، مع كثرة المسلمين وانتشارهم في مشارق الأرض ومغاربها)[٢] .

الثانية : بطلان دعوى عقيدة سقوط التكاليف ، التي دان بها الفلاسفة وغلاة الشيعة والصوفية ؛ فالفلاسفة يعتبرون العبادة مجرد وسيلة لترويض النفس لمعرفة العلم الإلهي[٣] ، فإذا حصل المقصود لم يبق للتأله فائدة [٤] ! وغلاة الشيعة يزعمون أن الإيمان بالإمام كاف في تحقق سعادة الدنيا والآخرة ؛ فمن آمن بإمام الوقت سقطت عنه التكاليف[٥] ! وأما غلاة الصوفية فإنهم يزعمون أن الولي إذا شهد الحقيقة الكونية كان له العمل بمقتضى الكشف لا بمقتضى الشرع ! وتأولوا على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: ٩٩ ؛ ظنا أن المراد باليقين في الآية معرفة الحقيقة الكونية ، وأن لزوم العبادة مغيا بشهودها ؛ فإذا حصل الشهود سقط اللزوم ! كما تعلقوا بقصة موسى والخضر ؛ فزعموا أن الخضر كان مشاهدا للحقيقة الكونية ؛ ولذلك خالف الشرع

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٦٧) .

(٢) الجواب الصحيح ١/١٢٥ . (طبعة البيان) .

(٣) العلم الإلهي ، أو الفلسفة الأولى ، أو علم مابعد الطبيعة كلها عند الفلاسفة أسماء لمسمى واحد ؛ وهو العلم المتعلق بالموجودات المجردة عن المادة ؛ كالعقول العشرة التي تخيلوها ! انظر : المبين ، ص (١٣٠) ، التعريفات ، ص (١٥٦) .

(٤) انظر : مقالات الإسلاميين ، ص (٢٨٩) ، الرسالة الأضحوية ، ص (٩٧-١٠٣) ، الصفدية ٢/٢٣٢-٢٤٠ .

(٥) انظر : دراسة عن الفرق الدينية في تاريخ المسلمين ، ص (١٦٨،١٦٩) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

! وهكذا الولي إذا شاهد الحقيقة الكونية ساغ له الخروج عن الشريعة المحمدية كما ساغ للخضر الخروج عن الشريع الموسوية[١] !

وعقيدة سقوط التكاليف التي جمعت هذه الطوائف تناقض الإيمان بعموم الرسالة لكل مكلف حتى يموت ؛ قال تعالى :﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ الحجر: ٩٩ ؛ أي إلى الموت ؛ كما دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع ؛ يقول ابن كثير : (قال سالم ومجاهد والحسن وقتادة وعبدالرحمن بن زيد وغيرهم اليقين الموت ، والدليل على ذلك قوله تعالى إخبارًا عن أهل النار أنهم قالوا :لم نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون – وقد مات – قالت أم العلاء : رحمة الله عليك أبا السائب ، فشهادتي عليك لقد أكرمك الله . فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك أن الله أكرمه ؟ فقلت : بأبي وأمي يا رسول الله ، فمن ؟ فقال : أما هو فقد جاءه اليقين ، وإني لأرجو له الخير . ويستدل من هذه الآية الكريمة وهي قوله : وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ على أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتا ؛ فيصلي بحسب حاله ، كما ثبت في صحيح البخاري، عن عمران بن حصين، رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ : صَلِّ قائمًا ، فإن لم تستطع فقاعدًا ، فإن لم تستطع فعلى جَنْب . ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة إلى أن المراد باليقين المعرفة ، فمتى وصل أحدهم إلى المعرفة سقط عنه التكليف عندهم . وهذا كفر وضلال وجهل ، فإن الأنبياء عليهم السلام ، كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته ، وما يستحق من التعظيم ، وكانوا مع هذا أعبد الناس ، وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة ! وإنما المراد باليقين هاهنا الموت كما قدمناه)[٢] .

وأيضا فالعبادة هي الغاية التي خلق الثقلان من أجلها ، وهي التي بعث بها الرسل ، وأنزلت بها الكتب ، ووصف الله بها أصفياءه من خلقه ؛ قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ ، وقال : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾النحل: ٣٦ ، وقال :

---

(١) انظر : مقالات الإسلاميين ، ص (٢٨٩) ، مجموع الفتاوى ١٠/١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١١/٤١٧-٤٢٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/٦٦٦ . (باختصار يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص: ٤٥ ، وقال : ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ ﴾ الإسراء: ١ ؛ فعلم أن كمال العبد في تحقيق عبوديته فكيف يتصور خروجه عما خلق له بمعرفة مجردات الفلاسفة التي هي على التحقيق مجرد خيالات في الأذهان لاوجود لها في الواقع ، أوبمعرفة إمام الشيعة الغائب عن الأبصار الحاضر في الأمصار ، أوبمجرد شهود الحقيقة الكونية التي آمن بها البر والفاجر ! سبحانك هذا بهتان عظيم !

وأما قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام فلاحجة فيها على تجويز خروج أحد من الأولياء على الشريعة المحمدية ؛ لأن رسالة ﷺ محمد عامة ، ورسالة موسى عليه السلام خاصة ببني إسرائيل ، ولم يكن مبعوثا إلى الخضر عليه السلام ، ولا كان على الخضر عليه السلام اتباعه . وأيضا فإن مافعله الخضر عليه السلام لم يكن مخالفا لشريعة موسى عليه السلام ؛ ولهذا لما بين له الخضر أسباب مافعل وافقه موسى عليه السلام على ذلك[١] .

الثالثة : الدلالة على وفاة الخضر عليه السلام ؛ لأن كل أحد من الخلق لايسعه بعد بعثة النبي ﷺ إلا الإيمان به ونصرته ؛ فلوكان الخضر عليه السلام حيًّا لما حل له إلا أن يتبع النبي ﷺ ، فيأتيه مؤمنًا مجاهدًا ، وهذا ما لم يحصل قطعًا ؛ إذ لو حصل لنقل نقلاً مستفيضًا ؛ لأنّه من أعظم ما تتوافر الدّواعي على نقله ؛ قال ابن كثير : (المعلوم أنّ الخضر لم ينقل بسند صحيح ولا حسن تسكن النّفس إليه أنّه اجتمع برسولِ الله ﷺ في يوم واحد ، ولم يشهد معه قتالاً في مشهد من المشاهد . وهذا يوم بدر يقول الصَّادق المصدوق فيما دعا به لربّه واستنصره واستفتحه على من كفره : (إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِسْلامِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ) ، وتلك العصابة كان تحتها سادة المسلمين يومئذ وسادة الملائكة ، فلو كان الخضر حيًّا لكان وقوفه تحت هذه الرَّاية أشرف مقاماته وأعظم غزواته . ثُمَّ لو كان باقيًا بعده لكان تبليغه عن رسولِ الله ﷺ الأحاديث النّبويّة والآيات القرآنيّة ، وإنكاره لما وقع من الأحاديث المكذوبة والرِّوايات المقلوبة والآراء البدعيّة والأهواء العصبيّة ، وقتاله مع المسلمين في غزواتهم ، وشهوده جمعهم وجماعاتهم ، وتسديده العلماء والحكّام أفضل ممّا يقال عنه من كنونه في الأمصار ، وجوبه الفيافي والأقطار)[٢] ، وقال ابن حجر : (أقوى الأدلّة

---

(١) انظر : الوعد الأخروي ٢/٨٩٠-٨٩٥ .

(٢) البداية والنهاية ١/٣٣٥ ، ٣٣٦ (باختصار) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

على عدم بقائه عدم مجيئه إلى رسولِ الله ﷺ ، وانفراده بالتّعمير من بين أهل الأعصار المتقدّمة بلا دليل) [١] .

أمَّا ما نقل عن غير الصَّحابة من رؤية الخضر ، أو الاجتماع به ، فليس حجّة على بقائه ؛ لأنّه إمَّا أن يكون كذبًا لا عبرة به ، أو صدقًا ولكن لبّس على صاحبه ؛ قال ابن تَيْمِيَّة : (كلّ من قال إنّه رأى الخضر وهو صادق إمَّا أن يخيّل له في نفسه أنّه رآه ويظن ما في نفسه كان في الخارج كما يقع لكثير من أرباب الرِّياضات ، وإمَّا أن يكون جنيًّا يتصوّر له بصورة إنسان ليضلّه . وهذا كثير جدًّا قد علمنا منه ما يطول وصفه . وإمَّا أن يكون رأى إنسيًّا ظنّ أنّه الخضر وهو غالط في ظنّه ، فإن قال له ذلك الجنيّ أو الإنسيّ : إنّه الخضر فيكون قد كذب عليه ، لا يخرج الصِّدق في هذا الباب عن هذه الأقسام . وأمّا الأحاديث فكثيرة[٢] ؛ ولهذا لم ينقل عن أحد من الصَّحابة أنّه رأى الخضر ولا اجتمع به ؛ لأنّهم كانوا أكمل علمًا وإيمانًا من غيرهم ، فلم يكن يمكن الشيطان التّلبيس عليهم كما لبّس على كثير من العبّاد) [٣] ، وقال ابن كثير : (الرِّوايات والحكايات هي عمدة من ذهب إلى حياته إلى اليوم ، وكلّ الأحاديث المرفوعة ضعيفة جدًّا ، لا يقوم بمثلها حجّة في الدِّين ، والحكايات لا يخلو أكثرها عن ضعف في الإسناد ، وقصاراها أنَّها صحيحة إلى من ليس بمعصوم) [٤] .

الرابعة : معنى عموم رسالة سيد المرسلين ﷺ أن رسالته لجميع الخلق في زمنه ، وفي الزمن الذي بعده إلى يوم القيامة ؛ وهذا هو المعنى المتبادر من أدلة عموم الرسالة ؛ كقوله ﷺ : (وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً) . وقد فهم بعض المتكلمين من ذلك العموم المطلق ؛ أي أن رسالة سيد المرسلين تعم الخلق من لدن آدم إلى يوم القيامة ؛ يقول البيجوري : (التحقيق أنه ﷺ مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة ، لكن باعتبار عالم الأرواح ؛ فإن روحه خلقت قبل الأرواح ، وأرسلها الله لهم

---

(١) الزهر النضر ، ص (١٦٢) .

(٢) أي أنها رويت أحاديث كثيرة في حياة الخضر ، وبقائه حتى يكذب الدجال ، بل روي أن من الصحابة من رآه ، وهذه الأحاديث إما ضعيفة ، أو ثابتة إلى من ليس بمعصوم . انظر : البداية والنهاية ٣٢٦/١ ، ٣٢٩-٣٣٥ ، فتح الباري ٤٣٤/٦-٤٣٧ ، الزهر النضر ، ص (٧٠-٨٢ ، ٩٥-١٦٢) ، أضواء البيان ٢٠٨/٤-٢٢٦ .

(٣) الرد على المنطقيين ، ص (١٨٥) .

(٤) البداية والنهاية ٣٣٤/١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فبلغت الجميع ، والأنبياء نوابه في عالم الأجسام ؛ فهو ﷺ مرسل لجميع الناس من لدن آدم إلى يوم القيامة حتى إلى نفسه ؛ لدخول الجميع تحت قوله : بعثت إلى الخلق كافة ، وقوله تعالى : وما أرسلناك إلى كافة للناس)[١] .

وهذا الرأي ليس ناشئا عن خطأ في فهم دلالة العموم ؛ فإن كافة ككل دلالتها على العموم في كل موضع بحسبه ، ولكنه ناشئ عن القول بقدم الحقيقة المحمدية ؛ أو أولية النبي ﷺ في الخلق والنبوة ؛ وهو ماسنفرد له المسألة التالية .

دعوى أولية النبي ﷺ في الخلق والنبوة .

رأى بعض أهل العلم أنّ النبي ﷺ ليس أفضل الأنبياء فحسب ، بل إنه أوّلهم في الخلق والنبوّة والميثاق[٢] !! واستدلّوا لرأيهم بحديث أبي هريرة ﷺ أنّ رسولَ الله ﷺ سُئل عن قوله : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ؟ قال : (كنت أوّلهم في الخلق وآخرهم في البعث)[٣] ، وبحديث مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ ﷺ قالَ (قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا ؟ قَالَ : وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ)[٤] ، وبحديث ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : (قلتُ : يا رسولَ اللَّه ! متى أُخذ ميثاقك ؟ قال : وآدم بين الرّوح والجسد)[٥] .

وقد غلا بعض الصوفيّة وزعم أنّ الذّات المحمّديّة لم تخلق قبل الأنبياء فحسب ، بل خلقت قبل كلّ الذّوات[٦] ، واحتجّوا على ذلك بحديثين باطلين ، أحدهما : (كنتُ نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين) ، والثّاني : (كنتُ نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين)[٧] . والظاهر أنهم يعنون بذلك قدم

---

(١) شرح الجوهرة ، ص (١٣٥ ، ١٣٦) .

(٢) انظر : تفسير البغوي ٥٠٨/٣ ، المحرر الوجيز ٣٧١/٤ ، زاد المسير ٣٥٥/٦ ، تفسير القرطبي ١٢٧/١٤ ، روح المعاني ١٥٤/٢١ .

(٣) حديث ضعيف ، لاتقوم به حجة . انظر : المقاصد الحسنة ، ح (٣٨٦) ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح (٦٦١) .

(٤) رواه الفريابي وغيره بسند صحيح . انظر : كتاب القدر ، ح (١٧) .

(٥) رواه الطبراني في الكبير ، ح (١٢٤٧٨) . وإسناده ضعيف ؛ لانقطاعه ، وضعف معظم رواته .

(٦) انظر : فصوص الحكم ، ص (٦٣ ، ٦٤) ، الإنسان الكامل ٧٣/٢ ، ٧٤ ، مدخل للتصوف ، ص (١٣١ ، ١٣٢) .

(٧) انظر : المقاصد الحسنة ، ص (٣٨٦) ، كشف الخفا ١٦٩/٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

روحه ﷺ أو حقيقته ؛ لأن حدوث ذاته معلوم بالضّرورة أنّه كان عام الفيل لا حين كان آدم بين الرّوح والجسد ؛ يقول السّبكيّ : (إن قلت النّبوّة وصف لا بُدّ أن يكون الموصوف به موجودًا ، وإنّما يكون بعد أربعين سنة ، فكيف يوصف به قبل وجوده وقبل إرساله ؟ قلت : جاء أنّ الله تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد ؛ فقد تكون الإشارة بقوله : (كنتُ نبيًّا) إلى روحه الشَّريفة ، أو حقيقته ، والحقائق تقصر عقولنا عن معرفتها ، وإنّما يعرفها خالقها ومن أمدّه بنور إلهي)[١] .

ولكي يفهم الحقّ على وجهه في هذه المسألة المهمة لا بُدّ من إيضاح ثلاثة أمور : ــ

أحدها : أنّ البدء بذكر النَّبيِّ ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ ﴾ الأحزاب: ٧ يحتمل أن يكون لأفضليّته ، أو لأنّه المخاطب بالقرآن ؛ ولا يحتمل بوجه أن يكون البدء بذكره لأوّليّته في الخلق أو النبوّة أو أخذ الميثاق ، ولو سلّمنا باحتماله فإنّ الأصول العقديّة لا يجوز أن تبنى على نصّ محتمل[٢] .

والأمر الثّاني : أنّ ما استدلّوا به من أحاديث على أوّليّة النَّبيِّ ﷺ في الخلق والنبوّة والميثاق لا حجّة فيه على إثبات مدّعاهم ؛ لأنّها إما غير صحيحة أو غير صريحة ؛ فحديث : (كنت أوّلهم في الخلق وآخرهم في البعث) لا تقوم به حجّة ؛ لثلاث علل في إسناده ؛ عنعنة الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وضعف سعيد بن بشير ، واختلاف رواته في وصله وإرساله ، وفي رفعه ووقفه[٣] ، قال ابن ابن كثير : (سعيد بن بشير فيه ضعف ، وقد رواه سعيد ابن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً ، وهو أشبه ، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفًا)[٤] . وكأنّ هذه العلل مع نكارة متن الحديث حملت الصغاني وغيره على الحكم عليه بالوضع[٥] .

وحديث ابن عبّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال : (قلتُ : يا رسولَ اللَّه ! متى أُخذ ميثاقك ؟ قال : وآدم بين الرّوح والجسد) لا حجّة فيه على أوّليّة النَّبيِّ ﷺ في الميثاق ؛ لضعف معظم رواته ؛

---

(١) نقلا عن كشف الخفا ٢/١٧٠ .

(٢) الإنصاف بحاشية الكشاف ٣/٢٥٢ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال ٢/١٢٨-١٣١ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح (١١٥) .

(٤) تفسير ابن كثير ٣/٤٦٩ .

(٥) انظر : الفوائد المجموعة ، ص (٣٤٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فعبدان بن أحمد الأهوازي مجهول لا يعرف ، قال الألباني : لم أجد له ترجمة[١] . وزيد بن الحريش الأهوازي مجهول الحال كما قال ابن القطّان ، وقال ابن حبّان : ربما أخطأ[٢] . ويحيى بن كثير أبو النّضر صاحب البصري ضعّفه ابن معين وأبو زرعة وغيرهم[٣] ، وجويبر بن سعيد البلخي له رواية ومعرفة بأيّام النّاس ، وحاله حسن في التّفسير ، لكنه لـيّن في الرِّواية[٤] . والضحّاك بن مزاحم الهلالي ضعّفه القطّان ، ووثّقه الإمام أحمد وابن معين وأبو زرعة والدّارقطنيّ وغيرهم ، إلاّ أنّه لم يثبت له سماع لا عن ابن عبّاس ولا عن غيره من الصَّحابة[٥] ؛ فعلم أنّ الحديث معلول بضعف معظم رواته ، وانقطاع إسناده ، بَلْه مخالفة متنه للرِّوايات الثّابتة في بيان ما خصّ به النَّبيُّ ﷺ وآدم بين الرّوح والجسد ؛ كحديث مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ رضي الله عنه قَالَ : (قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا ؟ قَالَ : وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ)[٦] ؛ فعلم أنّ ما فضّل به آنذاك كتابة نبوّته ، والتّنويه بذكره في الملأ الأعلى لا خلقه وأخذ ميثاقه ؛ وروى ابن أبي عاصم بسنده عن أبي مريم الغسّاني رضي الله عنه قال : (أقبل أعرابيّ حتّى أتى رسولَ اللّه ﷺ فقال : أيّ شيء كان أوّل أمر نبوّتك ؟ قال : أخذ اللّه منّي الميثاق كما أخذ من النّبيين ميثاقهم ، ثُمَّ تلا قوله تعالى : وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا)[٧] ؛ فظاهر الآية والحديث يدلاّن على أنّ ميثاقه كميثاق سائر النبيين في صفته ، وفي وقت حصوله .

وأمّا حديث : (كُنْتُ نَبِيًّا وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ)[٨] فثابت لا شكّ في ذلك ، إلاّ أنّه لا يدلّ يدلّ على أوّليّة النَّبيِّ ﷺ في الخلق والنبوّة ؛ لأنّ المراد بكونه نبيًّا آنذاك الكون القدري الكتابي لا

---

(١) انظر : تحذير الساجد ، ص (٦٨) .

(٢) انظر : الجرح والتعديل ٥٦١/٣ ، لسان الميزان ٥٠٣/٢ ، ٥٠٤ ، سلسلة الأحاديث الضعيفة ، ح (٩٧٠ ، ١٩٤٦) .

(٣) انظر : الجرح والتعديل ١٨٢/٩ ، ١٨٣ ، ميزان الاعتدال ٤٠٣/٤ ، تهذيب التهذيب ٢٦٧/١١ .

(٤) انظر : تهذيب التهذيب ١٢٤/٢ ، التاريخ الكبير ٢٥٧/٢ ، ميزان الاعتدال ٤٢٧/١ .

(٥) انظر : تهذيب التهذيب ٤٥٣/٤ ، ٤٥٤ .

(٦) رواه الإمام أحمد بسند صحيح . انظر : الإصابة ١٨٩/٦ .

(٧) رواه الطبراني بإسناد رجاله ثقات . انظر : مجمع الزوائد ٢٢٧/٨ .

(٨) رواه الفريابي وغيره بسند صحيح . انظر : كتاب القدر ، ح (١٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الكون العيني الشّهودي ؛ كما يدلّ لذلك ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح[١] عن مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ ﷺ قَالَ : (قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا ؟ قَالَ : وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) ، وما رواه الترمذيّ بسند صحيح[٢] عن أبي هريرة ﷺ قال : (قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! مَتَى وَجَبَتْ لَكَ لَكَ النُّبُوَّةُ ؟ قَالَ : وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ) ، وما رواه البغوي بسند حسن[٣] عن العرباض بن بن سارية ﷺ مرفوعًا : (إني عند اللّه مكتوب خاتم النّبيين وإن آدم لمنجدل في طينته) ؛ فدلّ على أنّ المراد الإخبار عن تقدير نبوّته لا عن وجودها الفعليّ ؛ وأنّ ذلك التّقدير قد كان وقت التّقدير العمري لآدم ؛ وهو الّذي يكون بأيدي الملائكة الموكّلين بكتابة المقادير ؛ فإنّ الله تعالى يظهر لهم ما قدّره للمخلوق في أمِّ الكتاب فيكتبون رزقه وأجله وعمله ومآله ؛ وهي سنّة الله تعالى في آدم وذريّته ؛ فقبل أن تنفخ الرُّوح في جسد آدم أُظهر لملائكة الخلق مقاديره وأحواله فكتبوها ، وكتبوا آنذاك أعظم أحوال ذريّته ؛ وهي نبوّة سيّد المرسلين ، وإمام المتّقين ، وخاتم النّبيين ﷺ ، قال ابن تَيْمِيَّة : (التّقدير والكتابة تكون تفصيلاً بعد جملة ؛ فالله تعالى لمّا قدّر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة لم يظهر ذلك التّقدير للملائكة ، ولمّا خلق آدم قبل أن ينفخ الرّوح فيه أظهر لهم ما قدّره كما يظهر لهم ذلك من كلّ مولود ... فكان ما كتبه الله من نبوّة محمّد الّذي هو سيّد ولد آدم بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الرّوح فيه من هذا الجنس)[٤] .

والرِّوايات الصّحيحة الّتي فسّرت كونه ﷺ نبيًّا وآدم بين الرّوح والجسد بالكون القدري الكتابي هي الموافقة لما علم بالضّرورة من أنّ ذات النّبيِّ ﷺ إنّما وجدت عام الفيل ، وأنّ نبوّته إنّما كانت على رأس الأربعين من عمره ، قال تعالى : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ﴾ يوسف: ٣ ، وقال : ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ ﴾ الضحى: ٧ ، وروى البخاريّ بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : (أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا

---

(١) انظر : الإصابة ١٨٩/٦ .

(٢) انظر : تخريج أحاديث مشكاة المصابيح ، ح (٥٧٥٨) .

(٣) انظر : تلخيص الاستغاثة ٦١/١ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٨٧/١٢ ، ٣٨٨ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الصَّالِحَةُ ... الحديث ، وفيه : فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فَقَالَ : اقْرَأْ ، قَالَ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، قَالَ : فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، قُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ ، فَقُلْتُ : مَا أَنَا بِقَارِئٍ ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ : اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ، فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ يَرْجُفُ فُؤَادُهُ) ؛ فلو كان قد وُجِدَ فعلاً ، ونبئ وآدم بين الرّوح والجسد لما كان لهذه الصِّفات والأحوال معنى[١] !

بقي أن أشير إلى أنّ الاستدلال على أوّليّة النَّبيّ ﷺ في الخلق والنبوّة بما هو جار على كثير من الألسنة بلفظ : (كنتُ نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين) ، أو : (كنتُ نبيًّا وآدم لا ماء ولا طين) إنّما هو استدلال بما لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث وليس في شيء من كتب السنّة المعتمدة ، قال السخاوي : (وأمّا الَّذي على الألسنة بلفظ : كنتُ نبيًّا وآدم بين الماء والطِّين فلم نقف عليه بهذا اللّفظ ، فضلاً عن زيادة : وكنتُ نبيًّا ولا آدم ولا ماء ولا طين)[٢] ،وقال العجلوني : (قال الزركشيّ : لا أصل له بهذا اللّفظ ، وقال السيوطي في الدرر : وزاد العوام ولا آدم ولا ماء ولا طين لا أصل له أيضًا)[٣] ؛ ولهذا كان معناه باطلاً عقلاً ؛ فآدم لم يكن بين الماء والطّين قطّ ؛ لأنّ الماء بعض الطّين لا مقابله ، ولكنّه كان بين الرّوح والجسد ؛ وهي الحال الّتي أظهر الله فيها تقدير نبوّة نبيّنا محمَّد ﷺ لملائكة الخلق ؛ فكتبوها وأعلنوها في الملأ الأعلى ، قبل نفخ الرّوح في آدم عليه السلام[٤] .

والأمر الثَّالث : أنّ الزَّعم بأنّ هذه النصوص وما يجري مجراها تدلّ على أوّليّة النَّبيِّ ﷺ على الأنبياء في الخلق والنبوّة كان ذريعة للغلوّ الصوفي الَّذي لم يقف عند دعوى أوّليّته على الأنبياء في الخلق والنبوّة بل تخطّاها لدعوى أوّليّة النَّبيّ ﷺ المطلقة في الخلق ، وأنّ ذاته خُلقت قبل كلّ الذّوات ؛ فقد اتّخذ الحلاّج من هذا الفهم الخاطئ ، ومن أدلّة أخرى مفتراة[٥] حجّة لعقيدته في

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى ١٤٩/٢ ، ٢٨٢/٨ ، ٢٨٣ .

(٢) المقاصد الحسنة ، ص (٣٨٦) .

(٣) كشف الخفا ١٦٩/٢ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ١٤٧/٢ ، ٢٣٨ ، ٣٦٩/١٨ ، تلخيص الاستغاثة ٦٦/١ .

(٥) كحديث أن النبي ﷺ كان نورا يسبح حول العرش ، أو كوكبا يطلع في السماء . انظر :مجموع الفتاوى ٢٣٨/٢ ، ٢٣٩ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أزليّة النّور المحمّديّ ؛ فزعم أنّ للنَّبيِّ حقيقتين ، قديمة ؛ وهي النّور الأزليّ الَّذي كان قبل الأكوان ، والأخرى حادثة ؛ وهي حقيقته باعتباره نبيًّا مرسلاً وجد بمكّة عام الفيل ، ثُمَّ استمدّ علمه وعرفانه من ذلك النّور القديم ؛ إذ هو مصدر علم كلّ نبيّ ، وعرفان كلّ وليّ[١] !!

وهكذا شأن السهروردي وابن عربيّ ؛ فقد زعم السهروردي أنّ الرَّسول هو الأصل في التَّكوين ، والكائنات تبع له[٢]! وزعم ابن عربيّ الطائي أنّ النَّبيّ وإن تأخّر وجود طينته إلاّ أنّه موجود في الأزل بحقيقته ؛ فالحقيقة المحمّديّة وجدت قبل الخلق ، فكان فيها أوّل تعيّنات الحقّ وأكملها[٣] ، وعن هذه الحقيقة صدر الخلق كلّه بحقائقه وعلومه ؛ فمن مشكاة خاتم النّبيين خلق كلّ شيء ، ومن مشكاته استمدّ الأنبياء والأولياء علمهم وعرفانهم[٤] !! فلا فرق في نظره بين الحقّ والخلق ، ولا نبوّة عندهم بوحي يترل من السماء وإنّما هو علم وعرفان يستمدّه النَّبيّ ﷺ من داخل ذاته أو من نوره القديم الذي توهموه !

الإسراء والمعراج

الإسراء والمعراج ثابت بالقرآن ، والسنة المتواترة ، والإجماع ؛ قال تعالى :﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١ ﴾ الإسراء: ١ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ١٤ ﴾ النجم: ١٣ – ١٤ ، وروى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ ، فَوْقَ الْحِمَارِ وَدُونَ الْبَغْلِ ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ ، فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ، ثُمَّ خَرَجْتُ ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ ، فَقَالَ جِبْرِيلُ : اخْتَرْتَ الْفِطْرَةَ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ . قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ:

---

(١) انظر : مدخل للتصوف ، ص (١٣١ ، ١٣٢) .

(٢) انظر : حاشية الخفاجي ٤٠١/٤ .

(٣) ولهذا أطلق على النبي ﷺ لقب الإنسان الكامل ؛ لأنه بزعمه أول مجلى للحق وأكمله !

(٤) انظر : فصوص الحكم ، ص (٦٣ ، ٦٤) ، الإنسان الكامل ٧٣/٢ ، ٧٤ ، مدخل للتصوف ، ص (٢٠٣) . وانظر أيضا : مجموع الفتاوى ١٤٧/٢ ، تلخيص الاستغاثة ٦٥/١ ، ٦٦ ، الإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، ص (١١٢–١٢٤) ، محبة الرسول بين الاتباع والابتداع ، ص (١٨١–١٨٨ ، ٢١٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

مُحَمَّدٌ . قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ ، فَرَحَّبَ بِي ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِابْنَيْ الْخَالَةِ ؛ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، فَرَحَّبَا ، وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ﷺ ، قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ عليه السلام ، إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ ، فَرَحَّبَ ، وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام ، قِيلَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ، قَالَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ جِبْرِيلُ ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ ، قِيلَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ عليه السلام ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ عليه السلام قِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ : مُحَمَّدٌ قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى عليه السلام ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ، فَقِيلَ مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : جِبْرِيلُ ، قِيلَ : وَمَنْ مَعَكَ ؟ قَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ : وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ ، فَفُتِحَ لَنَا ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام ؛ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، لايَعُودُونَ إِلَيْهِ ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَإِذَا وَرَقُهَا كَآذَانِ الْفِيَلَةِ ، وَإِذَا ثَمَرُهَا كَالْقِلال ، فَلَمَّا غَشِيَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا غَشِيَ تَغَيَّرَتْ فَمَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْعَتَهَا مِنْ حُسْنِهَا ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى ، فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَقَالَ : مَا فَرَضَ رَبُّكَ عَلَى أُمَّتِكَ ؟ قُلْتُ:خَمْسِينَ صَلاة ، قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَإِنَّ أُمَّتَكَ لايُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَخَبَرْتُهُمْ ، فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ : يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَى أُمَّتِي ، فَحَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لايُطِيقُونَ ذَلِكَ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ ، فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلاة عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاة ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً ، فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى عليه السلام فَأَخْبَرْتُهُ ، فَقَالَ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ : رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : قَدْ رَجَعْتُ إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ) ، وفي رواية للبخاري : (فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ : بِمَ أُمِرْتَ ؟ قُلْتُ : أُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، قَالَ : إِنَّ أُمَّتَكَ لاتَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ ، وَإِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ ، قَالَ : سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ ، وَلَكِنِّي أَرْضَى وَأُسَلِّمُ ، فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَى مُنَادٍ : أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي) ؛ والأحاديث في شأن الإسراء والمعراج كثيرة جدا ، يقول الحافظ عمر بن دحية : (تواترت الروايات في حديث الإسراء ؛ عن عمر بن الخطاب ، وعلي ، وابن مسعودٍ ، وأبي ذرٍّ ، ومالك بن صعصعة ، وأبي هريرة ، وأبي سعيد ، وابن عباس ، وشداد بن أَوس ، وأبي بن كعب ، وعبد الرحمن بن قرط ، وأبي حبة ، وأبي ليلى الأنصاريين ، وعبد الله بن عمرو ، وجابر ، وحذيفة ، وبُريدة ، وأبي أيوب ، وأبي أُمامة ، وسمرة بن جندب ، وأبي الحمراء ، وصهيب الرومي ، وأم هانىء ، وعائشة ، وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين ؛ منهم من ساقه بطوله ، ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد ، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة ، فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون ، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون)[(١)] .

وفي نصوص الإسراء والمعراج دلالات عظيمة ، وفوائد ومسائل وحكم كثيرة ، منها :-

الأولى : الدلالة على أفضلية نبينا محمد ﷺ على جميع الأنبياء والمرسلين ؛ ونصوص الإسراء والمعراج تدل على ذلك من عدة وجوه ؛ منها :-

١- النص على تفضيل النبي ﷺ على الأنبياء ؛ روى الإمام أحمد وغيره بسند صحيح[(٢)] عن أنس رضي الله عنه : (أن النبي ﷺ أتي بالبراق ليلة أسري به ، مُسْرَجًا ملجمًا ، ليركبه ، فاستصعب عليه ، فقال

---

(١) نقلا عن : تفسير ابن كثير ٤٢/٥ ، ٤٣ (طبعة ابن الجوزي) وانظر : الجواب الصحيح ٦٠٦/٢ ، ٦٠٨ (طبعة البيان) . ويبدو أنه يعني بالزنادقة الفلاسفة ؛ فإنهم ينكرون صعود الأبدان إلى السماء ؛ بحجة أن الجسم الثقيل لايصعد ، وبحجة أن الأفلاك لاتقبل الانشقاق ! وهي حجج ضعيفة نقضها شيخ الإسلام وغيره . انظر : الجواب الصحيح ٦١٣/٢-٦١٥ .

(٢) انظر : صحيح الترمذي ، ح (٢٥٠٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

له جبريل : ما يحملك على هذا ؟ فوالله ما ركبك قط أكرم على الله منه ! فارفضَّ عرقًا) ، وقد ورد في آثار يشد بعضها بعضا أن البراق كان مركب الأنبياء قبل النبي ﷺ ؛ ويؤيد ذلك ماثبت في صحيح مسلم بلفظ : (فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَرَبَطْتُهُ بِالْحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَـــاءُ) ؛ فعلم أن النبي ﷺ أفضل من ركب البراق[١] .

٢- تقديم النبي ﷺ على الأنبياء في الصلاة[٢] ؛ روى مسلم بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال قال قال رسول الله ﷺ : (لقد رأيتني في الحجر ، وقريش تسألني عن مسراي ، فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها ، فكربت كربة ما كربت مثله قط ، فرفعه الله لي أنظر إليه ، ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ، وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء ، فإذا موسى عليه السلام قائم يصلي ، فإذا رجل ضرب جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، وإذا عيسى ابن مريم عليه السلام قائم يصلي ، أقرب الناس به شبها عروة بن مسعود الثقفي ، وإذا إبراهيم عليه السلام قائم يصلي ، أشبه الناس به صاحبكم ، يعني نفسه ، فحانت الصلاة فأممتهم) ، وروى الإمام أحمد بسند صحيح[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (فلما دخل النبي ﷺ المسجد الأقصى قام يصلي ، فإذا النبيون أجمعون يصلون معه) ؛ يقول ابن كثير : (بيت المقدس الذي بإيلياء معدن الأنبياء من لدن إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ولهذا جمعوا له هناك كلهم فأمهم في محلتهم ودارهم ، فدل على أنه هو الإمام الأعظم ، والرئيس المقدم ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين)[٤] . وهل كانت إمامته ﷺ بالأنبياء قبل المعراج أو بعده ؟ جنح ابن حجر للأول ، وابن كثير للثاني[٥] . والله أعلم .

٣- رفع النبي ﷺ ليلة المعراج حتى جاوز منازل الأنبياء في السماء ؛ قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾البقرة: ٢٥٣ ؛ قال ابن تيمية : (الدرجات التي رفعها

---

(١) انظر : فتح الباري ٢٠٦/٧-٢٠٨ .

(٢) ورد في بعض الروايات أن الذي أخذ بيديه ﷺ وقدمه للصلاة على الأنبياء جبريل عليه السلام . انظر : فتح الباري ١٩٩/٧ ، ٢٠٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٢٦/٥ (طبعة دار ابن الجوزي) .

(٤) تفسير ابن كثير ٥/٥ (طبعة دار ابن الجوزي) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٢٩/٥ ، ٤٠ ، فتح الباري ٢٠٩/٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

محمد ليلة المعراج ، وسيرفعها في الآخرة في المقام المحمود ليس لغيره مثله)[١] ؛ وقد ورد في بعض الروايات بيان المنزلة التي بلغها النبي ﷺ ليلة المعراج ؛ روى مسلم بسنده عن ابن مسعود ﷺ قَالَ : (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ[٢] إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنْ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا) ، وروى البخاري بسنده عن أبي ذر ﷺ مرفوعا : (ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأقلام) ، وروى البخاري بسنده عن أنس بن مالك ﷺ : (ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة) ؛ قال ابن القيم : (الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء صريح في أنه دنو الرب وتدليه ، وأما قوله في سورة النجم ثم دنا فتدلى فهو غير الدنو والتدلي في قصة الإسراء ؛ فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه ، كما قالت عائشة وابن مسعود ، والسياق يدل عليه)[٣] ، وإجراء حديث الإسراء على ظاهره لايعني أن ابن القيم ومن وافقه ؛ كابن أبي العز الحنفي يقولان بأن محمدا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج ؛ فإنهما في ذلك على مذهب الجمهور في نفي الرؤية ليلة المعراج ؛ لقوة دلالة النصوص على النفي[٤] ، ولاتناقض في ذلك فإن الدنو لايلزم أن يكون معه رؤية . ورأى بعض أهل العلم أن إثبات هذا الدنو يعني إثبات الرؤية[٥] ؛ ولهذا أنكروا هذا اللفظ ، واعتبروه من من جملة أوهام شريك في هذه الرواية[٦] .

الثانية : في نصوص الإسراء والمعراج دلالة على حكمته ؛ وأنه إنما وقع ليرى النبي ﷺ من آيات

---

(١) الجواب الصحيح ٦٠٨/٢ (باختصار) . (طبعة البيان) .

(٢) ظاهر الأحاديث أنها في السابعة ، وهو الذي يقتضيه وصفها بأنها التي ينتهي إليها علم كل نبي مرسل وملك مقرب . ورأى ابن حجر أنه هذه الرواية لاتعارض باقي الروايات ؛ لجواز أن يكون أصلها في السادسة وفروعها في السابعة . انظر : فتح الباري ٢١٣/٧ .

(٣) زاد المعاد ٣٨/٣ (بتصرف) .

(٤) انظر : زاد المعاد ٣٦/٣-٣٨ ، شرح الطحاوية ، (١٩٦ ، ١٩٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦) .

(٥) انظر : تفسير ابن كثير ٨/٥ ، ٥٩/٧ .

(٦) بلغ بها ابن حجر أكثر من عشرة أوهام . انظر : فتح الباري ٤٨٥/١٣ ، ٤٨٦ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ربه الكبرى ؛ قال تعالى :﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ﴾الإسراء: ١، وقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم: ١٨ ، وروى البخاري بسنده عن ابن مسعود ﷺ : (لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، قال : رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق) ، وروى الإمام أحمد بسند صحيح[١] عن ابن مسعود ﷺ في قوله : (ما كذب الفؤاد ما رأى ، قال : رأى رسول الله ﷺ جبريل في حلة من رفرف ، قد ملأ ما بين السماء والأرض) ، والظاهر أن تفسير الآيات برؤية جبريل عليه السلام على هذه الصفة العظيمة من باب تفسير اللفظ ببعض أفراده ؛ وأن المراد بالآيات كل مارآه في تلك الليلة من الآيات العظام ؛ كالجنة والنار وسدرة المنتهى وغير ذلك مما صرحت به النصوص[٢] ؛ روى البخاري بسنده عن أبي ذر ﷺ مرفوعا : (ثم انطلق حتى أتى بي السدرة المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة ، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ ، وإذا ترابها المسك) ، وروى مسلم بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : (مررت ليلة أسري بي على موسى بن عمران عليه السلام ، رجل آدم طوال جعد ، كأنه من رجال شنوءة ، ورأيت عيسى ابن مريم ، مربوع الخلق ، إلى الحمرة والبياض ، سبط الرأس ، وأري مالكا ، خازن النار ، والدجال في آيات أراهن الله إياه) ، وفي رواية[٣] : (ورأى الدجال في صورته رؤيا عين ليس برؤيا منام) ، وروى الإمام أحمد بسند صحيح[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (ليلة أسري بنبي الله ﷺ دخل الجنة ، فسمع في جانبها وَحشا فقال : يا جبريل ، ما هذا ؟ قال : هذا بلال المؤذن . فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس : قد أفلح بلال ، قد رأيت له كذا وكذا . قال : فلقيه موسى عليه السلام فرحب به ، وقال : مرحبًا بالنبي الأمي ، قال : وهو رجل آدم طويل ، سبط شعره مع أذنيه أو فوقهما ، فقال : من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا موسى . قال : فمضى ، فلقيه عيسى فرحب به ، وقال : من هذا يا جبريل ؟قال : هذا عيسى. قال : فمضى ، فلقيه شيخ جليل متهيب فرحب به وسلم عليه وكلهم يسلم عليه ، قال :

---

(١) انظر : الإسراء والمعراج للألباني ، ص (١٠٣) .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ٥/٥، ٦ ، فتح الباري ٦١١/٨ .

(٣) رواها الإمام أحمد بسند صحيح . انظر : تفسير ابن كثير ٢٦/٥ ، ٢٧ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير ٢٦/٥.

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

من هذا يا جبريل ؟ قال : هذا أبوك إبراهيم ، قال: ونظر في النار، فإذا قوم يأكلون الجيف ، قال : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحم الناس، ورأى رجلا أحمر أزرق جدًا ، قال : من هذا يا جبريل ؟ قال: هذا عاقر الناقة) ؛ وروى الإمام أحمد أيضا بسند حسن[(١)] عن حذيفة ﷺ مرفوعا : (ففتحت لنا أبواب السماء ، ورأيت الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع) ، ولهذه النصوص نظائر كثيرة تفسر وتبين ما رأى نبينا ﷺ ليلة المعراج ، وليس في شيء منها مايدل على أنه رأى ربه عيانا ، وهذا يدل على صحة مذهب الجمهور في نفي الرؤية البصرية ليلة المعراج ؛ وأن النبي إنما رأى من آيات ربه و لم ير ربه بعينه ؛ كما قال تعالى :﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾الإسراء: ١، وقال : ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم: ١٨ ، يقول ابن كثير : (بهاتين الآيتين استدل من ذهب من أهل السنة أن الرؤية تلك الليلة لم تقع ؛ لأنه قال : لقد رأى من آيات ربه الكبرى ، ولو كان رأى ربه لأخبر بذلك ولقال ذلك للناس)[(٢)] . وقد سأل أبوذر النبي ﷺ : هل رأيت ربك ؟ فقال : نور أنى أراه ، وفي رواية : رأيت نورا[(٣)] ! والظاهر أنه نور الحجاب الذي حال بينه وبين رؤية الله تعالى عيانا[(٤)]، كما نبه لذلك الإمام مسلم في الرواية التي ذكرها بعد هاتين الروايتين بلفظ : (حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجههماانتهى إليه بصره من خلقه)[(٥)] ، يقول ابن القيم : (أما قول ابن عباس رضي الله عنهما في الرؤية ليلة المعراج فإن كان استناده إلى قوله تعالى : ولقد رآه نزلة أخرى ، والظاهر أنها مستنده فقد صح عنه أن هذا المرئي جبريل ؛ رآه مرتين في صورته التي خلق عليها)[(٦)] .

الثالثة : الإسراء والمعراج وقعا يقظة بعد البعثة ، في ليلة واحدة ، ، بجسد النبي ﷺ وروحه ، وإلى

(١) انظر : الإسراء والمعراج للألباني ، ص (٦١ ، ٦٣) .
(٢) تفسير ابن كثير ٦٦/٧ (طبعة ابن الجوزي) .
(٣) صحيح مسلم ، ح (٢٩١ ، ٢٩٢) .
(٤) انظر : شرح الطحاوية ، ص (١٩٧) .
(٥) صحيح مسلم ، ح (٢٩٣) .
(٦) زاد المعاد ٣٨/٣ (بتصرف) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

هذا ذهب الجمهور ، وتواردت عليه ظواهر الاخبار الصحيحة[١] ؛ يقول ابن كثير : (مضمون ما اتفقت عليه الأحاديث في مسرى رسول الله ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ، وأنه مرة واحدة ، وإن اختلفت عبارات الرواة في أدائه ، أو زاد بعضهم فيه أو نقص منه ، فإن الخطأ جائز على من عدا الأنبياء ، عليهم السلام . ومن جعل من الناس كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة فأثبت إسراءات متعددة فقد أبعد وأغرب . وكان الإسراء قبل الهجرة بسنة ، والحق أنه عليه السلام أسري به يقظة لا منامًا ، من مكة إلى بيت المقدس ، راكبًا البراق ، فلما انتهى إلى باب المسجد ربط الدابة عند الباب ، ودخله فصلى في قبلته تحية المسجد ركعتين ، ثم أتى بالمعراج ؛ وهو كالسلم ذو درج يرقى فيها [٢]، فصعد فيه إلى السماء الدنيا ، ثم إلى بقية السماوات السبع .

ثم اختلف الناس هل كان الإسراء ببدنه عليه السلام وروحه ؟ أو بروحه فقط ؟ على قولين ؛ فالأكثرون من العلماء على أنه أسري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا ، ولا ينكر أن يكون رسول الله ﷺ رأى قبل ذلك منامًا ، ثم رآه بعده يقظة ؛ لأنه كان عليه السلام لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ؛ والدليل على هذا قوله عز وجل : سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ؛ فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام ، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ، ولم يكن مستعظمًا ، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه ، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم .

وأيضًا فإن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد ، وقد قال عز شأنه : أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلا . وقد قال تعالى : وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ؛ قال ابن عباس رضي الله عنهما : هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به . وقال تعالى : مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ؛ والبصر من آلات الذات لا الروح . وأيضًا فإنه حمل على البراق ، وهو دابة بيضاء براقة لها لمعان ، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح ؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه ، والله أعلم .

وقال آخرون: بل أسري برسول الله ﷺ بروحه لا بجسده . قال محمد بن إسحاق بن يسار في

---

(١) انظر : زاد المعاد ٣/ ٣٤ ، ٤٢ ، فتح الباري ١٩٧/٧ ، ١٩٨ ، ٢١٨ ، تفسير ابن كثير ٩/٥ ،

(٢) الإسراء كان على البراق ، وأما صعود السماء فكان على المعراج ، كما وقع مصرحا به في بعض الأحاديث عند البيهقي وغيره ، وفي رواية ابن إسحق : لما فرغت مما كان في بيت المقدس أتي بالمعراج ، فلم أر قط شيئا أحسن منه . وقد ذكر ابن حجر أنه السلم ؛ وهي عبارة قريبة من عبارة ابن كثير . انظر : فتح الباري ٢٠٨/٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

السيرة : حدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ؛ أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال : كانت رؤيا من الله صادقة . وحدثني بعض آل أبي بكر أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : ما فقد جسد رسول الله ﷺ ، ولكن أسري بروحـــه)[١] .

الرابعة : مما تقدم الإسراء من الإرهاصات شق صدر النبي ﷺ من نحره إلى مراق بطنه ؛ لغسل قلبه بماء زمزم ، وملئه بالإيمان والحكمة ؛ روى البخاري بسنده عن مالك بن صعصعة ﷺ أن نبي الله ﷺ حدثه عن ليلة أسري به قال : (بينما أنا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجعا إذ أتاني آت فقد – قال وسمعته يقول فشق[٢] – ما بين هذه إلى هذه – فقلت للجارود[٣] وهو إلى جنبي ما يعني به ؟ قال من ثغرة نحره إلى شعرته ، وسمعته يقول من قصه[٤] إلى شعرته فاستخرج قلبي ، ثم أتيت بطست من ذهب ؛ مملوءة إيمانا ، فغسل قلبي ، ثم حشي ثم أعيد) ؛ وفي رواية لمسلـــم : (فاستخرج قلبي ، فغسل بماء زمزم ، ثم أعيد مكانه ، ثم حشي إيمانا وحكمة) ، وفي رواية للبخاري[٥] : (فَشَقَّ جِبْرِيلُ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَى لَبَّتِهِ حَتَّى فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّى أَنْقَى جَوْفَهُ ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ يَعْنِي عُرُوقَ حَلْقِهِ ثُمَّ أَطْبَقَهُ) ؛ يقول ابن حجر : (استنكر بعضهم وقوع شق الصدر ليلة الإسراء ؛ وقال : إنما كان ذلك وهو صغير ، في بني سعد ، ولا إنكار في ذلك ، فقد تواردت الروايات به ، وثبت شق الصدر أيضا عند البعثة ، كما أخرجه أبو نعيم في الدلائل ، ولكل منهما حكمة ؛ فالأول وقع فيه من الزيادة كما عند مسلم من حديث أنس : فأخرج علقة ، فقال : هذا حظ الشيطان منك ، وكان هذا في زمن الطفولية ، فنشأ على أكمل الأحوال من العصمة من الشيطان ، ثم وقع شق الصدر عند البعث ، زيادة في إكرامه ؛ ليتلقى ما يوحى إليه بقلب قوي في أكمل الأحوال من التطهير ، ثم وقع شق الصدر عند إرادة العروج إلى

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٤٠، ٤١ (باختصار وتصرف يسير) . وانظر : فتح الباري ٧/٢١٨ .

(٢) القائل قتادة والمقول عنه أنس . انظر : فتح الباري ٧/٢٠٤ .

(٣) يقول ابن حجر : لم أر من نسبه من الرواه ، ولعله ابن أبي سبرة البصري ، صاحب أنس . فتح الباري ٧/٢٠٤ .

(٤) بفتح القاف وتشديد المهملة ؛ أي رأس صدره . فتح الباري ٧/٢٠٤ .

(٥) صحيح البخاري ، ح (٧٥١٧) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

السماء ، ليتأهب للمناجاة ، ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما تقرر في شرعه ﷺ . قال القرطبي في المفهم : لا يلتفت لإنكار الشق ليلة الإسراء ؛ لأن رواته ثقات مشاهير)[١] ، ويقول : (اختلف هل كان شق صدره وغسله مختصا به أو وقع لغيره من الأنبياء ، وقد وقع عند الطبراني في قصة تابوت بني إسرائيل أنه كان فيه الطست التي يغسل فيها قلوب الأنبياء ، وهذا مشعر بالمشاركة)[٢] .

الخامسة : في قصة الإسراء والمعراج دلالة على عظم شأن الصلاة ؛ حيث فرضت على النبي ﷺ بلاواسطة ؛ وهو في أعلى المقامات ؛ والظاهر أن الذي فرض ليلة الإسراء الصلوات الخمس لاأصل الصلاة ؛ لأن الصلاة كانت مفروضة من أول البعثة ، وكانت ركعتين بالغداة ، وركعتين بالعشي[٣] .

السادسة : في نصوص الإسراء والمعراج دلالة على كثير من العقائد ؛ ومن ذلك مايلي :-

١- الدلالة على صدق النبي ﷺ فيما أخبر به ، وقد ظهر هذا البرهان لقريش لما أخبرهم بمسراه إلى بيت المقدس ، فقد اختبروا صدقه اختبارا عسيرا ؛ فسألوه عن نعت بيت المقدس ، وفيهم من قد سافر إلى ذلك البلد ، ورأى المسجد ، فنعته لهم نعت من يراه بعينه ، وكان ذلك آية على صدق مسراه ، وآية على صدقه فيما لا يمكنهم معرفته من معراجه ، ولعل هذا من حكم الإسراء به إلى بيت المقدس قبل أن يعرج به إلى السماء[٤] ؛ روى البخاري بسنده عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : (لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ ، فَجَلَا اللَّهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ) ، وروى مسلم بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَقَدْ رَأَيْتُنِي فِي الْحِجْرِ ، وَقُرَيْشٌ تَسْأَلُنِي عَنْ مَسْرَايَ ، فَسَأَلَتْنِي عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ لَمْ أُثْبِتْهَا ، فَكُرِبْتُ كُرْبَةً مَا كُرِبْتُ مِثْلَهُ قَطُّ ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ لِي

---

(١) فتح الباري ٢٠٤/٧ ، ٢٠٥ (باختصار) .

(٢) فتح الباري ٢٠٦/٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير ٤٠/٥ ، فتح الباري ٢٠٣/٧ ، ٢١٦ ، شرح الطحاوية للبراك ، ص (١٥٠) .

(٤) انظر : الجواب الصحيح ٦٠٧/٢ ، شرح الطحاوية ، ص (٢٢٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إلا أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ) ، وروى الإمام أحمد بسند حسن[١] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (لَمَّا كَانَ لَيْلَةُ أُسْرِيَ بِي ، وَأَصْبَحْتُ بِمَكَّةَ ، فَظِعْتُ بِأَمْرِي ، وَعَرَفْتُ أَنَّ النَّاسَ مُكَذِّبِيَّ ، فَقَعَدَ مُعْتَزِلا حَزِينًا ، فَمَرَّ عَدُوُّ اللَّهِ أَبُو جَهْلٍ ، فَجَاءَ حَتَّى جَلَسَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ كَالْمُسْتَهْزِئِ : هَلْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ . قَالَ : مَا هُوَ ؟ قَالَ : إِنَّهُ أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قَالَ : إِلَى أَيْنَ ؟ قَالَ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ! قَالَ : نَعَمْ . فَلَمْ يُرِ أَنَّهُ يُكَذِّبُهُ ، مَخَافَةَ أَنْ يَجْحَدَهُ الْحَدِيثَ إِذَا دَعَا قَوْمَهُ إِلَيْهِ ، قَالَ : أَرَأَيْتَ إِنْ دَعَوْتُ قَوْمَكَ تُحَدِّثُهُمْ مَا حَدَّثْتَنِي ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : نَعَمْ . فَقَالَ : هَيَّا مَعْشَرَ بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ ! فَانْتَفَضَتْ إِلَيْهِ الْمَجَالِسُ ، وَجَاءُوا حَتَّى جَلَسُوا إِلَيْهِمَا ، قَالَ : حَدِّثْ قَوْمَكَ بِمَا حَدَّثْتَنِي ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : إِنِّي أُسْرِيَ بِي اللَّيْلَةَ ، قَالُوا : إِلَى أَيْنَ ؟ قُلْتُ : إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، قَالُوا ثُمَّ أَصْبَحْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنَا ! قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَمِنْ بَيْنِ مُصَفِّقٍ ، وَمِنْ بَيْنِ وَاضِعٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ ، مُتَعَجِّبًا لِلْكَذِبِ زَعَمَ ، قَالُوا : وَهَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَنْعَتَ لَنَا الْمَسْجِدَ ؟ وَفِي الْقَوْمِ مَنْ قَدْ سَافَرَ إِلَى ذَلِكَ الْبَلَدِ ، وَرَأَى الْمَسْجِدَ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : فَذَهَبْتُ أَنْعَتُ ، فَمَا زِلْتُ أَنْعَتُ ، حَتَّى الْتَبَسَ عَلَيَّ بَعْضُ النَّعْتِ ، قَالَ : فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ ، وَأَنَا أَنْظُرُ ، حَتَّى وُضِعَ دُونَ دَارِ عِقَالٍ أَوْ عُقَيْلٍ ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ ، قَالَ : وَكَانَ مَعَ هَذَا نَعْتٌ لَمْ أَحْفَظْهُ ، فَقَالَ الْقَوْمُ أَمَّا النَّعْتُ فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَصَابَ !) .

٢- الدلالة على صفة العلو ؛ فلو كان الله في كل مكان ، أو كانت الأمكنة بالنسبة إليه سواء لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء ، ثم علا به جبريل إلى الجبار[٢] ، ولما تردد النبي ﷺ بين موسى عليه السلام وبين ربه عز وجل بسبب تخيف الصلاة ؛ فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرار ؛ ولهذا كان المعراج من جملة أدلة السلف على علو الذات التي لو بسطت لبلغت نحو ألف دليل[٣] .

٣- الدلالة على صفة الكلام ، وأن الله تعالى أكرم نبيه محمدا ﷺ فكلمه ليلة المعراج بلا واسطة[٤]

---

(١) انظر : فتح الباري ١٩٩/٧ . وقد صححه الألباني وغيره . انظر : الإسراء والمعراج ، ص (٨٢) ، تخريج حكمت بشير لتفسير ابن كثير ٢٨/٥ .

(٢) هذه الجملة قطة من حديث راه البخاري من طريق أنس . ح (٧٥١٧) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٢٢٦ ، ٢٨٥ -٢٨٨) .

(٤) انظر : فتح الباري ٢١٦/٧ ، شرح البراك للطحاوية ، ص (١٥٠) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

؛ روى مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (أُتِيتُ بِالْبُرَاقِ ... الحديث ، وفيه : فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عليه السلام حَتَّى قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ، لِكُلِّ صَلاةٍ عَشْرٌ ، فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلاةً ، وَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا ، فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً) .

٤- أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان ، وليستا كما زعمت المعتزلة أنهما إنما تخلقان يوم القيامة[١] ؛ روى مسلم بسنده عن أَبِي ذَرٍّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (فُرِجَ سَقْفُ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عليه السلام فَفَرَجَ صَدْرِي ، ثُمَّ غَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا فَأَفْرَغَهَا فِي صَدْرِي ، ثُمَّ أَطْبَقَهُ ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ ... الحديث ، وفيه : ثُمَّ انْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى نَأْتِيَ سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ لاأَدْرِي مَا هِيَ ، ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ) ، وروى الإمام أحمد أيضا بسند حسن[٢] عن حذيفة ﷺ مرفوعا : (ففتحت لنا أبواب السماء ، ورأيت الجنة والنار ، ووعد الآخرة أجمع) .

٥- أن الجنة مآل أصحاب الكبائر ، وإن أصابهم قبل ذلك ما أصابهم ؛ خلافا للوعيدية الذين قطعوا بخلودهم في النار[٣] ؛ روى مسلم بسنده عن ابن مسعود ﷺ قَالَ : (لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنْ الأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا ... فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَسَلَّمَ ثَلاثًا ، أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ) ؛ والمقحمات هي الكبائر[٤] .

٦- أن حادثة الإسراء والمعراج كانت ابتلاء واختبارا عظيما للناس ؛ فمنهم من زادته يقينا وثباتا

---

(١) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٤٢٠-٤٢٤) ، فتح الباري ٢١٨/٧ .

(٢) انظر : الإسراء والمعراج للألباني ، ص (٦١ ، ٦٣) .

(٣) انظر : شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٣١٧-٣٢٣) .

(٤) انظر : فتح الباري ٢١٧/٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

، ومنهم من لم تحتمله عقولهم فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه[١] ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ الإسراء: ٦٠ ، قال ابن عباس : (هي رؤيا عين أريها رسول الله ليلة أسري به إلى بيت المقدس)[٢] ، وروى الحاكم وغيره بسند صحيح[٣] عن عائشة رضي الله عنها قالت : (لما أسري بالنبي ﷺ إلى المسجد الأقصى ؛ أصبح يتحدث الناس بذلك ، فارتد ناس ممن كانوا آمنوا به وصدقوه ، وسعوا بذلك إلى أبي بكر ﷺ ، فقالوا : هل لك إلى صاحبك ؛ يزعم أنه أسري به الليلة إلى بيت المقدس ؟ قال : أو قال ذلك ؟ قالوا : نعم . قال : لئن كان قال ذلك لقد صدق . قالوا : أو تصدقه أنه ذهب الليلة إلى بيت المقدس وجاء قبل أن يصبح ؟ قال : نعم ؛ إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك ؛ أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روحة ؛ فلذلك سمي أبو بكر ﷺ الصديق) .

بشرية الرسول ﷺ

هذه النصوص ونظائرها مما يدل على أفضلية نبينا محمد ﷺ على سائر الأنبياء والمرسلين ، وأنه أكرم الخلق على الله[٤] لاتدل بحال على أن النبي ﷺ خرج عن نطاق البشرية ، أو أن له شيئا من معاني الربوبية وحقوق الألوهية ؛ وقد دلت النصوص على هذا الأصل بطرق متنوعة ؛ منها :-

١- النص على بشرية الرسول ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال :﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ﴾ فصلت: ٦ ، وقال :﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ الإسراء: ٩٣ .

٢- أن النبي ﷺ تلحقه الخصائص البشرية ؛ فتخفى عليه بعض الأمور ، وينسى ، ويغضب ، ويمرض ؛ روى البخاري بسنده عن أم سلمة رضي الله عنها مرفوعا : (إنما أنا بشر ، وإنه يأتيني الخصم ، فلعل بعضكم أن يكون أبلغ من بعض ، فأحسب أنه صدق ، فأقضي له بذلك ؛ فمن

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٥/٩٢ .

(٢) صحيح البخاري ، ح (٣٨٨٨) .

(٣) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٣٠٦) .

(٤) ثبت ذلك بسند صحيح إلى عبدالله بن سلام ﷺ . انظر : تخريج الألباني لشرح الطحاوية ، ح (٣٥١) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو فليتركها) ، وروى مسلم بسنده عن رافع بن خديج ﷺ قال : (قدم نبي الله ﷺ المدينة ، وهم يأبرون النخل ، يقولون يلقحون النخل ، فقال ما تصنعون ، قالوا كنا نصنعه ، قال : لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا ، فتركوه فنفضت أو فنقصت ، قال : فذكروا ذلك له فقال : إنما أنا بشر ، إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر) ، وروى مسلم بسنده عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا : (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني) ، وروى مسلم بسنده أنس بن مالك ﷺ مرفوعا : (يا أم سليم ، أما تعلمين أن شرطي على ربي ، أني اشترطت على ربي فقلت : إنما أنا بشر ، أرضى كما يرضى البشر ، وأغضب كما يغضب البشر ؛ فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة ، يقربه بها منه يوم القيامة) ، وروى مسلم بسنده عن زيد بن أرقم ﷺ رفعه : (ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم ثقلين ، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ، فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال وأهل بيتي ؛ أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي) .

٣- أن معاني الربوبية كلها لله وحده ؛ ليس لسيد المرسلين ﷺ ولا لغيره من المقربين شرك في شيء منها ؛ قال تعالى : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ٥٠ ﴾ الأنعام: ٥٠ ، وقال : ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ، وقال : ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ٢٨ ﴾ الجن: ٢٦ - ٢٨ ، وقال : ﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٩ ﴾ الأحقاف: ٩ .

٤- النص على أن حقوق الإلهية حق للخالق وحده ، وليس لأحد من الخلق شيء منها ؛ قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ النساء: ٣٦ ، وقال : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩ ، وقال : ﴿ مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡ ﴾ المائدة: ١١٧، وقال ﷺ : (حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا) ، رواه مسلم .

٥- النص على أن النبي ﷺ لم يخرج عن وصف العبودية حتى في أعلى مقاماته ؛ كالتنزيل ، والدعوة إلى الله ، والإسراء والمعراج ؛ قال تعالى : ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

﴿ ١ ﴾ الفرقان: ١ ، وقال : ﴿ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ ﴾ الجن: ١٩ ، وقال : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ الإسراء: ١ ؛ وهكذا شأن سائر النبيين ، كلهم عباد لله تعالى ؛ وبتحقيق العبودية علت درجاتهم في الدنيا والآخرة ؛ قال تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ الصافات: ٧٩ – ٨١ ، وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ ص: ٤٥ ، وقال : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ ص: ٤١ ، وقال : ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ ص: ٣٠ ؛ وقال : ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ ﴾ الزخرف: ٥٩ ؛ يقول ابن أبي العز الحنفي : (كلما ازداد العبد تحقيقا للعبودية ازداد كماله ، وعلت درجته ، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه وأن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم)[١] .

وكلما نظر العبد في نصوص القرآن والسنة ازداد يقينه بهذا الأصل الأصيل ؛ وأن الرسل من أولهم إلى آخرهم لم يخرجوا بما حباهم الله تعالى من الفضائل عن نطاق البشرية ، وإنما علت بذلك درجاتهم في مقام العبودية ، وكان أعلاهم في هذا المقام سيد المرسلين ﷺ ؛ وبذلك استحق التقديم على الخلائق في الدنيا والآخرة[٢] . ولهذا الأصل العظيم دلالات كثيرة ؛ منها :-

١ – أن تكوين النبي ﷺ تكوين بشري ، وليس له تكوين نوراني أزلي ، يستمد منه وحي الأنبياء وعرفان الأولياء ، كما زعم الحلاج ومن سار في ركابه[٣] ! وكذلك ليس هو الأصل في التكوين والكائنات تبع له ، كما زعم السهروردي[٤] ؛ وإنما هو من سلالة نوح وإبراهيم التي خصها الله بالنبوة والكتاب ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ الحديد: ٢٦، وقال عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ العنكبوت: ٢٧ ؛ قال ابن كثير : (هذه خلعة سنية عظيمة ، مع اتخاذ الله إياه خليلا وجعله للناس إماما ، أن جعل في ذريته النبوة والكتاب ، فلم يوجد نبي بعد إبراهيم عليه السلام ، إلا وهو من سلالته ، فجميع أنبياء بني إسرائيل من سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، حتى كان آخرهم عيسى ابن مريم ، فقام في ملئهم مبشرا بالنبي

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٤٩) .

(٢) انظر : مدارج السالكين ١٠٢/١ ، ٢٩/٣ ، ٣٠ ، شرح العقيدة الطحاوية ، ص (١٤٩) .

(٣) انظر : مدخل للتصوف ، ص (١٣١ ، ١٣٢) .

(٤) انظر : حاشية الخفاجي على البيضاوي ٤٠١/٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

العربي القرشي الهاشمي ، خاتم الرسل على الإطلاق ، وسيد ولد آدم في الدنيا والآخرة ، الذي اصطفاه الله من صميم العرب العرباء ، من سلالة إسماعيل بن إبراهيم ، عليهم السلام ، ولم يوجد نبي من سلالة إسماعيل سواه ، عليه أفضل الصلاة والسلام)[١] . وإذا كان أكرم الخلق بشري التكوين فغيره من الخلق من باب أولى ؛ خلافا لمايردده الشيعة من أن الأئمة الإثني عشر مخلوقون من نور الله ، وأنهم كانوا قبل خلق العالم أنوارا محدقة بالعرش[٢] !

٢- أن النبي ﷺ لايعلم شيئا من الغيب إلا بقدر مايعلمه الله عزوجل ، خلافا لمن زعم أنه يعلم مافي غد ، أوأنه يعلم مفاتح الغيب كلها[٣]؛ قال تعالى : ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ الأنعام: ٥٩ ، وروى مسلم[٤] بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : (مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ – أي النبي ﷺ – يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ ، وَاللَّهُ يَقُولُ : قُلْ لايَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إلا اللَّهُ) . وهذا الأصل يدل بطريق الأولى على بطلان دعوى اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ ؛ يقول الآلوسي : (لم يسمع عن النبي ﷺ وهو هو أنه نظر يوما وهو بين أصحابه إلى اللوح المحفوظ ، واطلع على شيء مما فيه ، وقال لهم : إني رأيت اللوح المحفوظ ، واطلعت على كذا وكذا فيه ، وكذلك لم يسمع عن أجلة أصحابه الخلفاء الراشدين أنه وقع لهم ذلك ، وقد وقعت بينهم مسائل اختلفوا فيها ، وطال نزاعهم في تحقيقها إلى أن كاد يغم هلال الحق فيها ، ولم يراجع أحد منهم لكشفها اللوح المحفوظ . وذكر بعض العلماء أن سدرة المنتهى ينتهي علم من تحتها إليها ، وأن اللوح فوقها بكثير ، وبكل من ذلك نطقت الآثار ، وهو يشعر بعدم اطلاع الأولياء على اللوح ، ومع هذا كله من ادعى وقوع الأطلاع فعليه البيان ، وأنى به !)[٥] .

٤- أن النفع والضر بيد الله وحده ؛ وهذا يستلزم أن يكون الله وحده مقصد كل عبد في دعائه

---

(١) تفسير ابن كثير ٥٨/٦ .

(٢) انظر : دراسة عن الفرق الدينية في تاريخ المسلمين ، ص (١٩٧-٢٠٣) .

(٣) انظر : حاشية الصاوي ٣٥/٤ .

(٤) صحيح مسلم ، ح (٢٨٧) .

(٥) روح المعاني ١٦٣/٢٧ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وعباداته ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ يونس: ١٠٧ ؛ وقال : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ؛ قال ابن سعدي : (هذه الآيات الكريمات مبينة جهل من يقصد النبي ﷺ ويدعوه ؛ لحصول نفع أو دفع ضر ؛ فإنه ليس بيده شيء من الأمر ، ولا ينفع من لم ينفعه اللّه ، ولا يدفع الضر عمن لم يدفعه اللّه عنه ، ولا له من العلم إلا ما علمه اللّه تعالى ، وإنما ينفع من قبل ما أرسل به من البشارة والنذارة ، وعمل بذلك ، فهذا نفعه ﷺ الذي فاق نفع الآباء والأمهات ، والأخلاء والإخوان ؛ بما حث العباد على كل خير ، وحذرهم عن كل شر ، وبينه لهم غاية البيان والإيضاح)[1] .

٥- أن النبي ﷺ حي في قبره حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء بكثير ، ولكنها ليست حياة حقيقية كما يتوهم أولئك الذين يقفون عند قبره ﷺ ؛ مستشفعين به عند الله في غفران الذنوب ، وتفريج الكروب ؛ وربما تجاوز بعضهم الاستشفاع إلى دعاء النبي ﷺ من دون الله تعالى ؛ يقول ابن الآلوسي : (احتجوا بحياة الأنبياء عليهم السلام ؛ ليتوصلوا بذلك لترويج استحسان دعائهم ، وطلب إغاثتهم ، وأولوا ذلك بأن مرادهم الاستشفاع ؛ أي طلب الدعاء منهم ؛ لأنهم إذا كانوا أحياء فلامانع من ذلك ! فنقول : القول بحياتهم ثابت بالأحاديث الصحيحة ؛ فنعتقد حياتهم عليهم الصلاة والسلام ؛ حياة برزخية فوق حياة الشهداء ، ونعتقد أن الأرض لاتأكل أجسادهم الشريفة ؛ للأحاديث الواردة في ذلك ؛ كقوله ﷺ : (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء) . ولكننا نمنع أن يطلب منهم شيء ؛ فلايسألون شيئا بعد وفاتهم ؛ سواء كان بلفظ الاستغاثة أو الاستشفاع أو غير ذلك ؛ لأن جميع ذلك من وظائف الألوهية فلايليق بمن يتصف بالعبودية . فإن تعلق أحد بقوله ﷺ : (الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون) ، وقال : إنه يدل على أن حياتهم حقيقية ؛ لأن الأصل حمل الألفاظ على حقائقها ، و لم تثبت قرينة على التجوز ؟ أجبناه قائلين : لاشك أنه لايراد بهذا الحياة الحقيقية ، ولو أريدت لاقتضت جميع لوازمها من أعمال وتكليف وعبادة ونطق وغير ذلك ، وحيث انتفت حقيقة هذه الحياة الدنيوية بانتفاء لوازمها ،

---

(١) تفسير ابن سعدي ١٢٧/٣ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وبحصول الموت بالنص والإجماع ؛ كما قال تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون) ، وقال أبـــوبكر في خطبته : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ! وحيث انتفت الحياة الحقيقية بما ذكر وبغيره ثبتت الحياة البرزخية ؛ وهي متفاوتة ؛ فحياة الشهداء فوق حياة المؤمنين ، وحياة الأنبياء علـــيهم السلام أعلى من حياة الشهداء . وقد شرف الله سبحانه هؤلاء الأحياء بالتشريفات العندية ؛ فقال في حق الشهداء الذين تتقاصر مرتبتهم عن الأنبياء : (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتـــا بل أحياء عند ربهم يرزقون) . فإن قلت : قد ثبت في الحديث الســـابق أن الأنبيـــاء يصـــلون ، وأخرج مسلم أن النبي ﷺ قال : مررت ليلة أسري بي على موسى عليه السلام قائما يصلي في قـــبره ؛ فما الجواب عن ذلك ؟ قلنا : المراد من الصلاة المعنى اللغوي ؛ أي يدعو ويثني عليـــه ســـبحانه ويذكره . وقال القرطبي : المراد الصلاة الشرعية ؛ لظاهر الحديث ، وأنها ليست بحكم التكليف ، بل بحكم الإكرام لهم والتشريف)[١] .

٦- يزعم كثير من الصوفية أنه يرى النبي ﷺ يقظة ، ويصافحه ، ويسأله عن كثير مما يشكل عليه ، ويتلقى عنه أكثر أفعاله ؛ وهذا مبني المعتقد مبني على أمرين :-

أحدهما : اعتقاد أن النبي ﷺ حي حياة حقيقية ؛ يقول السيوطي : (النبي ﷺ حي بجسده وروحه ، ويتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض وفي الملكوت ، وهو بهيئته التي كان عليهـــا قبـــل وفاته ، لم يتبدل منه شيء ، وهومغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مـــع كـــونهم أحيـــاء بأجسادهم ، فإذا أراد الله تعالى رفع الحجاب عمن أراد إكرامه برؤيته رآه على هيئتـــه التي هـــو عليها)[٢] . وهذا المعتقد يخالف النص والإجماع على وفاته ﷺ ، قال تعالى: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ الزمر: ٣٠ ، وقال ﷺ : (ألا أيها الناس فإنما أنا بشر ، يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب) ، رواه مسلم ، وقال ﷺ : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام) ، رواه أبوداود وغيره بسند جيد[٣] ؛ وهذا من أصرح الأدلة على انتفاء الحياة الحقيقة وإلا لما كان لرد روحه الشريفة معنى كلما سلم عليه مسلم ؛ وقد حاول القائلون بالحياة الحقيقية دفع دلالتـــه

---

(١) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، ص (٥٢٨-٥٣١) { بتصرف } .

(٢) نقلا عن روح المعاني ٢٢/٣٦ ، ٣٧ (بتصرف يسير) .

(٣) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٢٢٦٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

بغرائب التأويل ؛ كحمل الروح على النطق ، أو الملك الموكل بذلك ، أو حمل رد الروح على الرد المعنوي ، أو غير ذلك من التأويلات التي تخالف ظاهر الحديث[١] ، والتي يدفعها مع دلالة النصوص الصريحة إجماع الصحابة رضي الله عنهم على وفاته ؛ فقد قال أبوبكر في خطبته المشهورة : من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ! وكان ذلك بمحضر الصحابة ، ولم يقل أحد منهم بخلاف ذلك ، ولم يعرف عن أحد منهم بعد ذلك أنه لقي النبي ﷺ يقظة ؛ مع علو مترلتهم وشدة حاجتهم لذلك ؛ يقول الآلوسي : (ما نسب إلى بعض أرباب الأحوال من رؤية النبي ﷺ بعد وفاته ، وسؤاله ، والأخذ عنه لم نعلم وقوع مثله في الصدر الأول ، وقد وقع اختلاف بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم من حيث توفى عليه الصلاة والسلام إلى ما شاء الله تعالى في مسائل دينية وأمور دنيوية ، وفيهم أبو بكر ، وعلي رضي الله تعالى عنهما ، وإليهما ينتهي أغلب سلاسل الصوفية ، الذين تنسب إليهم تلك الرؤية ، ولم يبلغنا أن أحداً منهم ادعى أنه رأى في اليقظة رسول الله ﷺ ، وأخذ عنه ما أخذ ، وكذا لم يبلغنا أنه ﷺ ظهر لمتحير في أمر من أولئك الصحابة الكرام فأرشده وأزال تحيره ، وقد صح عن عمر رضي الله عنه أنه قال في بعض الأمور : ليتني كنت سألت رسول الله ﷺ ، ولم يصح عندنا أنه توسل إلى السؤال منه ﷺ بعد الوفاة نظير ما يحكى عن بعض أرباب الأحوال ، وقد وقفت على اختلافهم في حكم الجد مع الأخوة فهل وقفت على أن أحداً منهم ظهر له الرسول ﷺ فأرشده إلى ما هو الحق فيه ، وقد بلغك ما عرا فاطمة البتول رضي الله تعالى عنها من الحزن العظيم بعد وفاته ﷺ وما جرى لها في أمر فدك فهل بلغك أنه عليه الصلاة والسلام ظهر لها كما يظهر للصوفية ؛ فبل لوعتها وهون حزنها وبين الحال لها ، وقد سمعت بذهاب عائشة رضي الله تعالى عنها إلى البصرة ، وما كان من وقعة الجمل فهل سمعت تعرضه ﷺ لها قبل الذهاب وصده إياها عن ذلك ؛ لئلا يقع أو تقوم الحجة عليها على أكمل وجه ، إلى غير ذلك مما لا يكاد يحصى كثرة . والحاصل أنه لم يبلغنا ظهوره ﷺ لأحد من أصحابه ، وأهل بيته وهم هم مع احتياجهم الشديد لذلك)[٢] .

---

(١) انظر : القول البديع ، ص (٢٤٦ ، ٢٤٧) .

(٢) روح المعاني ٣٨/٢٢ ، ٣٩ (باختصار يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

والثاني : الاستدلال بماروواه البخاري[١] بسنده عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول : (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، ولا يتمثل الشيطان بي) ؛ فهذا دليل على أن من يراه ﷺ في النوم فسيراه في اليقظة ؛ وهو على عمومه في حياته وبعد مماته . وعضدوا ذلك بما ذكره طائفة منهم أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك يقظة ، وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها ، فجاء الأمر كذلك[٢] ! وقد استشكل ابن حجر هذا الفهم للحديث بقوله : (هذا مشكل جدا ، ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ، ويعكر عليه أن جمعا جما رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة ، وخبر الصادق لا يتخلف)[٣] ؛ وإذا كان هذا المعنى باطلا ، لا يصح حمل الحديث عليه فإن العلماء ذكروا له عدة معان[٤] ؛ أقواها إثنان :-

أ- أن الحديث على التشبيه والتمثيل ؛ لما وقع عند مسلم بلفظ : (مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقَظَةِ ، أَوْ لَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ ، لايَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي) ؛ والمعنى أنه لو رآه في اليقظة لطابق ما رآه في المنام[٥] .

ب- أن المراد أن من رأى النبي ﷺ فإن رؤياه حق وليست من أضغاث الأحلام ؛ لما وقع عند البخاري بلفظ : (مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لا يَتَكَوَّنُنِي) ؛ يقول ابن حجر : (الذي يظهر لي أن المراد من رآني في المنام فليستبشر ، ويعلم أنه قد رأى الرؤيا الحق ، التي هي من الله لا الباطل الذي هو الحلم ؛ فإن الشيطان لايتمثل بي)[٦] .

٧- أن سنة الله تعالى في سائر النبيين كسنته في سيد المرسلين ﷺ ؛ فكلهم بشر ، وكلهم من ذرية آدم ونوح وإبراهيم عليهم السلام ؛ قال تعالى : ﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ إبراهيم: ١١ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ الحديد:

---

(١) صحيح البخاري ، ح (٦٩٩٣) .
(٢) انظر : فتح الباري ١٢/٣٨٥ ، روح المعاني ٢٢/٣٦ .
(٣) فتح الباري ١٢/٣٨٥ .
(٤) انظر : فتح الباري ١٢/٣٨٥ .
(٥) انظر : فتح الباري ١٢/٣٨٤ .
(٦) فتح الباري ١٢/٣٨٩ (باختصار يسير) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

٢٦ ؛ قال ابن كثير : (يخبر تعالى أنه منذ بعث نوحًا عليه السلام لم يرسل بعده رسولا ، ولا نبيًّا إلا من ذريته ، وكذلك إبراهيم عليه السلام ، خليل الرحمن، لم يترل من السماء كتابًا ولا أرسل رسولا ، ولا أوحى إلى بشر من بعده ، إلا وهو من سلالته ، كما قال في الآية الأخرى : وَجَعَلْنَا فِي ذريته النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)[١] . وكل النبيين عليهم السلام ليس لهم من العلم والغنى والقدرة إلا بقدر مايعطيهم الله تعالى ؛ يقول ابن أبي العز الحنفي : (صفات الكَمَالُ ترْجِعُ إِلَى ثلاث ؛ الْعِلْمِ ، وَالْقُدْرَةِ ، وَالْغِنَى . وَهَذِهِ الثَّلاثَةُ لاتَصْلُحُ عَلَى الْكَمَالِ إلا لِلَّهِ وَحْدَهُ ؛ فَإِنَّهُ الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ؛ وَلِهَذَا أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَبْرَأَ مِنْ دَعْوَى هَذِهِ الثَّلاثَةِ بِقَوْلِهِ : قُلْ لاأَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ولا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إلا مَا يُوحَى إِلَيَّ . وَكَذَلِكَ قَالَ نُوحٌ عليه السلام ، فَهَذَا أَوَّلُ أُولِي الْعَزْمِ ، وَأَوَّلُ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، وَهَذَا خَاتَمُ الرُّسُلِ ، وَخَاتَمُ أُولِي الْعَزْمِ ، وَكِلاهُمَا تَبَرَّأَ مِنْ ذَلِكَ ، وَهَذَا لأنَهُمْ يُطَالِبُونَهُمْ تَارَةً بِعِلْمِ الْغَيْبِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ، وَتَارَةً بِالتَّأْثِيرِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا الايَاتِ ، وَتَارَةً يَعِيبُونَ عَلَيْهِمُ الْحَاجَةَ الْبَشَرِيَّةَ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ الآيَةَ . فَأُمِرَ الرَّسُولُ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِأَنَّهُ لايَمْلِكُ ذَلِكَ ، وَإِنَّمَا يَنَالُ مِنْ تِلْكَ الثَّلاثَةِ بِقَدْرِ مَا يُعْطِيهِ اللَّهُ ، فَيَعْلَمُ مَا عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ ، وَيَسْتَغْنِي عَمَّا أَغْنَاهُ عَنْهُ ، وَيَقْدِرُ عَلَى مَا أَقْدَرَهُ عَلَيْهِ مِنَ الأُمُورِ الْمُخَالِفَةِ لِلْعَادَةِ الْمُطَّرِدَةِ ، أَوْ لِعَادَةِ أَغْلَبِ النَّاسِ)[٢] . وفي هذا دلالة بينة على ضلال من جعل لهم أو لغيرهم من الخلق شركا في شيء من كمالات الله تعالى أو حقوقه ؛ كما فعلت النصارى مع المسيح عليه السلام والحواريين ، وكما فعل غلاة المتصوفة مع نبينا ﷺ وأوليائهم ؛ يقول ابن تيمية : (قَالَ بَعْضُهُمْ : إنَّ الْوَلِيَّ يُعْطَى قَوْلَ (كُنْ) ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : إنَّهُ لايَمْتَنِعُ عَلَى الْوَلِيِّ فِعْلُ مُمْكِنٍ ، كَمَا لايَمْتَنِعُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فِعْلُ مُحَالٍ . وَهَذَا قَالَهُ ابْنُ عَرَبِيٍّ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُ . قَالُوا : إنَّ الْمُمْتَنِعَ لِذَاتِهِ مَقْدُورٌ عَلَيْهِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مَا يُقَالُ : إنَّهُ غَيْرُ مَقْدُورٍ عَلَيْهِ لِلْوَلِيِّ ، حَتَّى ولا الْجَمْعُ بَيْنَ الضِّدَّيْنِ ولا غَيْرَ ذَلِكَ ، وَزَادَ ابْنُ عَرَبِيٍّ أَنَّ الْوَلِيَّ لايَعْزُبُ عَنْ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ مِنَ الْمُمْكِنَاتِ !

---

(١) تفسير ابن كثير ١٨٨/٧ ، ١٨٩ .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ، ص (٤٩٤ ، ٤٩٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

وَالَّذِي لايَعْزُبُ عَنْ قُدْرَتِهِ شَيْءٌ مِنْ الْمُمْكِنَاتِ هُوَ اللَّهُ وَحْدَهُ ! فَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُمْ بِأَنَّ الْوَلِيَّ مِثْلُ اللَّهِ إنْ لَمْ يَكُنْ هُوَ اللَّهُ ! وَصَرَّحَ بَعْضُهُمْ بِأَنَّهُ يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَعْلَمُهُ اللَّهُ ، وَيَقْدِرُ عَلَى كُلِّ مَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَيْهِ ! وَادَّعَوْا أَنَّ هَذَا كَانَ لِلنَّبِيِّ ، ثُمَّ انْتَقَلَ إلَى الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، ثُمَّ مِنْ الْحَسَنِ إلَى ذُرِّيَّتِهِ ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ ، حَتَّى انْتَهَى ذَلِكَ إلَى أَبِي الْحَسَنِ الشاذلي ثُمَّ إلَى ابْنِهِ ! خَاطَبَنِي بِذَلِكَ مَنْ هُوَ مِنْ أَكَابِرِ أَصْحَابِهِمْ . وَحَدَّثَنِي الثِّقَةُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إنَّ مُحَمَّدًا هُوَ اللَّهُ !!)[١] .

****

(١) دقائق التفسير ١/٤٣٢ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الصلاة والسلام على النبي ﷺ

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦ ؛ يقول ابن كثير : (المقصود من هذه الآية أن الله سبحانه أخبر عباده بمنزلة عبده ونبيه عنده في الملأ الأعلى ؛ بأنه يثني عليه عند الملائكة المقربين ، وأن الملائكة تصلي عليه ، ثم أمر تعالى أهل العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه ؛ ليجتمع الثناء عليه من أهل العالمين العلوي والسفلي جميعـــا)[١] ، ومما يحقق كلامه ، ويدل عظم هذه المنة الإخبار عن صلاة الله وملائكته بصيغة المضارعة ، الدالة على الدوام والاستمرار ؛ لهذا وغيره انعقد الإجماع على أن في هذه الآية من تعظيم النبي ﷺ ، والتنويه به ماليس في غيرها[٢] . وقد عني المفسرون والمحدثون وغيرهم من العلماء الربانيين بهذه الشعيرة العظيمة ، وأفاضوا القول في شرح نصوصها ، وبيان فضلها ، وصفتها ، ومحلها ، وسائرأحكامها ، بل إن بعضهم أفردها بمؤلفات مستقلة ؛ وقد ذكر السخاوي كثيرا من هذه المؤلفات ، وذكر أن أجلها ، وأحسنها ، وأكثرها فوائد كتاب ابن القيم (جلاء الأفهام) ، وإن كان كثير الإسهاب والاستطراد[٣] .

ويتعلق بهذه الآية العظيمة ، والشعيرة الجليلة مسائل كثيرة ؛ منها :-

الأولى : في الآية أمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ ؛ والأصل في الأمر الوجوب ؛ ولهذا ذهب أكثر العلماء إلى أن الصلاة على النبي ﷺ فرض على كل مؤمن ، وإن اختلفوا في فرضيتها هل هي على الإطلاق ؛ بحيث يحصل الإجزاء بمرة واحدة ، أو أنها مقيدة بأسباب معينة ؛ يتكرر وجوبها كلما وجدت ؟ هذا هو الأظهر ؛ لقوة دلالة النصوص على تكرار الوجوب ؛ وبخاصة في الصلاة ؛ ولهذا قال الشعبي : من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته[٤] .

الثانية : قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء . وهذا أولى مافسرت به صلاة الله وملائكته . فحقيقة الصلاة من الله الثناء والتعظيم والتقريب ورفع ذكره في

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٢٢٥ .

(٢) انظر : فتح الباري ١١/١٥٦ ، القول البديع ، ص (١٧،٣٩) .

(٣) انظر : القول البديع ، ص (٣٦٧-٣٦٩) .

(٤) انظر : فتح الباري ١١/١٥٢، ١٥٣ ، ١٦٤ ، ١٦٨ ، القول البديع ، ص (٢١) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

العالمين ، والصلاة من الملائكة والمؤمنين الدعاء بزيادة هذا الثناء والتعظيم ؛ فيجتمع للنبي ﷺ ثناء الخالق وتشريفه ، ودعاء المخلوق وسؤاله[١] ؛ وهذا من أعظم أسباب رفع ذكره ﷺ الذي امتن به رب العالمين على سيد المرسلين في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ الشرح: ٤ ؛ يقول الشوكاني : (ذكر سبحانه منته عليه وكرامته فقال : ورفعنا لك ذكرك ؛ قال الحسن : وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه ﷺ . قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ؛ فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادي فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله . قال مجاهد : ورفعنا لك ذكرك ؛ يعني بالتأذين . وقيل المعنى : ذكرناك في الكتب المترلة على الأنبياء قبله ، وأمرناهم بالبشارة به . وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء ، وعند المؤمنين في الأرض . والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور ؛ فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر ، وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه ، وإخباره ﷺ عن الله عز و جل : أن من صلى عليه واحدة صلى الله عليه بها عشرا ، وأمر الله بطاعته كقوله : أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ، وقوله : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ، وقوله : قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ، وغير ذلك . وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السموات والأرضين ، وجعل الله له من لسان الصدق ، والذكر الحسن والثناء الصالح ، ما لم يجعله لأحد من عباده ؛ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . اللهم صل وسلم عليه وعلى آله ؛ عدد ما صلى عليه المصلون ، بكل لسان في كل زمان)[٢] .

الثالثة : شرع السلام على النبي ﷺ قبل أن تشرع الصلاة عليه ؛ ولهذا لما نزل الأمر بالصلاة والسلام عليه قال بعض الصحابة : أما السلام فقد عرفناه فكيف نصلي عليك ؟ ؛ روى الطبراني وغيره بسند جيد[٣] أنه لما نزلت ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ الأحزاب: ٥٦ ؛ جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال : يارسول الله ! هذا السلام عليك قد

---

(١) انظر : جلاء الأفهام ، ص (١٥٥-١٧٠ ، ٤٤٥) ، تفسير ابن كثير ٢٢٥/٦ ، فتح الباري ٥٣٢/٨ ، ٥٣٢ ، ١٥٥/١١ ، ١٥٦ ، القول البديع ، ص (٩-١٩) .

(٢) فتح القدير ٤٦٢/٥ .

(٣) انظر : القول البديع ، ص (٥٥) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عرفناه فكيف الصلاة عليك) ، وروى البخاري بسنده عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : لقيني كعب بن عجرة ﷺ فقال : ألا أهدي لك هدية ؟ إن النبي ﷺ خرج علينا ، فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك ؟ قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد . اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد) ؛ ولهذه المسألة دلالات ثلاث ؛ هي :-

١- أن إفراد الصلاة عن التسليم لايكره ؛ لأن تعليم التسليم تقدم تعليم الصلاة ، وظل الصحابة على ذلك حتى نزل الأمر بالصلاة عليه . وذهب النووي إلى كراهة ذلك ؛ لأن الآية أمرت بهما معا ؛ فإذا صلى على النبي ﷺ فليجمع بين الصلاة والتسليم ، ولايقتصر على أحدهما ؛ فيقول صلى الله عليه فقط ، أو السلام عليه فقط[١] . والظاهر أن الجمع بينهما واجب في الصلاة دون غيرها ؛ يقول ابن القيم : (الله سبحانه أمر المؤمنين بالصلاة والتسليم على رسول الله ، وأمره المطلق على الوجوب ما لم يقم دليل على خلافه ، وقد ثبت أن أصحابه رضي الله عنهم سألوه عن كيفية هذه الصلاة المأمور بها ؟ فقال : قولوا اللهم صل على محمد ... الحديث ، وقد ثبت أن السلام الذي علموه هو السلام عليه في الصلاة ؛ وهو سلام التشهد ؛ فمخرج الأمرين ، والتعليمين ، والمحلين واحد ؛ يوضحه أنه علمهم التشهد أمرا لهم به فيه ، وفيه ذكر التسليم عليه فسألوه عن الصلاة عليه فعلمهم إياها ، ثم شبهها بما علموه من التسليم عليه ، وهذا يدل على أن الصلاة والتسليم المذكورين في الحديث هما الصلاة والتسليم عليه في الصلاة ؛ يوضحه أنه لو كان المراد بالصلاة والتسليم عليه خارج الصلاة لا فيها لكان كل مسلم منهم إذا سلم عليه يقول له : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، ومن المعلوم أنهم لم يكونوا يتقيدون في السلام عليه بهذه الكيفية ، بل كان الداخل منهم يقول : السلام عليكم ، وربما قال : السلام على رسول الله ، وربما قال : السلام عليك يا رسول الله ، ونحو ذلك ، وهم لم يزالوا يسلمون عليه من أول الإسلام بتحية الإسلام ، وإنما الذي علموه قدر زائد عليها ؛ وهو السلام عليه في الصلاة ؛ يوضحه حديث أبي اسحاق كيف نصلي عليك إذا نحن صلينا في صلاتنا ؟ وقد صحح هذه اللفظة جماعة من الحفاظ ؛ منهم ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والدار قطني والبيهقي ... وإذا

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٦/٢٤٥ ، القول البديع ، ص (٩٨ ، ٩٩) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

تقرر أن الصلاة المسؤول عن كيفيتها هي الصلاة عليه في نفس الصلاة ، وقد خرج ذلك مخرج البيان المأمور به منها في القرآن ، ثبت انها على الوجوب ، ويضاف إلى ذلك أمر النبي ﷺ بها ، ولعل هذا وجه ما أشار اليه الإمام احمد رحمه الله تعالى بقوله : كنت أهيب ذلك ، ثم تبينت فإذا هي واجبة)[١] .

٢- أن الصلاة هي آكد موضع تشرع فيه الصلاة على النبي ﷺ لأمرين :-

أ- أن المراد بقوله : (أما السلام عليك فقد عرفناه) ماعلمهم إياه في التشهد من قولهم : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته[٢] ؛ يقول ابن القيم : (الصلاة التي سألوا النبي أن يعلمهم إياها نظير السلام الذي علموه لأنهم قالوا : هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟ ومن المعلوم أن السلام الذي علموه هو قولهم في الصلاة : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ؛ فوجب أن تكون الصلاة المقرونة به هي في الصلاة)[٣] . ويقول ابن كثير : (معنى قولهم : أما السلام عليك فقد عرفناه هو الذي في التشهد الذي كان يعلمهم إياه ، كما كان يعلمهم السورة من القرآن ، وفيه : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)[٤] .

ب- أن قد ورد في بعض طرق الحديث النص على أن المقصود بذلك الصلاة على النبي في الصلاة ؛ روى الإمام أحمد وغيره بسند حسن[٥] عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ عُقْبَةَ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ : (أَقْبَلَ رَجُلٌ حَتَّى جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَنَحْنُ عِنْدَهُ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا السَّلَامُ عَلَيْكَ فَقَدْ عَرَفْنَاهُ فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ إِذَا نَحْنُ صَلَّيْنَا فِي صلاتنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ ؟ قَالَ : فَصَمَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَحْبَبْنَا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يَسْأَلْهُ . فَقَالَ : إِذَا أَنْتُمْ صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ فَقُولُوا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ؛ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) ؛ ولهذا أكد العلماء على مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في الصلاة ؛ بل إن بعضهم اعتبره واجبا في كل

---

(١) جلاء الأفهام ، ص (٣٤٦-٣٤٨) .

(٢) انظر : فتح الباري ٥٣٣/٨ .

(٣) جلاء الأفهام ، ص (٣٣٥) .

(٤) تفسير ابن كثير ٢٢٧/٦ .

(٥) انظر : فتح الباري ١٦٣/١١ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

صلاة[١] ؛ قال ابن مسعود ﷺ : (يتشهد الرجل ثم يصلي على النبي ثم يدعو لنفسه) ، رواه الحاكم بسند قوي[٢] ، وأخرج العمري عن ابن عمر رضي الله عنهما بسند جيد قال : (لا تكون صلاة إلا بقراءة وتشهد وصلاة علي ، وأخرج البيهقي بسند قوي عن الشعبي قال : من لم يصل على النبي ﷺ في التشهد فليعد صلاته ، وأخرج الطبري بسند صحيح عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ﷺ قال : (كنا نعلم التشهد ، فإذا قال : وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، يحمد ربه ، ويثني عليه ، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل حاجته)[٣] .

٣- ذهب الجمهور إلى الاجتزاء بكل لفظ أدى المراد من الصلاة والسلام على النبي ﷺ ؛ لأن الأمر بهما في القرآن مطلق ، من غير تحديد بكيفية معينة . وهذا مسلم في خارج الصلاة ، وأما في الصلاة فلابد من الاقتصار على المأثور ؛ لأن النبي ﷺ كان يعلم أصحابه التشهد كما يعلمهم السورة من القرآن)[٤] .

الرابعة : ومن آكد المواضع التي تشرع فيها الصلاة على النبي ﷺ الصلاة عليه عند ذكره ؛ لمارواه الترمذي وغيره بسند حسن[٥] عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ) ، وروى الطبراني بسند صحيح[٦] عن الحسين بن على رضي الله عنهما مرفوعا : (من ذكرت عنده فخطئ الصلاة علي خطئ طريق الجنة) ، وروى الترمذي بسند صحيح[٧] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : (رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي) ، وروى البيهقي بسند صحيح [٨] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا : (من نسي

---

(١) انظر : فتح الباري ١٦٣/١١ ، وانظر : في بسط الخلاف في هذه المسألة : جلاء الأفهام ، ص (٣٢٧-٣٥٧) .

(٢) انظر : فتح الباري ١٦٤/١١ .

(٣) انظر : فتح الباري ١٦٤/١١ .

(٤) انظر : فتح الباري ١٦٥/١١ ، ١٦٦ ، القول البديع ، ص (٩٦) .

(٥) انظر : فتح الباري ١٦٨/١١ .

(٦) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٢٤٥) .

(٧) انظر : تخريج أحاديث جلاء الأفهام ، ص (٣٥ ، ٥٠) .

(٨) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٥٦٨) . والمراد بالنسيان الترك ، كقوله تعالى : (نسوا الله فنسيهم) . انظر : القول البديع ، ص (٢٢٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الصلاة علي خطئ طريق الجنة) ، وروى النسائي بسند صحيح[١] عن أنس ﷺ مرفوعا : (من ذكرت عنده فليصل علي) ، يقول ابن حجر : (تمسك بالأحاديث المذكورة من أوجب الصلاة عليه كلما ذكر ؛ لأن الدعاء بالرغم والابعاد والشقاء ، والوصف بالبخل والجفاء ، يقتضي الوعيد ؛ والوعيد على الترك من علامات الوجوب . وأجاب من لم يوجب ذلك بأجوبه ؛ منها أنه لو كان ذلك على عمومه للزم المؤذن إذا أذن ، وكذا سامعه ، وللزم القارئ إذا مر ذكره في القرآن ، وللزم الداخل في الإسلام إذا تلفظ بالشهادتين ، ولكان في ذلك من المشقة والحرج ما جاءت الشريعة السمحة بخلافه ، ولكان الثناء على الله كلما ذكر أحق بالوجوب و لم يقولوا به . وأجابوا عن الأحاديث بأنها خرجت مخرج المبالغة في تأكيد ذلك وطلبه ، وفي حق من اعتاد ترك الصلاة عليه ديدنا)[٢] .

الخامسة : وتشرع الصلاة على النبي ﷺ في مواضع أخرى ؛ منها :-

١- عقب إجابة المؤذن ؛ روى مسلم بسنده عن عبداللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ : (إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا ، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ ؛ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ ؛ فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ) ؛ يقول ابن القيم : (في إجابة المؤذن خمس سنن عن رسول الله ؛ قد اشتمل حديث عبد الله بن عمرو على ثلاثة منها . والرابعة : أن يقول ما رواه مسلم عن سعد بن أبي وقاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال : من قال حين يسمع المؤذن : أشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، رضيت بالله ربا ، وبمحمد رسولا ، وبالاسلام دينا ، غفر له ذنبه .

والخامسة : أن يدعو الله بعد إجابة المؤذن ، وصلاته على رسوله ، وسؤاله له الوسيلة ؛ لما في سنن أبي داود و النسائي[٣] من حديث عبد الله بن عمرو أن رجلا قال : يا رسول الله إن المؤذنين

---

(١) انظر : جلاء الأفهام ، ص (٣٨٣) .

(٢) فتح الباري ١٦٨/١١ ، ١٦٩ (باختصار) . وانظر في بسط الخلاف في حكم الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره : جلاء الأفهام ، ص (٣٨٢-٣٩٧) .

(٣) إسناده صحيح . انظر : تخريج أحاديث جلاء الأفهام ، ص (٣٧٣) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

المؤذنين يفضلوننا ؟ فقال رسول الله : قل كما يقولون ؛ فإذا انتهيت فسل تعطه)[١] .

٢- أول الدعاء وأوسطه وآخره ، وفي أوله آكد[٢] ؛ لما روى أبوداود وغيره بسند حسن[٣] عن فضالة بن عبيد ﷺ قال : (سَمِعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ ، لَمْ يُمَجِّدْ اللَّهَ تَعَالَى ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : عَجِلَ هَذَا ، ثُمَّ دَعَاهُ ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ : إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ) ، وروى الترمذي بسند حسن[٤] عن عبد الله ﷺ قال : (كنت أصلي والنبي ﷺ وأبو بكر وعمر معه ، فلما جلست بدأت بالثناء على الله ، ثم الصلاة على النبي ﷺ ، ثم دعوت لنفسي فقال النبي ﷺ :سل تعطه ، سل تعطه) ، وروى البيهقي بسند حسن[٥] عن علي موقوفا : (كل دعاء محجوب حتى يصلى على النبي ﷺ) ؛ وفي رواية للطبراني : (حتى يصلى على محمد ﷺ وآل محمد)[٦]،يقول ابن القيم :(مفتاح الدعاء لصلاة على النبي كما أن مفتاح الصلاة الطهور)[٧] .

.

وأما في دعاء القنوت فالظاهر أن آخره آكد ؛ لما رواه النسائي بسند صحيح أو حسن[٨] عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال : (عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي الْوِتْرِ ؛ قَالَ قُلْ : اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ ؛ فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلَا يُقْضَى عَلَيْكَ ، وَإِنَّهُ لَا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ) .

٣- عند دخول المسجد والخروج منه ؛ روى النسائي وغيره بسند حسن[٩] عن أبي هريرة ﷺ

---

(١) جلاء الأفهام ، ص (٣٧٣) .

(٢) انظر : جلاء الأفهام ، ص (٣٧٥-٣٧٧) ، فتح الباري ١٦٩/١١ .

(٣) انظر : تخريج أحاديث جلاء الأفهام ، ص (٦١) .

(٤) انظر : تخريج أحاديث جلاء الأفهام ، ص (٣٧٥) .

(٥) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٤٥٢٣) .

(٦) قال الهيثمي : رواته ثقات . مجمع الزوائد ١٦٣/١٠ .

(٧) جلاء الأفهام ، ص (٣٧٧) .

(٨) انظر : القول البديع ، ص (٢٦١) .

(٩) انظر : القول البديع ، ص (٢٦٨) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

مرفوعا : (إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي ، و ليقل : اللهم افتح لي أبواب رحمتك ، وإذا خرج فليسلم على النبي ، وليقل : اللهم اعصمني من الشيطان) ، والظاهر أن المراد الجمع بين الصلاة والسلام لا الاقتصار على السلام وحده ؛ ويستأنس[١] لذلك بما رواه أحمد بسنده عن عن فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ ، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي ، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ) .

٤- في ليلة الجمعة ويومها ؛ روى الإمام أحمد بسند صحيح[٢] عَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ ، وَفِيهِ قُبِضَ ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ ؛ فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنْ الصَّلَاةِ فِيهِ ؛ فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ . فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ وَكَيْفَ تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ يَعْنِي وَقَدْ بَلِيتَ ؟ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) ، وروى البيهقي بسند صحيح[٣] عن أبي مسعود الأنصاري ﷺ مرفوعا : (أكثروا الصلاة علي في يوم الجمعة ؛ فإنه ليس يصلي علي أحد يوم الجمعة إلا عرضت على صلاته) ، وروى البيهقي أيضا بسند حسن[٤] عن أنس ﷺ مرفوعا : (أكثروا الصلاة علي يوم الجمعة وليلة الجمعة ؛ فمن صلى علي صلاة صلى الله عليه عشرا) .

٥- في أول النهار وآخره ؛ روى الطبراني بسند حسن[٥] عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعا : (من صلى صلى على حين يصبح عشرا ، وحين يمسي عشرا ، أدركته شفاعتي يوم القيامة) .

٦- عند الاجتماع وقبل الافتراق ؛ روى النسائي وغيره بسند صحيح[٦] عن جابر ﷺ مرفوعا : (ما اجتمع قوم ثم تفرقوا عن غير ذكر الله وصلاة على النبي ﷺ إلا قاموا عن أنتن من جيفة) ،

---

(١) لأن في سند الحديث انقطاعا ؛ ففاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى . انظر : جلاء الأفهام ، ص (٩٢) .

(٢) انظر : فتح الباري ١٦٧/١١ ، ١٦٩ ، تخريج أحاديث جلاء الأفهام ، ص (٨٠) .

(٣) صحيح الجامع الصغير ، ح (١٢٠٨) .

(٤) صحيح الجامع الصغير ، ح (١٢٠٩) .

(٥) صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٣٥٧) .

(٦) انظر : جلاء الأفهام ، ص (٩٥) ، صحيح الجامع الصغير ، ح (٥٥٠٦) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

روى النسائي بسند صحيح[١] عن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعا : (لا يجلس قوم مجلسا ، لايصلون فيه على رسول الله ﷺ إلا كان عليهم حسرة ، وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب) ، روى الحاكم بسند صحيح[٢] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعا : (أيما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ، ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالى ، أو يصلوا على نبيه ، كانت عليهم ترة من الله ، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم) .

السادسة : للصلاة على النبي ﷺ فضائل عظيمة ؛ منها :-

١- الفوز بصلاة الله تعالى وسلامه ؛ روى مسلم بسنده عن عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا) ، وروى الإمام أحمد بسند صحيح[٣] عن أَبِي طَلْحَةَ ﷺ : (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ ؟ فَقَالَ : إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا ، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا ! قَالَ : بَلَى .) ؛ قال ابن القيم : (هذا موافق للقاعدة المستقرة في الشريعة أن الجزاء من جنس العمل ؛ فصلاة الله على المصلي على رسوله جزاء لصلاته هو عليه ، ومعلوم أن صلاة العبد على رسول الله ليست هي رحمة من العبد لتكون صلاة الله عليه من جنسها ، وإنما هي ثناء على الرسول ، وإرادة من الله تعالى أن يعلي ذكره ، ويزيده تعظيما وتشريفا ، والجزاء من جنس العمل ؛ فمن أثنى على رسول جزاه الله من جنس عمله ؛ بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه ، فصح ارتباط الجزاء بالعمل ، ومشاكلته له ومناسبته له ؛ كقوله : من يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، ومن نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ، ومن سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، ومن سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار ، ومن صلى على النبي مرة

---

(١) انظر : القول البديع ، ص (٢٢١) ، صحيح الجامع الصغير ، ح (٧٦٢٤) .

(٢) صحيح الجامع الصغير ، ح (٢٧٣٨) .

(٣) سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٨٢٩) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

صلى الله عليه بها عشرا ، ونظائره كثيرة)[١] ؛ فالصلاة على النبي ﷺ (سبب لإبقاء الله سبحانه الثناء الحسن للمصلي عليه ، بين أهل السماء والأرض ؛ لأن المصلي طالب من الله أن يثني على رسوله ويكرمه ويشرفه ،والجزاء من جنس العمل ؛ فلا بد أن يحصل للمصلي نوع من ذلك)[٢] .

وقد يعظم جزاء الصلاة إلى أكثر من ذلك ؛ روى الإمام أحمد بسند حسن[٣] عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما موقوفا : (مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً ، فَلْيُقِلَّ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ) ؛ وحكمه الرفع ؛ إذ لامجال للاجتهاد فيه[٤].

والظاهر أن المضاعفة إلى السبعين تكون بحسب قوة الإخلاص والمحبة والاتباع ؛ والله أعلم .

٢- الفوز بالثواب والمغفرة وعلو المنزلة ؛ روى الإمام أحمد بسند صحيح[٥] عن أبي طلحة الأنصاري ﷺ مرفوعا : (أتاني آت من عند ربي عز و جل فقال : من صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات ، ومحا عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات ، ورد عليه مثلها) ، وروى النسائي وغيره بسند صحيح[٦] عن أنس ﷺ مرفوعا : (من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ، ويحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات) ، وروى الطبراني بإسناد جيد[٧] عن عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعا : (إن جبريل أتاني فقال : من صلى عليك من أمتك واحدة صلى الله عليه عشرا ، ورفعه عشر درجات) .

والظاهر أن هذه العدات الكريمات إنما تحصل لمن صلى على النبي مخلصا من قلبه لا لكل مصل ؛ لحديث أبي بردة بن نيار ﷺ مرفوعا : (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً ، مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ ، وَمَحَا عَنْهُ

---

(١) جلاء الأفهام ، ص (١٦٤) .

(٢) جلاء الأفهام ، ص (٤٤٧) .

(٣) انظر : الترغيب والترهيب ٤٩٧/٢ ، القول البديع ، ص (١٥٣) .

(٤) انظر : القول البديع ، ص (١٥٣) .

(٥) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٥٧) .

(٦) انظر : صحيح الترغيب والترهيب ، ح (١٦٥٧) ، تخريج جلاء الأفهام ، ص (٦٥) .

(٧) انظر : القول البديع ، ص (١٥٨ ، ١٥٩) .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

عَشْرَ سَيِّئَاتٍ)[١] ، وفي رواية البزار : (من صلى علي صلاة من تلقاء نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات ، وحط عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات) وفي رواية الطبراني : (ما صلى علي عبد من أمتي صادقا بها في قلب نفسه) .

٣- أن صلاة المصلي تبلغ النبي ﷺ ، ويرد على أهلها ؛ روى أبوداود بسند صحيح[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال ﷺ : (لا تجعلوا بيوتكم قبورا ، ولا تجعلوا قبري عيدا ، وصلوا علي ؛ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) ، وقال ﷺ : (إن لله ملائكة سياحين يبلغوني عن أمتي السلام) ، رواه النسائي بإسناد صحيح[٣] ، وقال ﷺ : (ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى حتى أرد عليه السلام) ، رواه أبوداود وغيره بسند جيد[٤] .

٤- كفاية هم الدنيا والآخرة ؛ روى الترمذي بسند جيد[٥] عن أبي بن كعب رضي الله عنه قال : (كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ثلثا الليل قام فقال : يا أيها الناس ، اذكروا الله ، اذكروا الله ، جاءت الراجفة ، تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه ، جاء الموت بما فيه . قال أبي : قلت يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك ، فكم أجعل لك من صلاتي ؟ فقال : ما شئت ، قال قلت : الربع قال : ما شئت ؛ فإن زدت فهو خير لك ، قلت : النصف ، قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك قال قلت : فالثلثين ، قال : ما شئت ، فإن زدت فهو خير لك ، قلت : أجعل لك صلاتي كلها ؟ قال : إذا تكفى همك ، ويغفر لك ذنبك) ؛ وفي رواية للإمام أحمد سندها جيد[٦] قال أبي بن كعب رضي الله عنه : (قال رجل : يارسول الله ! أرأيت إن جعلت صلاتي كلها عليك ؟ قال : إذن يكفيك الله تبارك وتعالى ما همك من دنياك وآخرتك) ؛ قال ابن القيم : (سئل شيخنا أبو العباس عن تفسير هذا الحديث ؟ فقال : كان لأبي بن كعب دعاء ، يدعو به لنفسه ، فسأل النبي هل

---

(١) رواه النسائي وغيره بإسناد رجاله ثقات . انظر : فتح الباري ١٦٧/١١ ، مجمع الزوائد ١٦٥/١٠ ، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٣٣٦٠) .

(٢) انظر : صحيح الجامع الصغير ، ح (٧٢٢٦) .

(٣) انظر : جلاء الأفهام ، ص (٦٠) .

(٤) انظر : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ح (٢٢٦٦) .

(٥) انظر : القول البديع ، ص (١٧٥) .

(٦) انظر : الترغيب والترهيب ٥٠١/٢ ، مجمع الزوائد ١٦٣/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

يجعل له منه ربعه ؛ صلاة عليه ؟ فقال : إن زدت فهو خير لك ، فقال له النصف ، فقال إن زدت فهو خير لك ، إلى أن قال أجعل لك صلاتي كلها ؛ أي أجعل دعائي كله صلاة عليك ، قال : إذا تكفى همك ويغفر لك ذنبك ؛ لأن من صلى على النبي صلاة صلى الله عليه بها عشرا ، ومن صلى الله عليه كفاه همه ، وغفر له ذنبه ! هذا معنى كلامه رضي الله عنه)[١] . وذكر السخاوي أنه ورد في بعض الروايات تفسير الصلاة في حديث أبي بن كعب ﷺ بالدعاء ، إلا أنها مرسلة أو معضلة[٢] .

٥- أن الصلاة على النبي ﷺ على صفة مخصوصة سبب للفوز بشفاعته ﷺ في درء العقاب إن كان مذنبا ، أو زيادة الثواب إن كان محسنا ؛ روى الطبراني بسند حسن[٣] عن أبي الدرداء ﷺ مرفوعا : (من صلى على حين يصبح عشرا ، وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة) ، وروى الإمام أحمد بإسناد لابأس به[٤] عن رويفع الأنصاري ﷺ مرفوعا : (من صلى على محمد ؛ وقال : اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي) .

السابعة : الصلاة والسلام مشروعة لسائر النبيين ، ولا تختص بسيد المرسلين ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) ﴾ الصافات: ٧٨ – ٨٠ ، وقال : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (١٠٩) ﴾ الصافات: ١٠٨ – ١٠٩ ، وقال : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ (١١٩) سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٠) ﴾ الصافات: ١١٩ – ١٢٠ ، وقال : ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٢٩) سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ (١٣٠) ﴾ الصافات: ١٢٩ – ١٣٠ ؛ والذي تركه عليهم في الآخرين هو السلام عليهم كلما ذكروا ؛ وهو من الثناء ولسان الصدق الذي أبقاه الله لهم في الآخرين ؛ لصبرهم على تبليغ رسالات ربهم ، واحتمالهم لأذى أممهم ؛ فلايزال السلام والثناء عليهم في العالمين ؛ عالما بعد عالم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ؛ قال ابن كثير : (قوله : وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الآخِرِينَ ،

---

(١) جلاء الأفهام ، ص (٧٩) ، وانظر : الترغيب والترهيب ٥٠١/٢ ، القول البديع ، ص (٢٠٣) .

(٢) انظر : القول البديع ، ص (١٧٧) .

(٣) صحيح الجامع الصغير ، ح (٦٣٥٧) .

(٤) هكذا حكم الحافظ ابن كثير على الحديث ، وقال الهيثمي : رواه البزار والطبراني في الأوسط والكبير وأسانيدهم حسنة . وهكذا قال المنذري إلا أنه قال : بعض أسانيدهم حسن . انظر : تفسير ابن كثير ٢٣٧/٦ ، الترغيب والترهيب ٥٠٥/٢ ، مجمع الزوائد ١٦٦/١٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

قال ابن عباس : يذكر بخير . وقال مجاهد : يعني لسان صدق للأنبياء كلهم . وقال قتـــادة والسدي : أبقى الله عليه الثناء الحسن في الآخرين . قال الضحاك : السلام ، والثناء الحسن .

وقوله تعالى : سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ؛ مفسر لما أبقى عليه من الذكر الجميل ، والثناء الحسن ؛ أنه يسلم عليه في جميع الطوائف والأمم .

إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ؛ أي هكذا نجزي من أحسن من العباد في طاعة الله ، نجعل له لسانَ صدْق يذكر به بعده ؛ بحسب مرتبته في ذلك)[١] .

وأما الصلاة عليهم فقد ورد في الأمر بها أحاديث في إسنادها ضعف ، ولكن أجمع العلماء على مشروعية الصلاة على جميع النبيين[٢] . وأما غير الأنبياء فقد اختلف العلماء في حكم الصلاة عليهم على أقوال[٣] :-

أحدهما : الجواز ؛ لقوله تعالى : ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾ التوبة: ١٠٣ ، ولقوله ﷺ : (اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى آلِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ) ، رواه أبوداود وغيره بسند جيد[٤] .

والثاني : المنع ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾النور: ٦٣ ، وروى ابن أبي شيبة بسند صحيح[٥] عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفا : (ما أعلم الصلاة تنبغي على أحد من أحد إلا على النبي ﷺ) .

والثالث : التفصيل ؛ فتجوز تبعا لا استقلالا ؛ لما رواه البخاري بسنده عن أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيُّ رضي الله عنه : (أَنَّهُمْ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ ؟ قَالَ : قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) ؛ يقول ابن حجر : (والحجة فيه أنه صار شعارا للنبي ﷺ ؛

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٣٨١ .

(٢) انظر : جلاء الأفهام ، ص (٤٥٧-٤٦٣) .

(٣) انظر : في بسط هذه المسألة : جلاء الأفهام ، ص (٤٦٤-٤٨٢) ، تفسير ابن كثير ٦/٢٤٤ ، ٢٤٥ ، فتح الباري ١١/١٦٩-١٧١ ، القول البديع ، ص (٨١-٨٧) .

(٤) انظر : فتح الباري ١١/١٧٠.

(٥) انظر : فتح الباري ١١/١٦٩ ، ١٧٠ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فلا يشاركه غيره فيه ؛ فلا يقال : قال أبو بكر صلى الله عليه و سلم ، وإن كان معناه صحيحا ، ويقال : صلى الله على النبي ، وعلى صديقه ، أو خليفته ، ونحو ذلك . وقريب من هذا أنه لا يقال : قال محمد عز و جل ، وإن كان معناه صحيحا ؛ لأن هذا الثناء صار شعارا لله سبحانه ؛ فلا يشاركه غيره فيه .

ولا حجة لمن أجاز ذلك منفردا فيما وقع من قوله تعالى : وصل عليهم ، ولا في قوله : اللهم صل على آل أبي أوفى ، ولا في قول امرأة جابر : صل علي وعلى زوجي ، فقال: اللهم صل عليهما ؛ فإن ذلك كله وقع من النبي ﷺ ، ولصاحب الحق أن يتفضل من حقه بما شاء ، وليس لغيره أن يتصرف إلا بإذنه ، و لم يثبت عنه إذن في ذلك ، ويقوى المنع بأن الصلاة على غير النبي ﷺ صار شعارا لأهل الأهواء ؛ يصلون على من يعظمونه من أهل البيت وغيرهم)[١].

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

****

(١) فتح الباري ٨/٥٣٤ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

أهم مراجع الكتاب

ـ الإتقان في علوم القـرآن ، لجلال الدين السيوطي ، مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمـصر ، الطبعـة الرابعـة ، ١٣٩٨ هـ .

ـ الإحكام في أصول الأحكام ، لعليّ بن محمَّد الآمدي . تعليق / عبد الرزَّاق عفيـفي ، مؤسَّسـة النّـور ، الطَّبعـة الأولى .

- اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى ، لابن رجب الحنبلي ، تحقيق جاسم الدوسـري ، مكتبـة دار الأقصى بالكويت ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

ـ الأربعين في أصول الدين ، لفخر الدين الرازي ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة .

- أساس البلاغة ، لمحمود بن عمر الزمخشري ، دار المعرفة ببيروت ، ١٤٠٢ هـ .

- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ، د/ علي عبد الواحد وافي ، دار النهضة بمصر .

- الإسلام والأديان ، د/ مصطفى حلمي ، دار الدعوة بالأسكندرية ، الطبعة الأولى ، ١٤١١ هـ .

ـ إرشاد العقل السّليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود) ، لأبي السّعود بن محمَّد العمادي الحنفـي . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

- الإشارات والتنبيهات ، لابن سينا ، مع تعليقات د/سليمان دنيا ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانية .

ـ إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السَّبيل ، لمحمّد ناصر الدِّين الألباني . المكتب الإسلامي ، بـيروت ، الطَّبعـة الأولى ١٣٩٩ هـ .

ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق / عادل أحمد علـيّ معـوض . دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطَّبعة الثَّانِيَة ، ١٤٢٣ هـ .

- أصول الدين ، لعبد القاهر البغدادي ، دار الكتب العلمية ، ببيروت .

- أصول مذهب الشيعة الإمامية ، د/ ناصر القفاري ، الطبعة الثانية ، ١٤١٥ هـ .

ـ أضواء البيان ، لمحمّد بن محمَّد الشنقيطي . دار عالم الفوائد بمكّة المكرّمة ، الطَّبعة الأولى ١٤٢٦ هـ .

ـ الإنسان الكامل في الفكر الصوفي ، للدّكتور لطف اللّه خوجة ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة أمّ القرى ، قسم العقيدة .

ـ إيثار الحقّ على الخلق ، لأبي عبد اللّه محمَّد بن المرتضي المشهور بابن الوزير . دار الكتب العلميّة ، بيروت ، الطّبعة الأولى ، ١٤٠٣ هـ .

ـ الاعتصام ، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشّاطبيّ ، دار الفكر ، مكتبة الرياض الحديثة .

ـ البداية والنّهاية ، للحافظ / عماد الدِّين إسماعيل بن كثير الدِّمشقيّ . مكتبة المعارف ، بيروت ، الطّبعة السّـابعة ، ١٤٠٨ هـ .

- البحر الزخار ، لأحمد بن يحيى المرتضي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٣٩٤ هـ .

- البحر المحيط ، بدر الدين الزركشي ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية ، الطبعة الثانية ، ١٤١٣هـ .

ـ البرهان في علوم القرآن ، لبدر الدِّين محمَّد بن عبد اللّه الزركشي ، تحقيق : محمَّد أبو الفضل إبراهيم . الطبعة الثّالثة

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

١٤٠٠ هـ ، دار الفكر بلبنان .
ـ بغية المرتاد ، لابن تَيْمِيَّة تحقيق : الدكتور / موسى الدويش ، مكتبة العلوم والحكم ، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ .
- التاريخ الكبير ، للإمام البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة الدينوري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، مطبعة العلوم .
- تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة الدينوري ، تحقيق السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية .
- تبصرة الأدلة في أصول الدين ، لأبي المعين النسفي ، رئاسة الشئون الدينية بتركيا .
ـ التبيان في أقسام القرآن ، لابن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٢ هـ .
ـ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، للحافظ محمَّد المباركفوري . المكتبة السلفية بالمدينة ، مطبعة المدني ، الطبعة الثّانية ١٣٨٣ هـ .
ـ تخريج أحاديث مسند الشَّاميين ، للدكتور / عليّ محمَّد جماز . الشؤون الدينيّة بقطر ، الطَّبعة الأولى ١٤٠١ هـ .
- الترغيب والترهيب ، لزكي الدين المنذري ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .
ـ التّعريفات ، لعليّ بن محمَّد الجرجاني . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ ، دار الكتب العلميّة بلبنان .
ـ تفسير القرآن العظيم ، لإسماعيل بن كثير القرشي . مكتبة دار التراث بالقاهرة ، مطابع المختار الإسلامي .
ـ تقريب التهذيب ، للحافظ ابن حجر العسقلاني . المكتبة العلميّة بالمدينة المنوّرة ، دار المعرفة ببيروت .
ـ تلخيص الاستغاثة ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة . مكتبة الغرباء ، الطَّبعة الأولى ١٤١٧ هـ .
ـ تهذيب التهذيب ، لأحمد بن عليّ بن محمَّد بن حجر . مطبعة حيدر آباد ، الطَّبعة الأولى ١٣٢٧ هـ .
ـ تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان (تفسير السعدي) ، لعبد الرّحمن ابن ناصر السّعدي . المؤسَّسة السعيدية بالرّياض .
ـ جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطّبري) ، لأبي جعفر محمَّد بن جرير الطّبري . طبعة ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ببيروت .
ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، لأبي عبد اللّه محمَّد بن أحمد القرطبي ، تصحيح / أحمد البردوني . الطَّبعة الثّانية .
- جدليات شيخ الإسلام ابن تيمية حول النبوات والغيبيات ، د/ محمد خليل هراس ، دار الإمام أحمد بالقاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٨ هـ .
ـ الجرح والتَّعديل ، لابن أبي حاتم . دائرة المعارف العثمانيّة بحيدر آباد ، الطَّبعة الأولى ١٣٧١ هـ .
- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام ، دار العروبة ، الكويت ، الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ .
- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ، لابن الآلوسي البغدادي ، مطبعة المدني ، ١٤٠١ هـ .
ـ الجواب الصّحيح لمن بدّل دين المسيح ، لأبي العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن تَيْمِيَّة ، تحقيق الدكتور / عليّ حسن ورفاقه . الطَّبعة الثّانية ١٤١٩ هـ ، دار العاصمة بالرّياض .
ـ حاشية الشّهاب على البيضاوي ، لشهاب الدِّين أحمد بن محمَّد الخفاجي . دار الكتب العلميّة ، بيروت ، الطَّبعة الأولى ، ١٤١٧ هـ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ـــ حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين ، لأحمد الصّاوي المالكي . طبعة ١٤١٤ هـــ ، دار الفكر .
- حجية السنة ، د/عبدالغني عبد الخالق ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٨ هـــ .
ـــ درء تعارض العقل والنّقل ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق د/ محمَّد رشاد سالم . مطابع جامعة الإمام محمَّد بن سعود ، الرياض ، الطَّبعة الأولى ، ١٣٩٩ هـــ .
- دراسة عن الفرق الدينية في تاريخ المسلمين ، د/ أحمد جلي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـــ .
ـــ دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب ، لمحمّد الأمين الشّنقيطي . دار عالم الفوائد بمكّة المكرّمة ، الطَّبعة الأولى ١٤٢٦ هـــ .
ـــ دقائق التفسير ، لابن تَيْمِيَّة ، تحقيق : محمَّد السيد الجليند . مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، الطبعة الثّانية ، ١٤٠٤ هـــ .
ـــ الردّ على المنطقيين ، لأبي العبّاس بن تَيْمِيَّة . الطَّبعة الرّابعة ١٤٠٢ هـــ ، نشر إدارة ترجمان السنّة بلاهور .
ـــ الرِّسالة الأضحويّة ، للحسين بن عليّ بن سينا ، تحقيق / حسن عاصي . المؤسّسة الجامعيّة ، بيروت ، الطّبعة الثّانية ، ١٤٠٧ هـــ .
ـــ الرِّسالة التدمريّة ، لأبي العبّاس بن تَيْمِيَّة ، تحقيق الدكتور / محمَّد بن عودة السعوي . الطَّبعة الأولى ، شركة العبيكان للطّباعة والنّشر .
ـــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، لشهاب الدِّين محمود الآلوسي . طبعة ١٤٠٨ هـــ ، دار الفكر .
ـــ زاد المسير في علم التّفسير ، لجمال الدِّين عبد الرّحمن بن الجوزي . الطَّبعة الرّابعة ١٤٠٧ هـــ ، المكتب الإسلامي ببيروت .
- زاد المعاد في هدي خير العباد ، لابن القيم ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الخامسة عشرة ، ١٤٠٧هـــ .
ـــ الزهر النضر في حال الخضر ، للحافظ أحمد بن عليّ بن حجر ، مجمع البحوث الإسلاميّة بالهند ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨ هـــ .
ـــ سلسلة الأحاديث الصّحيحة ، لمحمّد ناصر الدِّين الألباني . الطَّبعة الثّانية ١٤٠٧ هـــ ، مكتبة المعارف بالرّياض .
ـــ السنّة ، للحافظ أبي بكر بن أبي عاصم الشيباني ، تخريج محمَّد ناصر الدِّين الألباني . الطَّبعة الأولى ١٤٠٠ هـــ ، المكتب الإسلامي .
- السيرة النبوية الصحيحة ، د/ أكرم العمري ، مكتبة العبيكان ، الطبعة الثانية ، ١٤١٧ هـــ .
- سير أعلام النبلاء ، للحافظ الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٢هـــ .
- السياسة المدنية ، للفارابي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٦٤م .
ـــ شرح الأصول الخمسة ، للقاضي عبد الجبّار بن أحمد الهمذاني ، تحقيق الدكتور / عبد الكريم عثمان . الطَّبعة الأولى ١٣٨٤ هـــ ، مكتبة وهبة بمصر .
ـــ شرح جوهرة التَّوحيد ، لإبراهيم بن محمَّد البيجوري ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـــ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ـــ شرح السنّة ، لأبي محمَّد الحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق / شعيب الأرنؤوط . المكتب الإسلامي ، الطَّبعة الأولى ١٤٠٠ هـــ .

ـــ شرح صحيح مسلم ، للحافظ يحيى بن شرف النّووي . دار الكتب العلميّة ببيروت .

– شرح الأصبهانية ، لشيخ الإسلام ابن تيمية ، دار المنهاج ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٠هـــ .

ـــ شرح العقيدة الطحاوية ، لعليّ بن عليّ بن أبي العزّ الحنفي ، تخريج / محمَّد ناصر الدِّين الألباني . المكتب الإسلامي ، الطَّبعة التَّاسعة ١٤٠٨ هـــ .

– شرح العقيدة الطحاوية ، لعبدالرحمن البراك ، دار التدمرية ، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـــ .

– شرح العقيدة النسفية ، سعد الدين التفتازاني ، مطبعة كردستان بمصر ، ١٣٢٩هـــ .

ـــ شرح الكوكب المنير ، لمحمّد بن أحمد الفتوحي ، تحقيق الدكتور / محمَّد الزحيلي ونزيه حمّـــاد . مركـــز البحـــث العلميّ بجامعة أمّ القرى ، مطبعة دار الفكر بدمشق ١٤٠٠ هـــ .

– شرح مختصر الروضة ، لنجم الدين الطوفي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، ١٤١٩هـــ .

ـــ شرح المقاصد ، لسعد الدِّين التفتازاني ، تعليق / عبد الرّحمن عميرة . عالم الكتـــب ، بـــيروت ، الطَّبعـــة الأولى ، ١٤٠٩ هـــ .

– شرح المواقف ، للشريف الجرجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ هـــ .

ـــ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ، لابن قيّم الجوزيّة . الطَّبعـــة الأولى ١٤٠٧ هـــــ ، دار الكتب العلميّة .

ـــ الصّحاح ، لإسماعيل بن حمّاد الجوهري ، تحقيق / أحمد عطّار . الطَّبعة الثّانية ١٤٠٢ هـــ .

ـــ صحيح الجامع الصّغير وزيادته ، لمحمّد ناصر الدِّين الألباني . الطَّبعة الثّانية ١٤٠٦ هـــ ، المكتب الإسلاميّ .

ـــ الصّفديّة ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق د/ محمَّد رشاد سالم ، الطّبعة الثّانية ، ١٤٠٦ هـــ .

ـــ صفوة البيان لمعاني القرآن ، لحسنين مخلوف . دار الكتاب العربيّ بمصر ، الطَّبعة الأولى ١٣٧٥ هـــ .

ـــ الصّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة ، لمحمّد بن أبي بكر بن قيّم الجوزيّة ، تحقيق د / عليّ ابن محمَّد بن دخيل اللّه . دار العاصمة ، الرِّياض ، الطَّبعة الثّانية ، ١٤١٨ هـــ .

ـــ طريق الهجرتين وباب السعادتين ، للإمام ابن القيّم ، تحقيق / محبّ الدِّين الخطيب ، المكتبة السلفية ، الطَّبعة الثّالثـــة ١٤٠٧ هـــ .

ـــ العدّة ، لمحمّد بن إسماعيل الصنعاني ، المكتبة السّلفيّة بالقاهرة ، الطبعة الثّانية ١٤٠٩ هـــ .

ـــ عوارف المعارف ، لشهاب الدِّين أبي حفص عمر السهروردي ، دار الكتاب العربيّ ، بيروت ، ١٩٦٦ م .

ـــ فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، للحافظ / أحمد بن عليّ بن حجر ، تحقيق الشّيخ / عبد العزيز بن بـــاز . دار المعرفة ببيروت .

ـــ فتح القدير ، لمحمّد بن عليّ الشوكاني . دار المعرفة ، بيروت .

– فتح الولي الناصر بشرح روضة الناضر ، د/علي الضويحي ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ١٤٣٠ هـــ .

ـــ الفتوحات المكيّة ، لمحمد بن عليّ ابن عربيّ ، دار صادر ، بيروت .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ـــ الفصل في الملل والأهواء والنّحل ، لعليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم ، تحقيق / محمَّد نصر وزميله . دار الجيل ، بيروت .

ـــ فصوص الحكم ، لابن عربيّ ، تعليق : أبو العلا عفيفي . دار الكتاب العربي ، بيروت ، طبع مطابع دار لبنان ، بيروت .

ـــ الفوائد المجموعة ، لمحمّد بن عليّ الشوكاني . دار الكتاب العربي ، الطّبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـ .

ـــ فيض القدير شرح الجامع الصّغير ، لعبد الرؤوف المناوي . دار المعرفة ، بيروت .

ـــ القاموس المحيط ، لمحمّد بن يعقوب الفيروزآبادي . المؤسَّسة العربيّة للطّباعة والنّشر .

- قواطع الأدلة في الأصول ، لأبي المظفر السمعاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٨هـ .

- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، لشمس الدين السخاوي ، مكتبة المؤيد .

ـــ كتاب القدر ، للحافظ أبي بكر جعفر بن محمَّد الفريابي ، تحقيق / عبد اللّه المنصور . الطَّبعة الأولى ١٤١٨ هـ ، أضواء السّلف .

- كتب الألباني في الموسوعة الشاملة (http://www.islamport.com/) .

ـــ الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل (بحواشيه)، لمحمود بن عمر الزّمخشريّ . الطَّبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ، دار الفكر للطّباعة والنّشر .

ـــ كشف الخفاء ومزيل الإلباس ، لإسماعيل بن محمَّد العجلوني . مؤسسة الرِّسالة ، الطّبعة السَّادسة ، ١٤١٦ هـ .

-الكشف عن مناهج الأدلة ، لابن رشد ، ضمن مجموعة (فلسفة ابن رشد) ، دار الآفاق ، بيروت .

ـــ لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) ، لعليّ بن محمَّد بن إبراهيم البغدادي . طبعة ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر .

ـــ لسان العرب ، لمحمّد بن مكرم بن منظور . ط: دار إحياء التراث الإسلامي ، بيروت .

ـــ لسان الميزان ، لأحمد بن عليّ بن حجر العسقلاني . مؤسَّسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطَّبعة الثّانية ١٣٩٠ هـ .

- لوامع الأنوار ، لمحمد السفاريني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٥ هـ .

- مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيرةت ، الطبعة السابعة ، ١٤٠٠هـ .

ـــ المبين في شرح ألفاظ الحكماء والمتكلّمين ، لعلي بن محمَّد الآمدي ، تحقيق / عبدا لأمير الأعسم ، دار المناهل ، لبنان ، الطّبعة الأولى ١٤٠٧ هـ .

- مختصر التحفة الإثني عشرية ، لمحمود شكري الآلوسي ، دار الإفتاء بالسعودية ، ١٤٠٤هـ .

ـــ مجمع الزوائد ، للحافظ عليّ بن أبي بكر الهيثميّ . مؤسَّسة المعارف ، بيروت ، طبعة ١٤٠٦ هـ .

ـــ مجموع الفتاوى ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، جمع وترتيب عبد الرّحمن بن محمَّد بن قاسم . مطبعة المساحة العسكريّة بالقاهرة ١٤٠٤ هـ .

ـــ محبّة الرّسول صلى الله عليه وسلم بين الاتّباع والابتداع ، للدّكتور / عبد الرؤوف خيري ، مكتبة الضياء بجدّة ، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ـــ المحرّر الوجيز (تفسير ابن عطيّة) ، للقاضي أبي محمَّد عبد الحقّ بن غالب بن عطيّة ، تحقيق / عبد السّلام عبد الشافي . الطَّبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ، دار الكتب العلميّة ببيروت .

ـــ مختصر الصواعق المرسلة ، لمحمّد بن نصر الموصلي ، تحقيق الدكتور / الحسن العلوي . الطبعة الأولى ١٤٠٥ هـ ، أضواء السَّلف .

ـــ مدارج السّالكين ، للإمام ابن قيّم الجوزيّة ، تحقيق / محمَّد الفقي . دار الرشاد بالمغرب .

– مدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد أبو شهبة ، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

ـــ مدخل إلى التصوّف ، للدكتور / أبو الوفاء التفتازاني ، دار الثَّقافة بمصر ، الطّبعة الثَّالثة .

– مذاهب فكرية معاصرة ، لمحمد قطب ، دار الشروق ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٣هـ .

ـــ المسائل المشتركة بين أصول الفقه وأصول الدِّين ، للدّكتور / محمَّد العروسي عبد القادر . دار حافظ للنّشر والتوزيع ، الطَّبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ .

– المسامرة شرح المسايرة ، للكمال بن أبي شريف ، مطبعة بولاق ، ١٣١٧هـ .

– المسودة في أصول الفقة ، لآل تيمية ، مطبعة المدني بمصر .

– مشارق أنوار العقول ، عبدالله السالمي ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٤هـ .

ـــ معالم التّنزيل (تفسير البغوي) ، لحسين بن مسعود البغوي ، تحقيق / خالد العك وزميله . الطَّبعة الثّانية ١٤٠٧ هـ ، دار المعرفة .

ـــ معجم مقاييس اللّغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق / عبد السّلام هارون . طبعة ١٣٩٩ هـ ، دار الفكر .

ـــ المعجم الوسيط ، لإبراهيم مصطفى وزملائه . الطَّبعة الثّانية .

– المعرفة في الإسلام ، د/عبدالله القرني ، دار عالم الفوائد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩هـ .

ـــ مفتاح دار السّعادة ، للإمام ابن القيّم . دار الكتب العلميّة بلبنان .

ـــ المفردات في غريب القرآن ، لأبي القاسم الحسين بن محمَّد المعروف بالراغب الأصفهاني ، تحقيق محمَّد سيّد كيلاني . دار المعرفة ، بيروت .

ـــ المفهم لما أشكل من صحيح مسلم ، لأبي العبَّاس القرطبي ، تحقيق / محيي الدِّين مستو وزملاؤه . دار ابن كثير بدمشق ، الطَّبعة الثَّالثة ١٤٢٦ هـ .

ـــ المقاصد الحسنة ، لمحمّد بن عبد الرّحمن السّخاوي ، تحقيق محمَّد الخشت . دار الكتاب العربي ، الطّبعة الثّانية ، ١٤١٤ هـ .

ـــ مقالات الإسلاميّين واختلاف المصلّين ، لأبي الحسين عليّ بن إسماعيل الأشعريّ . دار إحياء التّراث العربي ، بيروت ، الطّبعة الثّالثة .

– مقدمة ابن خلدون ، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت .

– معرفة الخصال المكفرة للذنوب المقدمة والمؤخرة ، ابن حجر العسقلاني ، مكتبة الصحوة الإسلامية ، الكويت .

– الملل والنحل ، لمحمد الشهرستاني ، دار المعرفة ، الطبهة الثانية ، ١٣٩٥هـ .

– مناهل العرفان في علوم القرآن ، لمحمد الزرقاني ، مكتبة الباز بمكة .

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

ـــ منهاج السنّة النّبويّة ، لشيخ الإسلام ابن تَيْمِيَّة ، تحقيق / محمَّد رشاد سالم . الطَّبعة الأولى ، ١٤٠٦ هـــ .
ـــ موقف ابن القيِّم من التّصوّف ، للدّكتور عبد الرؤوف خيري ، رسالة دكتوراه مطبوعة على الآلة الكاتبة ، جامعة أمّ القرى ، قسم العقيدة .
ـــ ميزان الاعتدال في نقد الرِّجال ، لمحمّد بن أحمد الذَّهبيّ ، تحقيق / عليّ البجاوي . دار المعرفة ، بـــيروت ، الطَّبعـــة الأولى ١٣٨٢ هـــ .
- النبوات ، لابن تيمية ، مكتبة أضواء السلف ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـــ .
- النبي والرسول ، د/أحمد بن ناصر آل حمد ، الطبعة الأولى ، ١٤١٤ هـــ .
- النجاة ، للحسين بن علي بن سينا ، مطبعة السعادة بمصر ، الطبعة الثانية ، ١٣٧٥هـــ .
ـــ النّهاية في غريب الحديث والأثر ، للمبارك بن محمَّد الجزري ، تحقيق / طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي . مكتبة الباز بمكّة .
ـــ الوعد الأخروي ، لعيسى عبد اللّه السّعدي . دار عالم الفوائد بمكّة ، الطَّبعة الأولى ١٤٢٢ هـــ .

****

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

مقدمة ١
معنى النبي والرسول ٢-٥
معنى النبي لغة ٢
معنى الرسول لغة ٢
دعوى ترادف النبي والرسول ٢
الفرق بين النبي والرسول ٣
محل الفرق بين النبي والرسول ٥
الحاجة إلى الرسالة ٦-٨
اصطفاء الرسل ٩-١٧
دعوى اكتساب النبوة ١١
أثر نظرية الفيض في الفكر الصوفي ١٣
دلالة اصطفاء الرسل ١٤
الوحي ١٨-٣٤
أهمية الوحي ١٨
معنى الوحي ١٨
أنواع الوحي ١٩
طريق الوحي بالقرآن ٢١
إلهام غير الأنبياء ٢٣
دعوى الاستغناء بالإلهام ٢٥
عصمة الأنبياء ٣٥-٦٦
معنى العصمة ٣٥
متعلق العصمة ٣٨
العصمة من القتل ٣٩

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الموضوع الصفحة

العصمة في تحمل الوحي ٤٠
العصمة في تبليغ الوحي ٤٠
الإجماع على عصمة التبليغ ٤٦
العصمة في الاجتهاد ٤٩
العصمة من الذنوب ٥١
تأويل أدلة الجمهور ٥٤
مشكل نصوص العصمة ٥٦
آيات الأنبياء عليهم السلام ٦٧-٨٣
عموم الآيات ٦٧
أسباب الكفر بآيات الرسل ٦٧
كثرة آيات الرسل تنوعها ٦٨
آية صالح عليه السلام ٦٩
آية إبراهيم عليه السلام ٧٠
آية موسى عليه السلام ٧٠
آية عيسى عليه السلام ٧٤
نقد المتكلمين ٧٨
آيات سيد المرسلين ﷺ ٨٤- ١٣٠
كثرة آياته ﷺ وعظمها ٨٤
طرق إفادتها للعلم ٨٤
إجمال آياته ﷺ ٨٤
بشارات الكتب الأولى ٨٥
إرهاصات نبوته ﷺ ٩٢
الآيات الخبرية ٩٥
الآيات الفعلية ٩٩

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الموضوع الصفحة

المسلك الشخصي ١٠٥
المسلك النوعي ١١١
القرآن الكريم ١١٣
إجمال باقي الآيات ١١٧
حسن العاقبة ١١٧
علم أمته ﷺ وإيمانها ١١٧
كمال شريعته ﷺ ١١٨
كرامات الصالحين ١١٩
أمثلة لكرامات الصالحين ١١٩
أنواع الكرامات ١٢١
أعلى الكرامات ١٢٢
المخالفات في الكرامات ١٢٢
أفضلية خاتم النبيين ﷺ ١٣١-١٧٥
التفضيل بين الأنبياء ١٣١
مشكل نصوص التفضيل ١٣١
خصائص الرسول ﷺ ١٣٤
عموم رسالة الرسول ﷺ ١٤٢
دعوى اختصاصها بالعرب ١٤٣
عقيدة سقوط التكاليف ١٤٥
دعوى حياة الخضر عليه السلام ١٤٧
معنى عموم الرسالة المحمدية ١٤٩
دعوى أولية النبي ﷺ في الخلق والنبوة ١٤٩
الإسراء والمعراج ١٥٤
حكمة الإسراء والمعراج ١٥٩

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.

الموضوع الصفحة

حصوله يقظة لامناما ١٦١
إرهاصات الإسراء والمعراج ١٦٢
دلالات الإسراء والمعراج ..... ١٥٧ ، ١٦٣
بشرية الرسول ﷺ ١٦٦
نقد دعوى التكوين النوراني ١٦٨
حدود علم النبي ﷺ وقدرته ١٦٩
نقد دعوى حياة النبي ﷺ حياة حقيقية ١٧٠
نقد دعوى رؤيته ﷺ يقظة لامناما ١٧١
حدود علم الأنبياء عليهم السلام وقدرهم ١٧٤
الصلاة والسلام على النبي ﷺ ١٧٦-١٨٩
أهمية هذه الشعيرة وعظم شأنها ١٧٦
حكم الصلاة على النبي ﷺ ومعناها ١٧٦
مواضع مشروعية الصلاة على النبي ﷺ ١٨٠
فضائل الصلاة على النبي ﷺ ١٨٤
مشروعية الصلاة والسلام على سائر النبيين ١٨٧
أهم مراجع الكتاب ١٩٠-١٩٦
فهرس الموضوعات ١٩٧-٢٠٠

****

An evaluation version of novaPDF was used to create this PDF file.
Purchase a license to generate PDF files without this notice.